وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

بنية النص القرآني في ضوء المقاييس البلاغية البيان والمعاني

دراسة فى الجزئين الأخيرين

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها

تخصص : البلاغة والأسلوبية

إعداد الطالبة : حورية زروقي

إشراف الأستاذة الدكتورة : زغدودة ذياب

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د عبد القادر دامخي	أستاذ التعليم العالي	باتنة	رئيسا
أ.د زغدودة ذياب	أستاذة محاضرة	باتنة	مقررا
أ.د بلقاسم ليبارير	أستاذ التعليم العالي	باتنة	عضوا
أ.د نواري سعودي	أستاذ التعليم العالي	سطيف	عضوا
أ.د مسعود وقاد	أستاذ محاضر	الوادي	عضوا
أ.د صالح لحلوحي	أستاذ محاضر	بسكرة	عضوا

السنة الجامعية : **1433هـ / 1434هـ الموافق ل: 2012م / 2013م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا

بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ

صَادِقِينَ ﴾

البقرة : آية (23) .

شكر و عرفان

الشكر لله أولا نحمده حق حمده و نستعين به استعانة العبد الضعيف للرب القوي الذي لولاه لما وصلنا إلى

درب العلم

أتوجه بالشكر الخالص إلى الأستاذة المشرفة : نرغدودة ذياب على ما قدمت من مساعدات عظيمة

تمثلت في توفير المصادر و المراجع لإنجاز هذا البحث .

كما أوجه شكري و امتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تولوا مهمة مراجعة البحث بغية استكمال

نقائصه فلهم مني فائق الاحترام و الشكر .

كما لا يفوتني أن أوجه شكري الجزيل إلى الدكتورة : رقية حرم الدكتور حسين زيدان التي

كانت السبب في التعرف على أستاذتي المشرفة .

إلى التي قدمت توجيهات و نصائح ثمينة خدمت البحث و قدمت لي من المادة ما يخدم موضوعي الدكتورة

عقيلة قرورو .

إلى كل هؤلاء أوجه شكري الجزيل العطر .

مقدمة

كان العرب يتمتعون ببلاغة راقية، وفصاحة عالية إلى درجة أنهم كانوا يعدون الأخطاء التي ربما يقع فيها أحد منهم نوعا من الذنوب، لكن لما ظهر القرآن الكريم، ببلاغته وفصاحته أسكت فصحاءهم، وأخرص ألسنة بلغائهم بأسلوبه المميز ونظمه العجيب وما اشتمل عليه من عناصر فنية إبداعية رائعة ولا عجب في ذلك فهو الخالدة التي أحاطها الإعجاز من كل جانب فقال البعض الإعجاز يكمن في لفظه فقط، وقال آخر الإعجاز يكمن في اللفظ والمعنى معا ؟ فالمعتزلة وعلى رأسهم النظام يرى بأن القرآن الكريم ليس معجزا لا بفصاحته، ولا ببلاغته وأنه في مقدور العرب، ولو لم يمنعهم الله تعالى عن ذلك، لتمكنوا من الإتيان بمثله في سوره وآياته وحسبنا الكلام هنا لأننا سنعرض الحديث عن هذا الموضوع في أول فصل من البحث .

يبقى القرآن الكريم خلاف ذلك إنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة والفصاحة معا، تختلف مواضيعه بين سوره وآياته منها ما يأخذ طابع التركيز على ترسيخ الدين الإسلامي في القلوب وأخذ النفوس على الإيمان وحملها على النظر بعيدا في أمور الدنيا والآخرة .

ومن نظم القرآن الكريم، ومواضيعه المتنوعة، وبلاغته الراقية، وفصاحته العالية استفادت البلاغة العربية من هذه المجالات وخرجت من الوكر الشعري المحدود إلى عالم النثر الواسع الرحب ؛ ذلك أنها كانت مقتصرة قديما على الشعر فقط لكن مجيء القرآن الكريم جعلها تلبس ثوبا جديدا وهو فن النثر الذي يتنوع بين الخطب الدينية، والسياسية، وغيرها من المواضيع التي كان الشعر يفتقر إليها .

إن البحث عن الظواهر البلاغية والكشف عن السمات الأسلوبية التي يزخر بها النص القرآني كانت دافعا قويا وحافزا كبيرا في إشكالية بحثنا القائم بالأساس على الوقوف عند المكونات التركيبية

إن البحث عن الظواهر البلاغية والكشف عن السمات الأسلوبية التي يزخر بها النص القرآني كانت دافعا قويا وحافزا كبيرا في إشكالية بحثنا القائم بالأساس على الوقوف عند المكونات التركيبية والتشكيلية التي ساهمت في نظم النص القرآني، ولهذا جاء بحثنا موسوما بـــ : **بنية النص القرآني في ضوء المقاييس البلاغية البيان والمعاني دراسة في الجزئين الأخيرين** وقد تناولنا الموضوع من جانبين:

الأول : من جهة علم البيان، وهي دراسة للصور البيانية ودورها في إيضاح المعنى بالوقوف على الصور الرائعة التي يشملها النص القرآني .

و الثاني : من جهة علم المعاني، وهي دراسة للتراكيب في حد ذاتها ومعرفة العلاقة بين الجمل ومدى محاكاة ذلك في النص القرآني .

أما عن علاقتي مع موضوع هذا البحث فقد نشأت عندما أردت تحضير رسالة الماجستير يومها اقترحت موضوعا موسوما بالمقاييس البلاغية في النص القرآني لكنه قوبل بالرفض من قبل اللجنة العلمية للقسم بحجة أنه يصلح أن يكون لرسالة دكتوراه فقررت العدول عنه إلى موضوع آخر، لكن فكرة هذا الموضوع ظلت تراودني كلما رجعت إلى الدراسات المتعلقة بالمقاييس البلاغية التي تناولتها البحوث والرسائل من خلال مدونات نثرية وشعرية، وقد زاد تعلقي بهذا الموضوع وثقتي بأهميته في الدراسات البلاغية أن يكون النص القرآني هو مجال الدراسة التطبيقية، فتوكلت على الله وعزمت الخوض فيه، وكلي شوق للغوص في هذا البحر الذي لا ينضب حتى أقف على مكنوناته وأرتشف من سيله علما بأنني أدركت مدى أهمية المقاييس البلاغية خاصة ما تعلق منها بعلمي البيان والمعاني إذا كان الشاهد من القرآن الكريم أضف إلى

ذلك أنني كنت أعني كثيرا بتتبع كل ما كتب وقيل قديما وحديثا عن الدراسات البلاغية في ضوء القرآن الكريم، حتى أقف على سر، وجمال هذا الكتاب المعجز.

إن البحث يهدف بالأساس إلى الكشف عن مكونات النص القرآني سواء المكونات التعبيرية أو التركيبية الأمر الذي جعل العمل ينعقد على مقدمة، وفصلا تمهيديا، وبابين يتوزع كل باب على أربعة فصول، وخاتمة .

أما الفصل التمهيدي : تناول لمحة عن البلاغة العربية قبل ظهور القرآن الكريم والجديد الذي طرأ عليها بعد مجيئه وكيف كانت دراسات علماء البلاغة لها بداية : **بمرحلة النشأة** عند شيخ الأدباء الجاحظ، الذي أكد على ضرورة المزاوجة بين قضيتي اللفظ والمعنى كما تحدث عن علم البيان في مطلع كتابه البيان والتبيين بشكل مفصل، وقد أفرد بابا خاصا في المصدر نفسه للحديث عن البلاغة عند أمم مختلفة من : عرب، وفرس، ويونان، ورومان، وهنود ...الخ، مرورا بمرحلة : **التطور عند القاضي عبد الجبار** الذي تحدث عن الفصاحة بالتفصيل في كتابه المغني في أبواب التوحيد والعدل في جزئه السادس عشر مبينا شروطها، وقواعدها، وأهميتها في إعجاز القرآن الكريم، ووقوفا عند **مرحلة النضج والاستواء** عند شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي تأثر بما جاء به القاضي عبد الجبار وقد اتخذ الجرجاني موقفا خاصا به وأعاد للدراسات البلاغية الروح التي انتزعت منها من خلال كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

ثم جاء السكاكي الذي حاول أن **يقعد للبلاغة العربية** من خلال كتابه الشهير مفتاح العلوم الذي يعد من أهم المصادر العربية والذي يدل على هذه الأهمية أن كل الدراسات التي جاءت بعده تناولته بالشرح والتلخيص، وقد تحدث السكاكي فيه عن البلاغة بأنها تبدأ من الأقل، أو الأسفل وتتزايد بعد ذلك لتصل في الأخير إلى قمة الإعجاز .

أما **الباب الأول خصص لدراسة البنية التعبيرية التشكلية للنص القرآني** قسم إلى أربعة فصول تناول **الفصل الأول بنية التشبيه** التي تتولد من أنواعه المختلفة كبنية التشبيه الضمني، البليغ، المعكوس ...الخ .

الفصل الثاني تناول **بنية الكناية** من خلال عرض أقسامها باعتبار المكنى عنه، وأقسامها باعتبار الوسائط كما تناول الفصل أيضا الحديث عن التعريض، والرمز، والإشارة، والتلميح، وغيرها من المصطلحات التي تتداخل مع الكناية، أما **الفصل الثالث** فقد خصص **لبنية المجاز** وعلاقاته المتعددة وأنواعه المختلفة و**الفصل الرابع** والأخير تضمن **بنية الاستعارة** التي تتولد من أقسامها المتعددة واختلاف هذه البنية من قسم لآخر .

أما الباب الثاني فقد خصص **للبنية التركيبية للنص القرآني** وشمل هو الآخر أربعة فصول :

الفصل الأول : تضمن ثنائيتي الخبر والإنشاء وما يتفرع عنهما من عناوين كلازم الفائدة وفائدة الخبر وقد عرضنا فيه أنواع الأسلوب الخبري بنوع من : الأمثلة، والشواهد القرآنية من خلال الحركة التي أدتها داخل كل سياق، كما عرضنا أيضا الأسلوب الإنشائي بنوعيه الطلبي، وغير الطلبي مشيرين إلى العدول والانزياح الذي يحدث ضمن كل تركيب سواء كان في الأسلوب الخبري أو في الأسلوب الإنشائي .

الفصل الثاني : تضمن دراسة الأسماء والأفعال التي سميت بأحوال بالمسند إليه، والمسند، وما يعرض لهما من الحذف والذكر، والتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير، وأهمية كلا منهما في بناء التركيب.

الفصل الثالث : خصص لدراسة الفعل ومتعلقاته، ودراسة أبنية الأفعال، وكيفية ارتباطها بالزمن : ماضي مضارع، وأمر، وبيان تعدي الفعل حسب معياري التعدي واللزوم، مبينين فيه حال الفعل حسب الانتقال الوظيفي وكذا الدلالة التي يؤديها الفعل حسب دلالة الكمية الصوتية له، لنخلص في آخر عنصر من هذا الفصل إلى الكشف عن بنية الفعل حسب معيار إمكانية التحول الصوتي وللحديث عن متعلقات الفعل المتمثلة في المفعول به وبقية الفضلة: الحال، والتمييز، والمفعول معه، والمفعول فيه... الخ .

الفصل الرابع : تناول بنية الفصل والوصل مع الإشارة إلى الدلالات التي تؤديها حروف العطف كالاشتراك، والتجاوز، والتخيير، وإطلاق الحكم، والترتيب، والتعقيب، والتراخي وغيرها ...الخ .

وفي الأخير **خاتمة** شملت النتائج التي توصل إليها البحث، وقد اعتمدنا في دراسة البحث على مجموعة من المصادر والمراجع كانت لنا عونا كبيرا في خوض غمار هذا البحث نذكر منها : **دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، كتاب الطراز للعلوي، الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار، والصناعتين للعسكري، والبيان والتبيين للجاحظ،** والتفاسير مثل : **تفسير ابن كثير، وتفسير السعدي، وفتح القدير للشوكاني، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، والجامع للقرطبي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور،** وعلى كتب النحو العربي مثل : **شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، والتطبيق النحوي لعبده الراجحي ... الخ .**

ولما كان الأصل في البحث أن يتطلب منهجا يسير عليه فقد كان المنهج الأسلوبي الذي يعتمد على الكشف عن السمات الأسلوبية والظواهر البلاغية سائرا على طول البحث، أما عن الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في بحثنا والتي كادت أن تحول دون مواصلتنا البحث نذكر منها :

1- صعوبة التحكم في الموضوع خاصة فيما يتعلق بمواضيع الباب الأول وكثرة تعددها مقارنة بمواضيع الباب الثاني التي انحصرت في أربع فصول، الأمر الذي جعلنا ندرج كل ثنائيتين متغايرتين في فصل واحد في الباب الأول بغية المحافظة على توازن الفصول.

2- الظواهر الأسلوبية التي وردت في الباب الثاني كان حظها قليلا جدا خاصة في الجزئين الأخيرين من النص القرآني مقارنة بالظواهر التي وردت في الباب الأول، والتي استوفت حقها واستحوذت على

مساحة كبيرة منه مما جعلنا نستشهد ببعض الآيات من مواضع مختلفة من كتاب الله تعالى ومن بعض الأبيات الشعرية .

3- صعوبة التحكم في المصادر والمراجع التي وجدت فيها مادة بحثنا كونها لم تتجاوز حدود التنظير إلى التطبيق .

وفي الأخير لا ندعي الكمال في هذه البحث لأن الكمال من صفات الله سبحانه وتعالى فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان على أمل أن نكون قد وفقنا ولو بالجزء القليل دون أن ننسى تقديم الشكر الخالص للأستاذة المشرفة الدكتورة زغدودة ذياب، لما وجهته من نصائح ثمينة ومصادر هامة خدمت البحث، وإلى أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذا الموضوع .

الطـــــالبة : حـــــــورية زروقـــــــي

تقرت في : 9 / شعبان / 1434هـ – الموافق ل 18/ 6 / 2013م .

الفصل التمهيدي :

المسيرة التاريخية للبلاغة العربية

الـــــــــــــــجاحـــظ ونشـــــأة الـــبلاغـــة .

القـــاضي عبـــد الجبـــار وتـــطور البلاغـــــــــــة .

مرحلة النضج والاستواء عند عبد القاهر الجرجاني .

السكـــــاكـــــــــي والتقعـــــــــيد البـــــلاغـــي

يعد العصر العباسي التربة الخصبة التي عرفت فيها البلاغة العربية تطورا كبيرا – باعتباره عصر الجدال والحجاج – فقد حضت بدراسة دقيقة من قبل علماء الكلام على اختلاف، آرائهم ومذاهبهم، ونزاعاتهم واشتد الجدال بينهم في قضية إعجاز القرآن الكريم كونها أول القضايا التي أثيرت وتمخضت عنها قضايا أخرى : كالتأويل، والمجاز، واللفظ والمعنى ...الخ.

فأصحاب مذهب الصرفة ومنهم النظام رأس المعتزلة، يرى أن القرآن الكريم ليس معجزا لا بفصاحته ولا ببلاغته وأن العرب قادرين على الإتيان بمثله لو لم يمنعهم الله ويصرفهم عنه. هذا ويبقى علماء المعتزلة أكثر المثيرين للكلام في قضية الإعجاز القرآني حتى أدخلوها في طور جديد من الجدل[1].

يرى الدكتور أحمد سيد محمد عمار أن مفهوم الصرفة عند النظام :

(هي أن إعجاز القرآن ليس في حسن تأليفه، أو روعة نظمه فلا ميزة للقرآن عن غيره من سائر الكلام والناس قادرون على مثله لو خلي بينهم وبين ذلك وعلى ما هو أحسن منه في التأليف والنظم، ولكن الله صرف دواعيهم عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا)[2] بمعنى أن الصرفة كما هو مسطور في الكتب البلاغية أمر الهي خارق للعادة أجراه الله على يد نبيه الكريم كدليل على مدى صدقه في النبوة، وأن الله صرف همم العرب عن معارضة النص القرآني وقد تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله – كما سيأتي ذكره لاحقا – ولو لم يصرفهم لجاءوا بمثله إلا أن هناك من نفى القول بالصرفة عن النظام، واعتبره اجحادا في حقه سواء من أتباعه في عصره، أو من الباحثين المحدثين . فالجاحظ – إمام الأدباء، والقدوة في أسلوبه وسلطان المنشئين في عصره – من المعتزلة وتلميذ النظام، أنكر على أستاذه القول بالصرفة وجعل الرد عليه واحدا من أسباب تأليفه لكتابه نظم القرآن[3] .

1- ينظر : أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سورية، ط1 : 1418هـ /1998م، ص : 53.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 52، بتصرف .

3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 52.

أو لم يترك فيه مسألة لأي كان حتى من أصحاب النظام نفسه ممن زعموا أن القرآن حق وأن تأليفه ليس بحجة وأنه تنزيل وليس برهان، ومن أنصار النظام أيضا الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى الذي أقر بأن: " النظام من بلغاء زمانه، حسن المقالة، رطب اللسان، سريع الخاطر، دقيق النظر جيد القياس..."[1]، تلك هي نقائب النظام عنده، ثم يواصل كلامه فيقول : (... لا يغيب عنه هذا الفرق الفائت بين القرآن وكلام الناس، وإنما رمى بهذا القول في حومة الجدل، ولجاجة الخصومة، ولم يقله عن دراسة [2]) . هذا وقد وجه الدكتور أحمد سيد محمد عمار نقدا محترما لأستاذه الدكتور محمد محمد أبو موسى، كونه وقع في تناقض أثناء حديثه عن النظام الذي يفيض جرأة، وحماسة فحواه أن أستاذه الجليل (محمد محمد أبو موسى): ذكر أن الفرق بين القرآن، وكلام الناس لا يغيب عن النظام وأن نظم القرآن وتأليفه في مقدور العباد أضعف خلق الله[3].

ما يفهم في البداية من قوله أن إبراهيم النظام يدرك تمام الإدراك أن هناك فرق كبير بين كلام الله وكلام الناس، ولا مجال للمقارنة بينهما لكن التناقض يقع في قوله : نظم القرآن، وتأليفه في مقدور العباد كانت هذه من بين الملاحظات التي سجلها التلميذ على أستاذه وعلى كل تبقى هذه الانتقادات مجرد وجهات نظر أشرنا إليها من باب التذكير فقط، لقد تزعمت طائفة من العلماء الأجلاء لواء الدفاع عن القرآن الكريم، والتصدي لمذهب الصرفة كالفخر الرازي، ، والباقلاني، وغيرهم واستطاعوا أن يبينوا فساد هذا المذهب، والأخطاء التي وقعوا فيها، وقد بينوا أن العرب في الجاهلية كانوا يجلون الفصحاء والبلغاء منهم، وقد كانت مكانة أرباب القول من الشعراء ، والخطباء مرموقة[4] ، كما كانوا يعدون الأخطاء اللغوية التي يقع فيها بعضهم نوعا من الذنوب، ويذمون كل من لا يملك القدرة على الوصول إلى الحد الأدنى، من المستوى المطلوب في الكلام حتى يرقى في سلم الفصاحة والبلاغة .

1- ينظر : المرجع السابق، أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، ص 53.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 25.

3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 54.

4- ينظر :أحمد شامية، في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 : 1423هـ/ 2002م، ص : 115.

فالعرب قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام وصلوا بلغتهم إلى حد كبير من الفصاحة والبلاغة، والدقة في النطق السليم للكلمة، " والذوق الفطري الذي يعد القاعدة الأساسية ودستورا في الحكم على كل الفنون الأدبية حتى يهيئ للقارئ والسامع فرصة سماع جرس الكلمات، وحلاوتها، وعذوبة نغمها والتحام التراكيب، وحسن رصف الكلمات، ودقة اللفظ، وسمو الخيال فيستطيع بذلك المقارنة بينها " [1].

كيف لا وقد كان العرب يعلقون الأشعار على أستار الكعبة إضافة إلى الأسواق الأدبية كسوق المربد الذي كانوا يقيمون فيه مناظرات شعرية للموازنة، " والمقارنة بينها لأنهم يمتلكون بصائر نفاذة، وعقولا قادرة على التعليل أثناء الموازنة بين الأشعار ويحكمون في ذلك أصحاب الخبرة وعلى نحوهم يبنون قواعد يطمئن لها القلب والعقل معا، كما كانوا يفخرون وينتشون ويحتفلون إذا نبغ منهم شاعر مقوال، أو فارس من الأبطال، وقد شهد لهم القرآن الكريم بحسن البيان ورائع القول" [2].

يقول تعالى : ﴿ **وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ** ﴾ [3] ؛ أي من قراءة، وحسن منطقهم يستلذ القارئ استماعه يقول ابن كثير: (كان العرب أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم مع أنهم غاية في الضعف والجبن [4])، يقول تعالى :﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[5]، فإذا تكلم العربي يحس السامع بعلو ما قاله، يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي : " أي إذا تكلم راق كلامه للسامع وإذا نطق ظن السامع أنه تكلم بكلام نافع " [6] .

1-ينظر : أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، اعتنى به : علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، ناشرون، دمشق، سورية، بيروت، لبنان، ط1: 1426هـ/ 2005م، ص : 30 بتصرف (في مقدمة الكتاب) .

2-ينظر : أحمد شامية، في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، ص : 115.

3-المنافقون : آية (4).

4-ينظر : ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، راجعه : أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، دار الأصالة، الجزائر، ط1: 1426هـ/ 2005م، ج4، ص : 303.

5-البقرة : آية (204).

6-ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدم له : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، ومحمد بن صالح العثيمين، اعتنى به تحقيقا ومقابلة : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت لبنان ط1 : 1424هـ/ 2003م، ص : 78 .

من هذا المنطلق زعم العرب أن فصاحتهم، وبلاغتهم لا تقاس بغيرها، وأنهم لا يبارون في قدراتهم، ومواهبهم ، وفي هذا المقام لا بأس أن نستشهد ببعض النماذج الدالة على فصاحة العرب وبلاغتهم . روي أن جارية عرضت على الرشيد ليشتريها أخذ الرشيد ينظر إليها بتمعن ثم قال لمولاها : خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها، تفطنت الجارية لكلام الرشيد عنها . ثم قالت مبادرة : يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول، قال الرشيد : قولي، فأنشدت قائلة :

مَا سَلِمَ الظّبْي عَلَى حُسْنِهِ كَلاَّ ولاَ البَدْرُ الَّذِيْ يُوصَفُ

الظَّبْيُ فِيهِ خَنَـــسٌ بيِّنٌ والبـــــَـدْرُ فِيهِ كَلَفٌ يُعْرَفُ[1].

يقال أن أمير المؤمنين تعجب من فصاحتها وقد أمر بشرائها، وروي أيضا أن جارية عرضت على المأمون كانت بارعة الجمال فائقة في الكمال إلا أنها كانت عرجاء، لما رآها أمر من مولاها أن يرجعها وقال : فلولا عرج بها لاشتريتها ردت الجارية قائلة : يا أمير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه، لما سمع المأمون ما قالته أعجبته سرعة الرد فيها فأمر بشرائها[2]، ومن لطائف العرب أيضا روي : أن أبا بكر الصديق، قال لرجل معه ثوب أراد شراءه : أتبيع الثوب، أجاب الرجل قائلا : لا عفاك الله، استاء أبو بكر الصديق، وقال له : قل: لا وعفاك الله[3] حتى لا يفهم السامع آنذاك خلاف ما كان يقصد الرجل ؛ لأن قوله : لا عفاك الله يقصد بها الدعاء على الإنسان بعدم المعافاة أما قوله : لا، وعفاك الله بإضافة حرف الواو هذا التركيب يشتم منه المقصود الفعلي، والحقيقي للجملة، لكن لما ظهر الإسلام، ونزل القرآن الكريم، وبعث الله نبيه عليه الصلاة والسلام إلى كافة الناس بشيرا، ونذيرا رفع من شأن بلاغة العرب وأكسبها ألفاظا جديدة .

1- ينظر : شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، حقق نصوصه ووثق أصوله : أسعد حسن محمد، مكتبة الصفا، ط1 : 1426هـ/ 2005م، ص : 71 بتصرف.

2- ينظر : المرجع نفسه، بتصرف .

3- ينظر : مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، د-ط، 1984م، ص : 150.

وقد تحدى الله العرب الذين كانوا يفتخرون ببلاغتهم على الإتيان بعشر سور من مثله ثم تحداهم أن يأتوا ولو بسورة واحدة مثله يقول تعالى : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[1]، ما يقرأ من قوله تعالى أنه تحد لنبغاء، وبلغاء العرب وليوثها على أن يأتوا بمثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب [2]، وكيف يستطيع المخلوق أن يتحدى الخالق وهو الأضعف أمامه جل وعلا فلو عدنا بالزمن إلى الوراء لأدركنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ بين العرب، هو بشر مثلهم ليس بأفصحهم، ولا بأبلغهم يعرفونه خير معرفة منذ نشأته، لا يعرف القراءة، ولا الكتابة لما أتاه الله القرآن الكريم معجزة قالوا أنه تقوله، "فإذا كان الأمر كذلك يقول السعدي فأتوا بسورة من مثله[3]" ، لو كنتم قادرين ولكم أن تستعينوا بمن كنتم تعبدون من أعوانكم، وشهدائكم خاصة وأنتم الأفصح، والأبلغ على حد قولكم .

ومن آيات التحدي أيضا قوله تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [4]، من المسلم به أنه ليس في مقدور البشر، ولا باستطاعتهم ذلك، لوجود فرق عظيم يتجلى بوضوح للمتأمل في كلام الله عن كلام البلغاء، والفصحاء، وعليه "لا يمكن للعبد الفقير الناقص من كل الوجوه الوقوف أمام كلام الخالق العظيم الكامل الغني الواسع من كل الوجوه[5]"، لقد استفادت البلاغة العربية من النص القرآني لأنه أضاف إلى جانب الشعر الذي كان محور التنافس في فصاحة اللسان، وقوة البيان، فن آخر هو : فن الخطب بأنواعها : كخطب الأعياد، والجمعة، وخطب الجهاد... الخ، فخرجت البلاغة العربية من وكرها الشعري المحدود، واستطاعت أن تلبس ثوبها الجديد المزركش

1- البقرة : آية (23).

2- ينظر : جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، القرآن الكريم بالرسم العثماني، وبهامشه تفسير الجلالين، مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، أشرف على إعداده ومراجعته : الشيخ محمد فهمي أبو عبية، ومروان سوار، وعبد المنعم المعاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 : 1406هـ/ 1986م، ص : 6.

3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 31.

4- الإسراء : آية (88).

5- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 31.

بفن النثر القائم على إظهار القدرة وقوة التأثير، والإقناع الذي اتخذ عدة صور وأشكال اتسمت بها البلاغة العربية : كالقياس، والتمثيل، والشاهد، وجمال العبارة، وجمال الأسلوب ؛ أي إلى تغليب العقل والبرهان، والاستدلال، وقوة الحجة، وذلاقة اللسان، يقول الدكتور سعد سليمان حمودة : " إن البلاغة العربية تستمد روافدها وأصولها من منابع عربية أصيلة من شعر ونثر وقرآن مستمدة منها شواهدها وعليها تقوم قواعدها على نهج عربي أصيل [1] ..."، إن الاختلاف واللجب والشجار الذي دار بين أئمة الأدب، وأرباب القول، من العرب حول قضية الإعجاز القرآني، من جهة والبلاغة العربية من جهة ثانية، فتح لهم آفاقا واسعة جعلتهم يعيدون النظر في آرائهم ليبحثوا عن قوانين، ومقاييس يرجعون إليها عند اختلافهم في أي نقطة تدخل في مجال البلاغة والفصاحة، ومن هنا بدأت نشأة البلاغة العربية بعد أن مرت بعدة مراحل لتصل في الأخير إلى ما هي عليه الآن وذلك بالتركيز على أهم الجهود التي أضفت على البلاغة العربية صبغة جديدة .

1- الجاحظ ونشأة البلاغة: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، لقب بشيخ الأدباء، وإمام البلاغيين، وهو في نظر أغلب الباحثين المؤسس الحقيقي للبلاغة العربية، لم يؤلف الجاحظ كتابا خاصا بعلم البلاغة لوحده، إنما اعتمد على ملاحظاته، وآرائه البلاغية فقط، وكذا على ملاحظات المعاصرين له، وجعلها في كتابه : البيان والتبيين، وفي كتابه : الحيوان، وللجاحظ أيضا كتاب عالج فيه قضية نظم القرآن احتوى هذا الكتاب على الكثير من الملاحظات البلاغية عرضها في شكل قوانين محددة بتعاريف دقيقة، صورها في أمثلة مختلفة ومتعددة[2]، ومن القضايا البلاغية التي تعرض لها الجاحظ : اللفظ والمعنى حيث أكد على وجوب المزاوجة بينهما. وفيه يقول : " وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال، مصونا من التكلف، صنع في القلب صنع الغيث في التربة الكريمة " [3].

1- ينظر : سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د-ط 1999م، ص : 8.

2- ينظر : شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعرف القاهرة، ط6، دت، ص : 57.

3- ينظر : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د-ط، د-ت، ج1، ص : 64.

والجدير بالذكر أن بلاغة الجاحظ لم تقتصر على الشعر أو النثر، فقط يقول أحمد فشل :" بل اشتملت على الخطابة والكتابة لذلك صورت البلاغة عند الجاحظ طبيعة العمل الأدبي من حيث استعداد الأديب، وما يؤازره من اكتساب بالرواية والممارسة ومظاهر تدل على نضج الخطيب نحو : القدرة على الارتجال ، وسرعة بديهته في الرد على المناظر[1]"، كيف نظر الجاحظ إلى البيان ؟

البيان عند الجاحظ:

أفرد الجاحظ للبيان بابا كاملا في كتابه البيان والتبيين استهل الحديث في هذا الباب لتعريف البيان وفيه يقول : " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائن ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ..."[2]، حصر الجاحظ فهمه للبيان في الفهم، والإفهام لأن الأمر عنده يجب أن يتعلق بتوضيح المعنى في النفس حتى يستطيع المتلقي أن يدركه معتمدا في ذلك على الوظيفة التواصلية للغة، دون أن يخلو البيان من وظيفة الإقناع، التي بدونها لا يستطيع المتكلم إقناع المتلقي بأفكاره، ومكنوناته بأسلوب متميز وراقي .

يقول الجاحظ : " ثم اعلم . حفظك الله ، أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، و ممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة "[3]. وقد تحدث الجاحظ في هذا الباب ؛ أي باب البيان عن أنواع وأصناف الدلالات على المعاني سواء كانت لفظا أو غير لفظ، ويقول الجاحظ : أن جميع أصناف الدلالات على المعنى من لفظ، وغير لفظ خمسة أشياء لا تزيد ولا تنقص: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال (النصبة)[4].

1- ينظر : أحمد فشل، مدخل إلى الأدب العربي ودراسته، دار المعارف، د- ط، د-ت، ص : 276.
2- ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص : 76.
3- ينظر : المصدر نفسه، ج1، ص : 76.
4- ينظر : المصدر نفسه، ج1، ص : 76.

البلاغة عند الجاحظ : خصص الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بابا خاصا بالبلاغة وتعريفاتها عند أمم مختلفة من عرب، وفرس، ورومان، ويونان، وهند، أبرزها تعريف العتابي الذي يقول فيه :" كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حسبة ولا استعانة فهو بليغ "[1]، ما يقرأ من هذا التعريف أن البلاغة إفهام المتكلم للمتلقي بأية طريقة من الطرائق لكن الجاحظ أعاد صياغة رأي العتابي ووجهه إلى المعنى الصحيح فقال :

" والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين، والبلديين قصده، ومعناه بالكلام الملحون، والمعد ول عن جهته، والمصروف عن حقه أنه محكوم له بالبلاغة ... إنما إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب، والفصحاء "[2].

هذا ما قصده العتابي، وعليه يدل شرح الجاحظ في توجيه كلامه على أن البلاغة تكمن في إيصال الأفكار بأسلوب متميز ومتحضر – للمتلقي– يعتمد على الإقناع، والتأثير المصاحب للتقديم الجيد.

ومن بين التعريفات أيضا يقول الجاحظ : " قال بعضهم وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه ألا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[3]، استحب الجاحظ هذا التعريف وأعلن رضاه عنه كونه يربط بين اللفظ والمعنى، ويدعو إلى حسن التركيب والعناية بالمعنى، وعليه يبقى الجاحظ منبع الدراسات البلاغية رغم أنه لم يؤلف كتابا خاصا بعلم البلاغة لوحده إلا أنه في نظر الكثير من الباحثين، والدارسين ظاهرة بلاغية محضة قابلة للدراسة، من منظور النقد والبلاغة وإن كان يختلف عن الكثيرين في قضية دراساته للبلاغة العربية وملاحظات الذين سبقوه وحتى اللذين عاصروه، وما ألف من كتب نقدية حوله، على أن الفضل الكبير كله يرجع للجاحظ مع مجموعة من الجهود الأخرى في تمهيد الطريق للإمام عبد القاهر الجرجاني الذي حاول أن يستفيد من هذه الآراء ككل .

1- ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص : 113.
2- ينظر : المصدر نفسه، ج1، ص : 162.
3- ينظر : المصدر نفسه، ج1، ص : 115.

القاضي عبد الجبار وتطور البلاغة: لقد ركز القاضي عبد الجبار (ت 415هـ) في كتابه المغني في أبواب التوحيد والعدل على الفصاحة فخصص لها أكثر من فصل في الجزء السادس عشر من الكتاب الذي خصصه للحديث عن قضية الإعجاز القرآني ذاكرا كل ما يتعلق بها من شروط، وقواعد، وأهميتها في إعجاز القرآن الكريم مستفيدا من شيخه أبي هشام يقول هذا الأخير في تعريفه للفصاحة : " إنما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه، ولابد من اعتبار الأمرين ، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحا ؟ فإذن يجب أن يكون جامعا لهذين الآمرين "[1]، اشترط أبو هشام للحكم على فصاحة الكلام أمرين : "الأول جزالة اللفظ، والثاني حسن المعنى[2]"، ولا معنى لأحدهما بدون الأخر لأنهما في نظره تحكمهما علاقة تكامل وقد رفض وجود علاقة تربط بين النظم وفصاحة الكلام .

يقول أبو هشام : " وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة، وإنما يختص النظم بأن يقع لبعض الفصحاء يسبق إليه ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء فيساويه في ذلك النظم ومن يفضل عليه يفضله في ذلك النظم "[3]، لم يخالف القاضي عبد الجبار شيخه في هذا الرأي وأخذ مجالا واسع أدخله في قضية الإعجاز القرآني، يقول محمد مصطفى أبو شوارب : " لم يخالف القاضي عبد الجبار شيخه في هذا الرأي، واتسع به لينفي صلاحية النظم للتعبير عن الإعجاز القرآني بمعزل عن الفصاحة" [4] ، لكنه أضاف إلى كلام شيخه فكرة فحواها أن مكانة الفصاحة أعلى من مكانة النظم وقد جمع بينهما، يقول القاضي عبد الجبار : " لا يصح عندنا أن يكون اختصاص القران بطريقة النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ، وحسن المعنى، ومتى قال القائل : إني وإن اعتبرت طريقة النظم، فلابد من اعتبار المزية في الفصاحة، فقد دعا إلى ما أردناه لأنه إذا اوجب اعتبار ذلك، فمتى حصل مثل تلك المزية في أي نظم كان فقد صحت المباينة "[5].

1- ينظر : عبد الجبار الهمذاني القاضي أبو الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، تحقيق : أمين الخولي، د- ط، 1380هـ / 1960م، ج16، ص : 197.

2- ينظر : المصدر نفسه، ج16، ص : 197.

3- ينظر : المصدر نفسه، ج16، ص : 197.

4- ينظر : محمد مصطفى أبو شوارب أحمد محمود المصري، المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، والنشر، ط1 : 2007م، ص : 40.

5- ينظر : القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16، ص : 198.

تعدى القاضي عبد الجبار حديث شيخه أبي هشام عن الفصاحة إلى نوع من التحليل والشرح والتعليل وأضاف إلى أراء شيخه بعض التوضيحات سدت الكثير من الثغرات التي لمسها فيها مفصلا حديثه عن المزية التي ترجع إليها فصاحة الكلام، وفيه يقول القاضي عبد الجبار: " الذي تظهر المزية ليس إلا الإبدال الذي به تختص الكلمات أو التقدم والتأخر الذي يختص الموقع أو الحركات التي تختص الإعراب فبذلك تقع المباينة ، ولابد في الكلامين اللذين أحدهما أفصح من الآخر أن يكون اسما زاد عليه بكل ذلك أو ببعضه "[1]، تحدث القاضي عن مزية الكلام الفصيح موضحا التمييز بين دلالة الكلمة المفردة، والمركبة وقد أضاف في تحديد الفصاحة بجزالة اللفظ، وحسن المعنى ثلاثة أمور أساسية وبها يكون قد أكمل النقص في فكرة النظم عند المعتزلة، والأشاعرة وهي :" الإبدال الذي تختص به الكلمات الموقع الذي يختص بالتقديم والتأخير، الإعراب الذي يختص بالموقع النحوي للكلمة في عبارة بعينها "[2]، من جهة أخرى لم يفرق القاضي عبد الجبار بين الحقيقة، والمجاز في الكلام الفصيح كما أنه لم يجعل الإيجاز، أو الإطناب سببا لفصاحة الكلام .

يقول في الأولى : " ولا فصل فيما ذكرناه بين الحقيقة والمجاز... " [3]، ويقول في الثانية: " فلا معتبر بقصر الكلام وطوله، وبسطه وإيجازه ؛ لأن كل ضرب من ذلك ربما يكون أدخل في الفصاحة في بعض المواضع من صاحبه "[4]، اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الفصاحة الذي حدده القاضي عبد الجبار في كتابه المغني في ثلاثة أبعاد هي : الإبدال، والموقع، والإعراب.

حيث جعل القاضي عبد الجبار هذه الثلاثة، تختص بالكلام في السياق، ودقة تركيبه بينما يرى ابن سنان الخفاجي أنها مرتبطة باللفظ فقط يقول : " الفرق بيت الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة[5] .

1- ينظر : المصدر السابق، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 16، ص : 200.
2-ينظر : المصدر نفسه ، ج16، ص : 200 وما بعدها .
3-ينظر : المصدر نفسه، ج16، ص : 200.
4- ينظر : المصدر نفسه، ج16، ص : 200 وما بعدها .
5- ينظر : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 : 1982 م، ص : 60.

وإن قيل فيها أنها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا "[1]، في حديث ابن سنان نلمس تصريحا واضحا عن الفصاحة التي جعلها تختص بالألفاظ، فقط بينما البلاغة تختص باللفظ، والمعنى معا، أما أبو هلال العسكري فرق بين الفصاحة والبلاغة فقال : " الفصاحة تمام آلة البيان وهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى "[2]، يكاد أغلب الباحثين يتفقون في رأي واحد مضمونه أن القاضي عبد الجبار لم يتجاوز حدود التنظير إلى التطبيق، وإثبات صحة أقاويله بالأدلة المقنعة أثناء تحليله لنصوص أخرى، وبالمقابل أكدت بعض الدراسات أن تطبيقات القاضي عبد الجبار جاءت مبعثرة في مؤلفاته المختلفة أثناء حديثه عن نظرية الفصاحة ؛ عندما تطرق لظاهرة الإبدال، أو ما يسمى بالاستبدال أي (الإحلال) أثناء وقوفه مطولا أمام النص القرآني، لإبراز مدى مناسبة ألفاظه للسياق الذي قيلت فيه .

وقد تمحورت جهوده عموما في ملاءمة الكلمة للسياق محاولا بذلك أن يربط مدلول كل كلمة بالسياق الذي ذكرت فيه وكذلك التسوية بين بعض المفردات دلاليا، رغم وجود فوارق لغوية بينها كما أنه فرق بين الدلالة الشرعية للكلمة والدلالة اللغوية لها، وفرق بين الكلمات التي تكون متقاربة في دلالة واحدة، إضافة إلى هذه الجهود التطبيقية حاول أن يتتبع دلالات مختلفة، ومتعددة للكلمة الواحدة في القرآن الكريم، ويرسى على دلالة متفق عليها، وجهوده في النص القرآني كثيرة جدا بالنسبة للموقع والإعراب[3] .

– مرحلة النضج والاستواء عند عبد القاهر الجرجاني

أثرت نظرية الفصاحة للقاضي عبد الجبار على مجموعة كبيرة من علماء البلاغة أمثال عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي حاول أن يتخذ لنفسه موقفا خاصا به لوحده، كونه عرف بذلاقة اللسان، ومعرفة واسعة في النحو وذكاء، وحس أدبي نقاد حاول أن يستفيد من آراء القاضي عبد الجبار في الفصاحة.

1- ينظر : المصدر السابق، الخفاجي، سر الفصاحة، ص : 60 .

2- ينظر : الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، حققه، وضبط نصه : مفيد قميحة، دكتوراه في الأدب العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 : 1401هـ / 1981م، ص : 23 وما بعدها فصل العسكري في التعريف بين البلاغة والفصاحة .

3- ينظر : القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 16، ص : 200 بتصرف .

يقول شوقي ضيف معلقا على آراء القاضي في الفصاحة ومبينا مدى تأثر الجرجاني به : " وهي نفس النظرية التي توسع عبد القاهر في شرحها بدلائل الإعجاز حتى ليعد كتابه تفسيرا مفصلا لما أجمله عبد الجبار في هذا الفصل القصير هي في مواقعه وكيفية إيراده وطريقة أدائه وما يجري فيه من نسب وعلاقات نحوية "[1]، وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الجرجاني شرح فكرة القاضي عبد الجبار عن الفصاحة مدللا على ما زاده بنوع من الأمثلة ...الخ.

إن المتتبع للمسيرة التاريخية للبحث البلاغي يرى أنه كان مجرد ظواهر شكلية. قبل الجرجاني وقد تم إحداث قطيعة، وفواصل بين اللفظ، والمعنى، وبين البلاغة والنحو[2]، ما زاده شيخ البلاغة وإمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني بعده أنه أعاد للدراسات البلاغية روحها المسلوبة منها من خلال كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، واستطاع أن يبلور نظرية النظم التي تقوم بالأساس على علاقة وطيدة بين اللفظ والمعنى من جهة، وبين النحو والبلاغة من جهة أخرى[3]، إذ لا مجال للفصل بينهم . اعتبر عبد القاهر الجرجاني المعاني متبوعة لا تابعة فهي الجوهر بينما الألفاظ وعاء يحتويها وما ترتيبها ونظمها الظاهر خلال الكلام إلا صورة عاكسة عن ترتيبها الأول في النفس وفق قوانين نحوية يحكمها العقل [4]، أخذ الجرجاني فكرة القاضي عبد الجبار، عن الفصاحة، وطورها حتى أصبح يتفق معه في كثير من المواقف من بينها : حال الكلمة المفردة التي قد تقبح وقد تحسن[5] ؛ إذ لا مانع عند القاضي عبد الجبار، من استعمال الكلمة الواحدة في معنيين مختلفين أحدها يظهر فصاحتها، والآخر يظهر قبحها، وفي ذلك يقول الجرجاني : " إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر "[6]، بهذا القول يقترب الجرجاني من رأي القاضي عبد الجبار فقد عبر عن هذه القضية في موضع آخر من كتابه فقال :" فإنا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع، وتراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير "[7].

1- ينظر : شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص : 16.
2- ينظر : أحمد شامية، في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، ص : 121.
3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 121.
4- ينظر : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 56و ما بعدها .
5- ينظر : المصدر نفسه، ص : 51.
6- ينظر : المصدر نفسه، ص : 52.
7- ينظر :المصدر نفسه، ص : 289.

توضح عبارة الجرجاني أن فصاحة الكلمة المفردة مرتبطة بالسياق الذي ترد فيه كونه يحدد علو فصاحتها وانخفاضها، كما اتفق الجرجاني مع القاضي أيضا في إبعاد نغم الكلمة في فصاحة الكلام يقول القاضي : " أما حسن النظم وعذوبة القول فيما يزيد الكلام حسنا على السمع، لأنه يوجد فضلا في الفصاحة "[1]، ولعبد القاهر الجرجاني رأي يقول فيه : " إن كلامنا في فصاحة تجب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النطق ولكن من أجل لطائف تدرك بالفهم "[2]، وله مواقف كثيرة يتفق فيها مع آراء القاضي عبر عنها في العديد من المواضع في كتابه الدلائل كحديثه عن مزية القرآن في الفصاحة الخارجة عن العادة حيث أكدت الدراسات أن تطبيقاته وتحليلاته تقترب كثيرا من تحليلات القاضي عبد الجبار، لنقرأ هذه الآية الكريمة :يقول منزل التنزيل تبارك وتعالى : ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[3]، حين تحدث القاضي عبد الجبار عن مزية القرآن الكريم في الفصاحة الخارجة عن العادة عرض بعض النماذج من الآيات القرآنية كدليل على تلك المزية، وفي الوقت نفسه اتخذها وسيلة للرد على اليهود الذين أنكروها من بينها الآية المذكورة سالفا يقول القاضي عنها وعن باقي الآيات التي استشهد بها : " إن من لا آفة بسمعه وله حظ من المعرفة بالفصاحة ويعرف لهذه الآيات مزية ...؛ اعلم أن مزيته على ما نسمع من الكلام الفصيح عظيمة، وإنما يشتبه مثل ذلك على ما لاحظ له "[4].

أما الجرجاني وقف أمام هذه الآية فقال :" ... أنك لم يجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط لهذه الكلم بعضها ببعض وإن لم يعرض لها الحس والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها"[5]، كما اتفق الاثنان على اعتراف فصحاء، وبلغاء العرب بعجزهم، ا لواضح أمام القرآن الكريم مؤكدان أن العرب لم يختلفوا في ترك المعارضة لمعرفتهم بفصاحة النص القرآني، والقارئ للدلائل، والمغني يستطيع أن يكتشف مواقف كثيرة كانت محل اتفاق بينهما في مواطن عديدة من كتابيهما دلائل الإعجاز والمغني في أبواب التوحيد والعدل .

1- ينظر : القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 16، ص : 200.
2- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 289.
3 -هود : آية (44).
4- ينظر : القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16، ص : 314 وما بعدها .
5- ينظر :عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 51.

السكاكي والتقعيد البلاغي: يعد كتاب مفتاح العلوم مصدرا مهما في عصرنا الحالي حيث عكف الباحثون على دراسته وانكبوا عليه وقاموا بشرحه وتلخيصه مبينين أفكار مؤلفه وتقسيماته للبلاغة. تحدث السكاكي (ت 626هـ) عن المنهج الذي اتبعه في كتابه موضحا إياه بقوله : " وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة، ما رأيته لا بد منه، وهي أنواع متآخذة ، فأودعته علم الصرف بتمامه وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان "[1].

وعليه قسم السكاكي الأدب إلى قسمين : القسم الأول يمثله الصرف وتمامه ـ الاشتقاق، القسم الثاني يمثله النحو وتمامه ـ علمي المعاني والبيان، ولكنه قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام كالآتي: الأول لعلم الصرف والثاني لعلم النحو، والثالث لعلمي المعاني، والبيان، على اعتبار أن هذا القسم متمم لعلم النحو تحدث فيه عن تعريف علم المعاني وعلم البيان حيث خصص الفصل الأول منه للكلام عن علم البيان بما فيه من الاستعارة، والتشبيه، والكناية... كما جعل النحو، والاستدلال في خدمة طرف ثالث موجود بينهما هو علم المعاني مكملا بعلم البيان، لأنهما — المعاني والبيان — يمثلان منطقة حميمة يتسرب منها المنطق إلى النحو والنحو إلى المنطق[2].

البلاغة عند السكاكي : يقول السكاكي في تعريفه للبلاغة : " بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حد له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها "[3]. يجمع هذا التعريف بين مفهوم علمي البيان، والمعاني لوحدهما دون علم البديع . ذكر السكاكي أن البلاغة لها طرفين متباينين أعلى، وأسفل يقول : " ولها، أعني البلاغة طرفان : أعلى وأسفل، متباينان تباينا لا يتراء له نارهما [4]... ". فالبلاغة عنده تبدأ من الأسفل ثم تتزايد شيئا فشيئا لتصل إلى قمة الإعجاز. وقد أكد تعريفه للنظم معدا صياغة علمية منسجمة لعمل الجرجاني ، وابتدأ من حيث انتهى الجرجاني (معاني النحو)[5].

1- ينظر : سراج الدين والملة، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 : 1403هـ/ 1983م، ص : 415.

2- ينظر : المصدر نفسه، ص : 415.

3- ينظر : : المصدر نفسه، ص : 415.

4- ينظر : : المصدر نفسه، ص : 415.

5- ينظر : المصدر نفسه، ص : 415

إذ لا اختلاف في أن السكاكي أثناء حديثه عن مبادئ النحو والاستدلال كشف عن كل ما لم يصرح به الجرجاني " هذا الأخير الذي يمتلك القدرة في تحويل المنطقي والكلامي والعقائدي إلى صياغة بلاغية تطرح سؤالا مركزيا فحواه ما الذي يجعل بعض الكلام أحسن من بعض؟ [1]"، وعليه استطاع أن يقدم عصارة يمكننا منها اشتمام رائحة المشاغل وتختفي مادتها فبقي بذالك منظرا إشكاليا وكشف السكاكي عن تلك المواد فوسم بالمدرسة ومجافاة الذوق الأدبي[2].

الفصاحة عند السكاكي: تحدث السكاكي عن الفصاحة مقسما إياها إلى قسمين : الأول يرجع للمعنى، والثاني للفظ يقول : " وأما الفصاحة فهي قسمان : راجع إلى المعنى، وهو خلوص الكلام عن التعقيد وراجع إلى اللفظ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصيلة[3]، شريطة أن تنبع إلا من العرب الخلص ذوي الفصاحة العالية بعيدة كل البعد عن التنافر وعن التعقيد، الذي شرحه بقوله : " أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفة، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحو، حتى يقسم فكرك[4]..."، مستشهدا بقول أبي تمام وهو : ثانيه في كبد السماء ولم يكن كاثنين ثان إذهما في الغار.[5]

ثم شرح غير المعقد، وهو عكس السابق يعتمد على فتح الطريق المستقيم أمام الفكرة حتى تبدو في غاية الوضوح هذا ما أورده السكاكي عن البلاغة، والفصاحة في كتابه المفتاح الذي توالت وعكفت عليه طائفة من العلماء بالدراسة، والشرح، والتلخيص، ومن الذين بادروا في ذلك : قطب الدين، الشيرازي، وسيمس الدين محمد الخطيبي ، وناصر الدين الترمذي، وعماد الدين الكاشي، وسعد الدين التفتا زاني، والسيد الشريف الجرجاني، ومن جهة أخرى يذكر الدكتور تمام حسان أن البلاغة العربية عموما مرت بمرحلتين كانت في المرحلة الأولى إلى النقد العملي، وكانت في المرحلة الثانية ألصق، وأوغل في الأسلوبيات[6]، وهكذا كانت المسيرة التاريخية للبلاغة العربية عموما، وقضية الإعجاز القرآني

1- ينظر : أحمد فشل، المدخل لدراسة البلاغة العربية، ص : 192.
2- ينظر : محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان ، د- ط ، 1999 م ، ص : 416.
3- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 416.
4- ينظر : المصدر نفسه، ص : 416.
5- ينظر : ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد عبده عزام، دار المعارف كورنيش النيل القاهرة، ط4، د- ت، ج2، ص : 207.
6- ينظر : تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو – فقه اللغة – البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، د- ط، 1460هـ / 2000 م، ص :279.

خصوصا هذه القضية التي جعلت النص القرآني مفخرة العرب في لغتهم، إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب، سواء حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد وعظمته وجلاله، أو عن خلقه السموات والأرض، أو عن البعث والنشور، أو حين يشرع للناس حياتهم ويقيمها [1]... الخ، وهذا النص المتميز عن النصوص الأخرى لما ظهر للعرب هذب لغتهم من الحوشية كما يقول شوقي ضيف : " ومن اللفظ الغريب فأقامها في أسلوبه المعجز من البيان والبلاغة ويكفي أن تعود إلى معلقة لبيد أو شعر مثل قبيلة هذيل وديوانها المطبوع لترى حقا كيف اختط أسلوبا جزلا له رونق وطلاوة، مع وضح القول والوصول إلى الغرض من أقرب مسالكه، وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول" [2] .

ومما لا شك فيه يتميز النص القرآني بأسلوب محكم، الذي يفيض إمتاعا، وإقناعا وبلاغة وفصاحة عالية ميزت لغتنا العربية عن بقية اللغات الأخرى . يقول شوقي ضيف :" القرآن هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم، بل هذا الأسلوب السهل الممتنع الذي يلذ إلى الآذان حين تستمع له، والأفواه حين تنطق به، والقلوب حين تصغي إليه هذا الأسلوب الذي يميز عربيتنا[3]، ولأن القرآن الكريم يحمل كل هذه الصفات فهو مصدر كل العلوم الأخرى يقول جرجي زيدان : هو تاريخ الأمة من الوجهة الأدبية والعلمية [4]، ومن جهة أخرى أكد أن اللغة ؛ أي لغة العرب هي مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم . فالمتكلمون باللغة الفصحى كما جاءتنا في القرآن والشعر الجاهلي، والأمثال ... فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم[5]، ولأن هذا الكتاب المقدس مميز والكتاب الأكبر للغة العربية الذي حافظ عليها من الزوال، ولا يزال هو معينها الذي لا ينضب، منه تستمد وجودها وسر بقائها[6]، سنحاول البحث عن بنية نصه أو مكوناته في ضوء المقاييس البلاغية المتمثلة في : مباحث علمي المعاني والبيان لنكشف بعدها عن إعجازه بلفظه، ومعناه كونه يتميز ببنية نصية مميزة.

1- ينظر : شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط6، د- ت، ج2، ص : 30.

2- ينظر : المصدر نفسه، ص : 33.

3- ينظر : المصدر نفسه، ص : 33.

4- ينظر : جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، إشراف : مكتبة البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة، والنشر، والتوزيع، د- ط، د- ت، ج1، ص : 12.

5- ينظر : المصدر نفسه، ص : 25.

6 - ينظر : بلقاسم بلعرج، لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول، دار العلوم، للنشر والتوزيع، عنابة، د - ط، 1426هـ/ 2005 م ، ص : 9.

البـــاب الأول:

البنية التشكيلية التـــعبيرية للنـــص القـــــرآني .

الفصـــل الأول : بنـــــية التشبيه .

الفصـــل الثاني : بنـــــية الكناية .

الفصـــل الثالث : بنـــــية المجاز .

الفصـــل الرابع : بنـــية الاستعارة .

تمـــــــــهيد :

يعد علم البيان الفرع الثاني من فروع البلاغة العربية المهمة، شأنه في ذلك شأن علمي المعاني والبديع، وما يدل على أهميته البالغة في الدراسات البلاغية خاصة الإقبال الكبير على دراسة هذا الفرع من قبل علماء البلاغة العربية وما تناولته أفكارهم، وما كتبته أقلامهم سواء كان في القديم أو في الحديث .

يقول الدكتور محمد لطفي عبد التواب: (... إن البيان العربي قد تناولته أفكار العلماء ... وبذلوا فيه غاية جهدهم، وأولوه عصارة أفكارهم، وذلك لأهمية هذا العلم بين علوم العربية فهو واسطة عقدها، وخلاصة نتاجها وشهي ثمارها ...)[1] .

وحول هذا العلم يقول شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني كلاما لطيفا جدا :

(... إنك لا ترى علما هو ارسخ أصلا، وأنسق فرعا، وأحلى جنى وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا، من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشى، ويصوغ الحلى، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقوي الشهد [2]...) ويواصل كلامه عن هذا العلم الذي يفيض أهمية وعناية من قبل العلماء وفيه يقول : (... ويريك بدائع الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولا استمر السرار بأهلها، واستولى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء)[3].

1- ينظر : محمد مصطفى عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، المكتبة العالمية العلمية، بيروت، ط1: 1422هـ/ 2001م، ص : 5.

2- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 23.

3- ينظر : المصدر نفسه، الجرجاني، دلائل الإعجاز : ص : 23.

وقد تعرضت الكثير من المصادر العربية لموضوع علم البيان الذي احتل حيزا كبيرا واستطاع أن يستحوذ على الكثير من الدراسات البلاغية والنقدية أهمها :

- البيان والتبيين للجاحظ .
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري .
- كتاب الطراز للعلوي .
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني .
- كتاب مفتاح العلوم للسكاكي ...الخ .

هذا بالإضافة إلى العديد من المصادر، والمراجع التي تناولته بالدراسة، والتمحيص، حتى قيل أنه علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره وبالثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان أو خارج عنه خروج الحائط من السقف، أو الضاحك عن مفهوم الإنسان، وتسمى الأولى دلالة وضعية وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية[1]، فالأولى تختص بدلالة المطابقة والثانية بالتضمن، والثالثة بدلالة الالتزام، وشرط هذه الأخيرة اللزوم الذهني [2]... يقصد من ذلك أن يكون حصول ما وضع له اللفظ في الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه حتى لا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الأخر لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعاني الخارجة ولا يشترط في هذا اللزوم أن يكون مما يثبته العقل [3]...و لتوضيح مفهوم الدلالة العقلية والوضعية ذكر عبد القاهر الجرجاني عنهما بعبارة رائعة ومختصرة يقول فيها : (المعنى ومعنى المعنى[4]).

1- ينظر : محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص : 121 وما بعدها .

2- ينظر : المصدر نفسه، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص : 121و ما بعدها .

3- ينظر : المصدر نفسه، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص : 121و ما بعدها .

4- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 202، وما بعدها .

و مهما يكن فإن علم البيان هو أحد علوم اللغة العربية نشأ في حضنها، وكبر في حجرها، وتغذى بأفكارها لتمتد جذوره في تربتها .

لقد تنوعت مواضيع علم البيان لتشمل فن التشبيه الذي يقوم على علاقة المشابهة أو التخييلية، عن طريق ذكر الطرفين الأساسيين في التركيب : المشبه والمشبه به، والاستعارة التي تقوم على علاقة المشابهة، والتي تكون بحذف أحد الطرفين من التركيب فإذا حذف المشبه تسمى استعارة تصريحية، أما إذا حذف المشبه به فإنها استعارة مكنية، وما يدل على ذلك ترك قرينة دالة تتمثل في الإبقاء على أحد لوازم العنصر المتروك .

وقد تكون العلاقة بين عناصر البنية منطقية تفتقر إلى وجود قرينة دالة، وفي هذه الحالة تسمى بالكناية كما سنرى في الفصل الخاص ببنية الكناية، أما إذا كانت العلاقة المنطقية تعتمد وجود القرينة فإن هذا ما يسمى بالمجاز المرسل والذي بدوره ينقسم إلى عدة أنواع اعتمادا على نوع القرينة ما إذا كانت زمانية، أو مكانية، أو كمية أو غائية ...

والرسم البياني الآتي يوضح الكلام السابق، ويوضح القرائن المعتمدة في كل عنصر من العناصر السالفة الذكر :

- تشبيه .
- كناية .
- استعارة .
- مجاز .

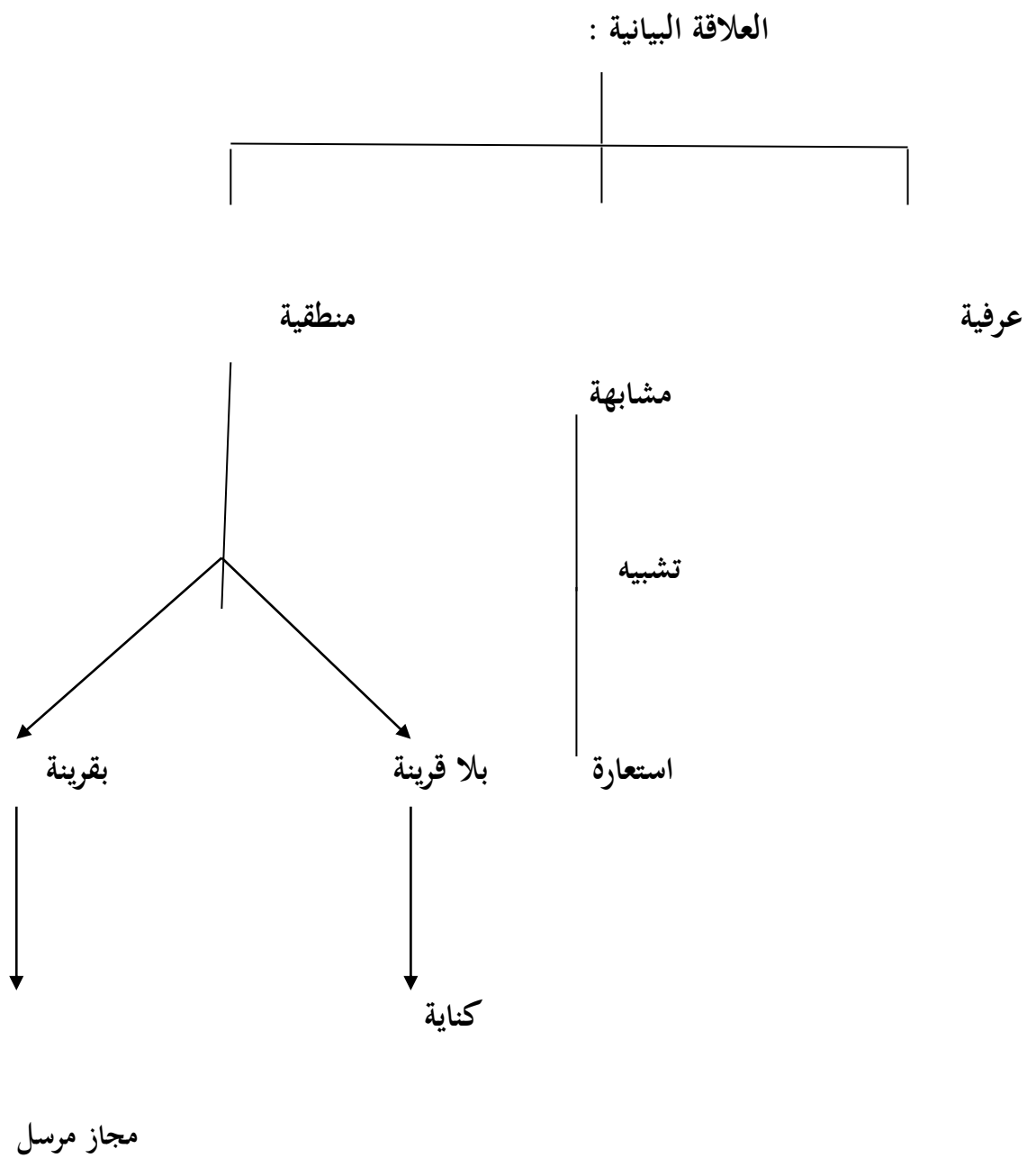

مخطط لتوضيح العلاقة البيانية[1]

1- ينظر :تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو – فقه اللغة – البلاغة، ، ص : 328 بتصرف

.

وبناء على هذا المخطط، واعتمادا على تحديد العلاقة بين العناصر التي تساهم في تشكيل البنية سندرس بنية التشبيه القائمة على أركانه الأربعة : المشبه، والمشبه به، والأداة، ووجه الشبه، من خلال علاقة المشابهة، أو التي تسمى بالتخييلية (الفنية)، وبنية الكناية القائمة على الموصوف، والصفة ...الخ.

وبنية الاستعارة القائمة على أركان المستعار، والمستعار منه ... والمجاز المرسل القائم على علاقات المكانية والتي تنقسم إلى قسمين هما : الحالية، والمحلية، والعلاقة الزمانية التي تكون باعتبار ما كان، أو باعتبار ما يكون، ، والعلاقة الكمية التي تكون كلية أو بعضية، والعلاقة الغائية والتي تكون سببية أو مسببة ...الخ .

المجاز الذي يعد الفرع بينما الحقيقة هي الأصل، وكان المعتزلة من أسبق الناس إلى هذا القول ونحن نعلم أن القرآن الكريم آيات محكمات وأخر متشابهات فقالوا بالآيات المحكمات هي آيات التنزيه والتوحيد، وعلى رأسها[1] : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[2]، وفصلوا الحديث في الآيات الأخرى وقالوا هي آيات التشبيه ...الخ .

1- ينظر :حلمي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية علم البيان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية جمهورية مصر العربية، د- ط، د- ت، ص : 71.

2- الإخلاص .

الفـــصل الأول :

بنيـــة التشـــبيه .

المبـحث الأول : مفـــهوم التشـــبيه .

المبحث الثاني : أقسام التشبيه باعتبار طرفيه .

المبحث الثالث : أقسام التشبيه باعتبار أداته .

المبحث الرابع : أقسام التشبيه باعتبار وجهه .

المبحث الخامس : أنـواع التـشـبيـــه

يعد التشبيه ظاهرة فنية جمالية تجنح إلى توضيح فكرة ما، عن طريق تمثيل أو تشبيه شيء بآخر، قصد مدحه أو ذمه بحيث يتوقف هذا التمثيل على مهارات الأدباء إضافة إلى ذلك، هو أسلوب من الأساليب التعبيرية الفنية في لغتنا العربية الهدف منه توضيح المعنى الخفي، وذلك بإبراز صفة المشبه عن طريق مقابلتها بصفة مماثلة هي صفة المشبه به غير أنها أعظم .

لقد عظم علماء البلاغة العربية أمر التشبيه، واهتموا به، وجعلوه في المرتبة الأولى بالنسبة لعلوم البلاغة ،كونه يملك فائدة عظيمة في شتى الفنون الأدبية تكمن في إخراج المعنى الخفي إلى المعنى الجلي، والغامض إلى الواضح، وفيه يقول المبرد (ت285هـ) : (والتشبيه جار في كلام كثير من كلام العرب ،حتى لو قال قائل منهم،هو أكثرهم لم يبعد) [1].

المبحث الأول مفهوم التشبيه:

المطلب الأول التشبيه لغة : ورد في المعاجم اللغوية أن لفظ التشبيه هو التمثيل "الشبه ،الشبه ،الشبيه : المثل والجمع أشباه وأشبه الشيء بالشيء ماثله، وفي المثل :"من أشبه أباه فما ظلم "، وأشبه الرجل أمه وذلك إذا عجز وضعف والجمع مشابه على غير قياس، وأشبهت فلانة وشابهته واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، وشبهه إياه وشبهه به :مثله، والمشتبهات من الأمور: المشكلات والمشابهات: المتماثلات وتشبه فلان بكذا والتشبيه التمثيل[2] " وفي القران المحكم والمتشابه وشبه عليه الأمر لبس عليه... ووقع في الشبهة والشبهات "[3] . جاء في المعجم الوسيط : شابهه : أشبهه، شبه عليه الأمر : أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره . و— الشيء — بالشيء : مثله .و — أقامه مقامه لصفة مشتركة بينهما، وشبه عليه، وله : لبس[4] . وفي التنزيل العزيز : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾[5].

1- ينظر : أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب، دار النهضة، القاهرة، مصر، د- ط، د- ت، ج2، ص : 69.

2- ينظر : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت ،د- ط ،1984م، مادة (شبه) .

3- ينظر : أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، أساس البلاغة ،تحقيق : عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د- ط، 1984م، ص : 23.

4- ينظر : المعجم الوسيط، ج2/1، ص : 497.

5- النساء : آية (157) .

ومن روائع ما ذكر في النص القرآني قوله تعالى : ﴿ **وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ...**﴾[1] .
وقوله : ﴿**... هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً...**﴾[2].

ما نلاحظه أن المعاني اللغوية للفظ التشبيه تحمل كلها دلالة واحدة تكمن في التماثل، والمحاكاة ...الخ .

المطلب الثاني التشبيه اصطلاحا:

حدد علماء البلاغة العربية المحدثين مفاهيم للتشبيه اعتمادا على بعض التعريفات التي أقرها القدماء لهذا اللفظ ، فالجاحظ (ت 255هـ) مثلا لم يحدد مفهوما واضحا وصريحا للتشبيه إنما عقد مقارنة بين حديث نبوي، وبيت شعري ثم قال :(إذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقته علمت فضل مابين الكلامين)[3]، في تعريف الجاحظ لا يوجد ما يوحي بتاتا بمفهوم واضح لكلمة التشبيه.

المبرد هو الأخر يعد من الأوائل الذين درسوا هذا الفن دراسة وافية، إذ عقد له بابا مطولا في كتابه «الكامل » وفيه يقول : « وهذا باب ظريف نصل به هذا الباب الجامع ... وهو بعض ما مر العرب من التشبيه المصيب وللمحدثين بعدهم »[4] .

وقد اعتمد على الكثير من الأمثلة الشعرية بدأها بأشعار القدماء وختمها بطائفة من أشعار المحدثين، وتخللت دراسته لهذه الأشعار بيان وجوه أسرار الجمال فيها إلا أنه لم يحدد مفهوم التشبيه.

1- الأنعام : الآية (99).

2- البقرة : الآية(25).

3- ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص: 9.

4- ينظر المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص : 32.

ثم جاء العسكري (ت 395هـ) : وذكر أن التشبيه : (هو الوصف بأن أحد الطرفين الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أم لم ينب...)[1].

لكن هؤلاء البلاغيين لم يضعوا مفهوما دقيقا للتشبيه، إذ بقي تناوله في الغالب متمثلا في دراسة النصوص الشعرية والنثرية، والتعليق عنها ومقارنة بعضها ببعض .

وقد رأى بعض العلماء أنه من الضرورة تحديد مفهوم التشبيه تحديدا أكثر وضوحا ودقة، يقول ابن رشيق: (ت 456هـ) :«هو صفة الشيء ما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه ...» [2] .

كما تحدث عن فائدته في الكلام، فقد ضمن كتابه (العمدة) العديد من الأشعار التي تزخر بالتشبيه . أما الجرجاني (ت 471هـ) فقد تناول التشبيه بكثير من التفاصيل، وقسمه إلى أنواع مفرقا بينه وبين التمثيل فقال : «أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تشبيه تمثيل وليس كل تمثيل تشبيه »[3].

وبالرغم من هذه الجهود الجبارة التي قام بها هؤلاء البلاغيون لتحديد مفهوم التشبيه إلا أنهم لم يظفروا بتحقيق هدفهم، ثم جاء السكاكي (ت 626هـ) وحدد مفهوم التشبيه قائلا : (أن التشبيه مستدع طرفين، مشبها ومشبها به)[4]، فالسكاكي هنا حدد التشبيه تحديدا دقيقا سار عليه معظم علماء البلاغة بعده كونه تحدث عن الأركان الأساسية التي توضح البنية الأساسية للتشبيه) .

1- ينظر : أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص : 261.

2- ينظر : بن رشيق القيرواني أبي علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، قدم له وشرحه وفهرسه : صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، ط1 : 1416هـ/ 1996م، ج1، ص : 455.

3- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، اعتنى به : مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، د1: 1428هـ / 2008م، ص : 83.

4- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 141.

وعلى هذا المنحنى نجد معظم المفاهيم التي تواضع عليها العلماء، تجري في هذا المسار إذ أن التشبيه لفظ أطلق للدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد على حد قول القزويني [1]، نستنتج من هذا التعريف أن التشبيه هو اشتراك شيئين في صفة واحدة تجمع بينهما كونهما متماثلان، ويعبر عن تلك الصفة المشتركة بأداة من أدوات التشبيه سواء أكانت تلك الأداة ظاهرة واضحة أم مخفية مقدرة لهدف يرمي إليه المتكلم ويهدف إلى تحقيقه.

والتشبيه أيضا : « بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة كانت أو مقدرة تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه»[2]، بمعنى أن التشبيه يمكن أن يكون بين عدة أشياء تشاركت مع أشياء أخرى تتفق هذه الأشياء في صفة ويمكن أن تتفق في أكثر من صفة، والربط بينهما أدوات تفيد المشابهة، والتقارب .

للتشبيه أربعة أركان نبينها في المثال الآتي: خالد في الحسن كالقمر: الركن الأول مشبه وهو خالد والركن الثاني المشبه به، وهو القمر والركن الثالث وجه الشبه وهو الحسن، والركن الرابع أداة التشبيه وهي الكاف، والشرط اللازم للتشبيه أن يشبه البليغ الأدنى بالأعلى: أي أن يكون وجه الشبه وهو الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه، أقوى وأظهر في المشبه به منها في المشبه، وذلك إذا أراد المتكلم المدح، أما إذا قصد الهجاء أو الذم فالأولى أن يشبه الأعلى بالأدنى [3] .

البحث الثاني أقسام التشبيه :

المطلب الأول أقسام التشبيه باعتبار طرفيه : ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى أنواع، تشبيه محسوس بمحسوس، وتشبيه معقول بمعقول وتشبيه معقول بمحسوس، وتشبيه محسوس بمعقول، ويمكن اختصار هذه التسميات في : طرفا التشبيه الحسيان طرفا التشبيه العقليان، طرفا التشبيه المختلفان .

1- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج1، ص : 16.

2- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د- ط، 1405هـ / 1985م، ص : 256.

3- ينظر : ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق : عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال بيروت، د-ط، د-ت، ج1، ص : 383.

أولا تشبيه محسوس بمحسوس:

وهو أقل أقسام التشبيه مرتبة وقد كان هذا النوع معتمد أدباء الجاهلية من شعراء وغيرهم، لما كانوا عليه من الحياة الفطرية الساذجة التي لا تؤد إلى تدقيق النظر في الأمور، أو إلى التفكير العميق، فلما ظهر الإسلام عرفوا به ما يتعلق بالنفس من العقل والعفة وإلى ما يتعلق بالجسم من حسن وجمال وغيرها [1].

ومن روائع هذا النوع من التشبيه قول الله تعالى: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾[2] أي قدرنا سير القمر في منازل، والمنازل ثمانية وعشرين منزلا في ثمان وعشرين ليلة حتى إذا كان أخر منازله صار كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويبيبس[3]، فقد شبه الله تعالى القمر في دقته وتقوسه واصفراره بالعرجون وهو تشبيه رائع، وطرفا التشبيه فيه : (القمر) و(العرجون) حسيان، وهذا النوع من أوسع أنواع التشبيه في القرآن الكريم.

و من روائعه أيضا قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾[4] والمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من طين يابس هذا الطين ممزوج بالماء يسمع له نقير من شدة يبسه، وشبه خلقه بالفخار المصنوع هو الآخر من الطين . ووجه الشبه بينهما القساوة، وكلاهما يدرك بالحس، فهما تشبيه محسوس بمحسوس.

والمقصود بالحس هنا هو كل ما يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، معنى ذلك أن طرفا التشبيه قد يكونان من المحسوسات التي تدرك باللمس عن طريق : اليد، أو التي تدرك بالشم عن طريق الأنف، أو التي تدرك بالذوق عن طريق اللسان، أو التي تدرك بالسمع عن طريق الأذن، أو التي تدرك بالبصر والنظر عن طريق العين .

1- ينظر : عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية علم البيان، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط1، 2000م، ص : 19.

2- يس : آية (39).

3- ينظر : طالب محمد الزوبعي ناصر حلاوي، البلاغة العربية البيان البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص : 26.

4- الرحمن : آية (14).

ومن لطائفه الشعرية ما قاله امرؤ القيس في وصف البرق حيث لم يتجاوز تشبيهه تشبيه محسوس بمحسوس:

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمَيْضُهُ كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَيِيٍ مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ آو مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَمَامَ السّلِيطُ بِالذُّبَالِ المُفَتَّلِ[1]

والمعنى أن هذا البرق يتلألأ ضوؤه فهو يشبه في تحركه لمع اليدين، أو مصابيح الرهبان التي أسيلت فتائلها بصب الزيت عليها في الإضاءة، وهو يريد أن يقول أن ترك اليدين وضوءه يحكي ضوء مصباح الرهبان إذا ملئ صب الزيت عليه فيضيء[2]، وعليه لابد من الوقوف على المدركات الخمس السالفة الذكر لأجل توضيحها

المدرك الأول :

(الاشتراك في الصفة المبصرة)،وهي كل ما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والحركات وكل ما يتصل بها منها قوله تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ** ﴾[3]، فالجامع في هذه الآية هو البياض، فقد شبهت النساء ببيض النعام،لأن النعام يغطي بيضه بالريش عند الرياح وشابه ذلك، فلونه ابيض، وهوا حسن الألوان وأجملها للنساء ومن عادة العرب أن تصف الشيء الجميل الحسن ببيض النعام المغطى بالريش[4].

المدرك الثاني:

(الاشتراك في الصفة المسموعة): أي كل ما يدرك بالسمع من الأصوات القوية، والضعيفة، والمتوسطة ،لا على التعيين كتشبيه بعض الأصوات الجميلة بالموسيقى، أي بما يليق بمقامها وبعض الأصوات القبيحة بأصوات المدافع في وقعها، وإزعاجها ونشازها ...

1- ينظر : ديون امرؤ القيس، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1377هـ / 1957م، 1418هـ/ 1998م، ص : 59.

2- ينظر : عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط3، 2000م، ص : 54.

3- الصافات : آية (49/48).

4- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، السعودية، د- ط، 2000م، ص : 62.

ومثال ذلك قول امرؤ القيس:

يَعُظُّ عَظِيظَ البِكْرِ شَدَّ خِنَاقِهِ لِيَقْتُلَنِي وَالمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ [1]

الشاعر في هذا البيت يصور غضب رجل أظهرت امرأته ميلا تجاهه- أي تجاه الشاعر فقد شبه صوت هذا الرجل المغتاظ بصوت البكر يقول ابن حجة الحموي : وهو الفتى من الإبل الذي يجعل له حبلا في عنقه لترويضه وتذليله [2]، وقس على ذلك تشبيه صوت المرأة الجميل بصوت البلبل، وصوت الرجل الهائج الغاضب بنباح الكلب ونحو تشبيهه الأسلحة في وقعها بالصواعق وغيرها من التشبيهات التي تدرك عن طريق السمع ...

المدرك الثالث: (الاشتراك في الصفة الملموسة) وهو كل ما يدرك باللمس مثل: الحرارة والبرودة والرطوبة، والخشونة... وكل ما يتصل بها. مثال ذلك: جسدك مثل الحرير، في هذا التشبيه تم تشبيه الجسد بالحرير في رقته ونعومته، والطرفان يشتركان في الملمس الناعم اللطيف ...

المدرك الرابع: (الاشتراك في صفة الذوق) وهو كل ما يدرك بالذوق من الطعم، كتشبيه بعض الفواكه حلوة المذاق بالعسل، وتشبيه الريق بالشهد تارة، وبالخمر تارة أخرى ونحو تشبيه الطعم المر بالحنظل في مرارته، وروائع هذا اللون من التشبيه قوله تعالى : ﴿ ... **هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ...** ﴾[3]، في الآية الكريمة شبه الله تعالى بحرين أحدهما كالفرات أي كالماء شديد العذوبة، والحلاوة، والأخر كالملح في شدة الملوحة إذ كل من المشبه وهما البحر في كلتا الحالتين والمشبه به وهما الحلاوة والملوحة يدركهما المتلقي حسيا عن طريق حاسة الذوق ... يقول السعدي في تفسير : هو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان، البحر العذب، وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض، والبحر الملح، وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد[4]، كلامه عز وجل يعكس من جهة الإعجاز قدرة الله تعالى في التفريق بين الماء العذب والماء المالح كي لا تذهب منفعتهما رأفة بعباده وحفاظا منه تعالى على مصلحتهم ...

1- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص : 142.

2- ينظر : ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص : 385.

3- الفرقان : آية (53).

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 555.

و من لطائفه أيضا قول امرء القيس: **كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْتَ الغَمَامِ وَرِيحُ الخُزَامَى وَذَوْبِ العَسَلِ**

يَعُلُ بِهِ بَرْدُ أَنْـــيَابِهَا إِذَا النَّجْمُ وَسْطَ السَّمَاءِ اسْتَقَلَّ [1]

فقد شبه الشاعر هنا المدام وهو الخمر وصوته، أي قطراته التي تنزل في الفم قطرة بعد الأخرى، وشبه ريح الخزامى، وهذا الأخير هو عبارة عن نبات يصنع منه الخمر وهو نبات طيب الرائحة وأما العسل فهو مشروب كما هو معروف حلو المذاق.فالحمر تكون رائحته في البداية طيبة قبل النوم في نظر الشاعر لأن الذي يستيقظ من النوم تكون رائحة فمه كريهة، ما نلاحظه في قول الشاعر أنه بالغ في وصف الخمر.

المدرك الخامس:

(الاشتراك في الصفة المشمومة) : وهو كل ما يدرك عن طريق حاسة الشم طبعا من الروائح المختلفة الطيبة والكريهة وذلك نحو تشبيه بعض الرياحين الطيبة برائحة المسك، وكذا الكافور والنكهة برائحة العنبر، ونحو تشبيه الأخلاق الكريمة بالعطر في حسنها، ونحو تشبيه أنفاس الطفل الصغير بعطر الزهر [2].

وتلخيصا لكل هذه المدركات ذكر الدكتور عبد القادر عبد الجليل أن المقصود بالحسي كما أسلفنا الذكر هو كل ما تدركه الحواس وأن هذا المحور (الحسي) يدور على محورين : المحور الأول : خارجي وله عدة مناطق عمل تتركز في (الحواس البشرية الخمس) الظاهرة ...الخ، والمحور الثاني : داخلي وله منطقة عمل تتركز في الذهن أي القوة العاقلة أما الأول فمناطقه الخمس :

1- منطقة السمع نحو : صوت المغني كالهواء العليل .

2- منطقة البصر نحو : عينا الفتاة كالجوهرتين .

3- منطقة الشم نحو : نكهة الطعام كالعنبر .

4- منطقة الذوق نحو : رضاب الحبيب كالشهد .

5- منطقة اللمس نحو : بشرة الحسناء كالحرير [3] .

1- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص : 156.

2- ينظر : يحي بن حمزة العلوي، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج1، ص : 269و ما بعدها .

3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 409.

أما منطقة عمل المحور الثاني (الذهني الداخلي) فهي الكلية ... وعموم عناصره ؛ حيث يتم التعامل معه بهيئة الجماعية، والتحام أواصره، لكي يتحقق التصور العام داخل منظومة الذهن مالكة القدرة، والقابلية على الاستدعاء والحضور[1] ...

ثانيا تشبيه معقول بمعقول:

في هذا النوع يكون (طرفا التشبيه عقليان) :و تشبيه المعقول بالمعقول يكاد يكون من تواضع علماء البلاغة المحدثين. وهو لا يقل أهمية عن النوع السابق لما يمتاز به من بلاغة ولطف وحسن بيان، وتأثير في النفس.[2] وهو كل ما يدرك بالعقل أو الوجدان، ونعني بالوجدان تلك المشاعر التي تختلج في النفس كاللذة، والألم، والجوع، والعطش، والغضب ...الخ، هذه المشاعر الكامنة المختفية المختلجة داخل النفس البشرية لا يمكن تحسسها وإنما يمكن إدراكها عقليا، وهو أيضا كما يعرفه البعض : «تشبيه معنى بمعنى أي أن المشبه والمشبه به متلازمان في المعاني الذهنية المجردة التي تدرك بالعقل لا بالحس ».[3]

من روائعه قوله تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...**﴾[4]

(فالموت) حقيقة معنوية عقلية، و(الكفر) وهو أيضا حقيقة معنوية عقلية، فكلاهما يدرك بالعقل. كما جعل (الحياة) حقيقة معنوية إلى جانب (الإيمان) وهو أيضا حقيقة معنوية فكلاهما عقليان ومنه فالتشبيه في هذه الحالة تشبيه معقول بمعقول .

ومن لطائفه قول البحتري : **فَقْرٌ كَفَقْرِ الأَنْبِيَاءِ وَغَرْبَةً وَصَبَابَةٌ لَيْسَ البَلَاءُ بِوَاحِدِ** [5]

أقام الشاعر تشبيها على أساس تشبيه شيء معقول مدرك عقليا ولا يمكن إحساسه بإحدى الحواس الخمس، فقد شبه الفقر بفقر الأنبياء تارة وبالغربة وبالصبابة تارة أخرى على سبيل هذا النوع من التشبيه فكل هذه التشبيهات متلازمة في المعاني الذهنية التي تدرك بالعقل لا بالحس . ومثل هذا التشبيه الذي يدرك بالعقل دون أن يكون للحواس دخل فيها يسمى بالتشبيه الوهمي دون أن يكون له كيان خارجي

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 410.
2- ينظر : عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، ص : 41 .
3- ينظر : طالب محمد الزوبعي ناصر حلاوي، البلاغة العربية البيان البديع، ص : 26.
4- الأنعام : آية (122).
5- ينظر : ديوان البحتري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1: 1995م، ص : 269.

وأبين من ذلك قوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾.[1]

على اعتبار أن الشيطان ليس له وجود واقعي محسوس وإنما وجوده من عالم الغيب لذلك فشكل رأسه غير معروف لعدم معرفته ماهية صاحبه، فهو يدرك بالعقل وحده فقد شبه طلع الشجرة التي تخرج من الجحيم برؤوس الشياطين، وكذلك تلك الشجرة غير معروفة فهي أيضا من عالم الغيب وليس لها وجود حقيقي، لذلك فطرفا التشبيه يدركان بالعقل لعدم تمكننا من رؤيتهما على أن هذه الرؤوس موجودة بالفعل

يقول ابن قتيبة (ت 682هـ) في تفسير غريب القرآن :

طلعها أي حملها سمي طلعا لطلوعه في كل سنة[2]، يقصد طلع الشجرة التي قصدها الله تعالى في الآية الكريمة وشبهها برؤوس الشياطين ...

وقال السعدي في تفسيره: (و أنها كرؤوس الشياطين فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل [3])، ومن لطائفه الشعرية قول امرء القيس :

أَيَقْتُلُنِيْ والمَشْرِقي مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ [4]

على اعتبار الأغوال موجودة في عالم الوهم فهي مدركة بالعقل وحده ولا وجود لها في عالم البشر والأنياب موجودة في الواقع شأنها في ذلك شأن الرؤوس في المثال السابق لكن إضافتها إلى الأغوال التي لا وجود لها جعلها هي الأخرى تصبح من عالم الوهم، إذ أن كل ما أضيف على الوهم اكتسب صفة وهمية . ويشترط في هذا النوع من التشبيه ضرورة تقديم التشبيه الحسي على التشبيه العقلي، لأن هذا النوع «ليس له مواقع المحسوسات»[5]، أي أن هذا النوع من التشبيه لا يمكن أن يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة بل يمكن إدراكه عن طريق العقل والتخيل ..

1- الصافات : آية (65) .

2- ينظر : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق : أحمد السيد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د- ط، 1398هـ / 1978م، ص : 372.

3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 671.

4- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص : 142.

5- ينظر : ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص : 401.

ثالثا تشبيه معقول بمحسوس :

وفيه يكون (طرفا التشبيه مختلفين)، وهو تشبيه المعنى بالصورة المشاهدة أي أن يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا وهو أيضا «إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة».[1]

من روائع ما ورد في النص القرآني قوله تعالى: **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾**.[2]

شبه الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة حال عبدة الأصنام، والأوثان والتماثيل، فشبه حالهم بحال العنكبوت التي تبذل قصارى جهدها في بناء بيت لكن هذا البيت هو أضعف يتهدم ويتلف لأضعف الأسباب .

فقد التقى الإيمان الضعيف لهؤلاء مع ما يمز بيت العنكبوت من ضعف وهو تشبيه معقول بمحسوس (الإيمان بيت العنكبوت) وقد اكتشف علماء الحيوان أن بيت العنكبوت هالك من يدخله أو يلجأ إليه، وليس فيه أي صفة من صفات الأمان والاستقرار لدلك كان لجوء هؤلاء المشركين إلى آلهتهم دون الله مهلك ومميت كمن يلجأ من الحشرات إلى بيت العنكبوت فمآله الدمار والهلاك[3] .

وقوله تعالى: **﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾**.[4]

فالإعجاز القرآني يظهر من خلال تصوير أعمال الكفار التي لا فائدة ترجى من ورائها وشبهها بالرماد الذي لم تبق عليه الريح العاصفة شيئا فجاء تشبيه الأمر المعنوي وهو (أعمال المشركين) بصورة محسوسة واقعية

1- ينظر : المصدر السابق، ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص : 401 .

2- العنكبوت : آية (41).

3- ينظر : يوسف العدوس، التشبيه والاستعارة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1: 2007م . ص : 93.

4- إبراهيم : آية (18).

مشاهدة وهي (رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) ليحقق في النفس خسارة المشركين الذين دعوا إليها من دون الله [1]

وكقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا...** ﴾.[2]

وكذلك الأمر بالنسبة لهذه الآية فقد شبه الله سبحانه وتعالى أعمال المشركين وهو أمر معنوي المتمثلة في : أعمال الكفر، وعبادة الأصنام، تلك الأعمال التي سرعان ما تزول فهي كالسراب الذي لا وجود له كلما تقدم منه شديد العطش لم يجد شيئا وظل على عطشه يقول السعدي في تفسيره : كونه يتوهم ما لا يتوهم غيره بسبب ما معه من العطش، وهذا حسبان باطل، فيقصده ليزيل ظمأه حتى إذا جاء ولم يجد الماء ندم ندما شديدا بسبب انقطاع رجائه [3]... فجاء المشبه معقولا، والمشبه به محسوسا .

من روائع هذا النوع من التشبيه قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...** ﴾.[4]

ومعنى قست أي غلظت ويبست فكأن القسوة في القلب بمثابة وداع اللين منه، والرحمة، والرأفة وقوله (من بعد ذلك) يريد من يعد إحياء الميت الذي يحييه الله بعد ضربه بعضو من أعضاء البقرة، ونزلت هذه الآية الكريمة في اليهود أي أنها آية عظيمة من آيات الله على بني إسرائيل كان يجب عليهم معرفة قدرة الله تعالى بمشاهدتها ما يزيل كل شك من القلوب [5].

1- ينظر : طالب محمد الزوبعي ناصر حلاوي، البلاغة العربية البيان البديع، ص : 27.

2- النور : آية (38).

3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 541.

4-البقرة : آية (74).

5- ينظر : ابن نافيا البغدادي ، الجمان في تشبيهات القرآن، منشأة المعارف بالإسكندرية، د-ط، د-ت، ص : 86.

في هذه الآية شبه الله عز وجل قلوبهم في القسوة بالحجارة (لأن الحجارة هي غاية في المثل والقسوة)، والقساوة : توصف بها أجسام كما توصف بها النفوس المعبر عنها بالقلوب، والجامع بين القسوتين عدم قبول التحول من الحالة الأولى، إلى الحالة الثانية، على حد قول محمد الطاهر ابن عاشور [1].

فقد شبه الله عز وجل اليهود في قسوة قلوبهم بالحجارة لأن من صفة الحجارة أن تكون صلبة قاسية، ولما كانت صلابة الحجارة أعرف للناس وأشهر وهي محسوسة شبه قلوبهم بها فالصورة تشبيه أمر عقلي بأمر محسوس ملموس حتى تتضح الصورة لدى المتلقي ...

جاء في تفسير السعدي :

(... اشتدت قلوبكم، وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة من بعد ذلك أي من بعد ما أنعم الله تعالى عليكم بالنعم العظيمة، وأراكم الآيات، ولم يكن أن تقسوا قلوبكم لأن ما شاهدتم مما يوجب رقة القلب، وانقياده ...)[2].

ومن روائعه أيضا قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء...** ﴾.[3]

في الآية الكريمة شبه الله تعالى الذين كفروا بالبهائم لأنهم لما بعث الله جل سلطانه الرسل بالحق علم أن الكفار سيعرضون عن هذا الحق ولا يستجيبون لدعوة رسله يقول السعدي في تفسيره : أخبر تعالى أن مثلهم – عند دعاء الداعي لهم للإيمان – كمثل البهائم[4]...

1- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص : 562.

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 41.

3- البقرة : آية (171).

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص :66.

رابعا تشبيه محسوس بمعقول:

(طرفا التشبيه مختلفان) هذا النوع من التشبيه عكس السالف الذكر وهو تشبيه صورة حسية أو معنى حسي بمعنى عقلي (معنوي) في هذا النوع يكون المشبه محسوسا والمشبه به معقولا، من روائع هذا النوع من التشبيه : قول منزل التنزيل تبارك اسمه وجل سلطانه : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...**﴾[1]، في الآية الكريمة شبه الله تعالى من أكل الربا بالإنسان الذي أصيب بالمس، وهو تشبيه المحسوس بالعقلي، جاء في تفسير غريب القرآن : " الذين يأكلون الربا لا يقومون " من قبورهم يوم القيامة " إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس " أي من الجنون ؛ يقال : رجل ممسوس[2] .

المشبه من أكل الربا (محسوس)، والمشبه به الإنسان المجنون (عقلي) لما شبه الله تعالى هذا بذاك كان هذا التشبيه من أروع ما يكون . جاء في البحر المحيط : (... وأصله من المس باليد، كأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه، وسمي الجنون مسا كما أن الشيطان يخبطه ويطأه برجله فيخيله، فسمي الجنون خبطة، فالتخبط بالرجل والمس باليد، ويتعلق : من المس بقوله : يتخبطه، وهو على سبيل التأكد، ورفع ما يحتمله "يتخبطه " من المجاز إذ هو ظاهر في أنه لا يكون إلا من المس، ويحتمل أن يراد "بالتخبط" الإغواء وتزيين المعاصي، فأزال قوله : من المس، هذا الاحتمال، وقيل : يتعلق بقوم، أي : كما يقوم من جنون المصروع...) [3]، وجاء في تفسير السعدي : (... أي يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطرين، متوقعين لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و" قالوا إنما البيع مثل الربا " وهذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهله)[4]، هذه الطائفة من الناس التي قصدها الله تعالى في الآية الكريمة لما سارت عقولهم خلف الربا شبه تعالى ضعف آرائهم وحركاتهم بالمجانين الذين سلبت عقولهم .

1- البقرة : آية (275).

2- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 98.

3- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، مراجعة : صدقي محمد جميل، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1: 1435هـ/ 1426هـ/ 2005م، ج2، ص : 706.

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 100.

المبحث الثالث أقسام التشبيه باعتبار أداته :

قبل أن نتعرض إلى أقسام التشبيه باعتبار الأداة لا بد من تحديد مفهوم الأداة أولا وما تؤديه من وظائف في بنية التشبيه، فأدوات التشبيه هي كل لفظ دل على معنى المشابهة، والمماثلة، والاشتراك، مما يؤدي معنى التشبيه كالمضاهاة والمحاكاة وهي مختلفة وكلها تفيد في تقريب المشبه من المشبه به وهي إما أسماء أو أفعال أو حروف[1].

فأما الأسماء لا حصر لها وكلها تفيد التشبيه نحو كلمة : مثل، ونحو، ممثل، مشابه وما جاء مرادفا لها، ومثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارا...** ﴾[2]، وأما الأفعال فهي أيضا لا حصر لها نحو: يماثل، يشابه، يضارع، يضاهي، يحاكي، يشبه ... وكل مرادفاتها .

وهناك أفعال تؤدي معنى التشبيه مثل : حسبت، وخلت، ويحسب ويخال، وتكون هذه الأفعال من قبيل أفعال الشك، والظن لذلك فهي تفيد بعد المشابهة لبعد الوجه عن التحقق وخفائه عن الإدراك ذلك أن الشك لا رجحان فيه [3]، من روائع ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا...** ﴾.[4]

وكقوله حسبت زيدا أسدا. وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه كالفعل (علم) لقرب وجه الشبه من الإدراك لأن العلم يفيد التحقيق بالأمور الواضحة الظاهرة[5]، ومن لطائفه قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا...** ﴾[6] ، أما الحروف فتنحصر في الكاف وما أضيف إليها من حروف كأن تضاف إليها أن فتصبح (كأن) وقد نطق القرآن والسنة بذلك ومنه فقد تأتي الكاف مفردة، أو مقترنة بحروف أخرى تؤدي معنى المشابهة[7].

1- ينظر : السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، د-ط، 2000م، ص : 236. وينظر : ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د-ط، د-ت، ص : 59.

2- البقرة : آية (17).

3- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص : 80 وما بعدها .

4- الإنسان : آية (19).

5- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية المعاني البيان البديع، ص : 273.

6- الأحقاف : آية (24).

7- ينظر : ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص : 59.

حرف الكاف: يقال أن الكاف هي أم الباب لبساطتها وخفتها على اللسان والسمع ومن هذا كثر وجود التشبيه بها فنراها أكثر ما توجد في التشبيهات على خلاف الحروف الأخرى نادرة الاستعمال [1]، والأصل فيها أن يليها المشبه به، إذا كان التشبيه مفردا[2]، والعكس إذا كان التشبيه مركبا فيليه بعض أفراد ذلك المركب كما ذكر علماء البلاغة العربية .و من روائع ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ** ﴾ [3]

جاء في تفسير السعدي: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا، ليتصوروها حق التصور ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية ... [4]، ومن لطائفه قول لبيد يرثي أخاه :

وَمَا النَّاسُ إِلاَّ كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا بِهَا يَوْمَ حلوها وغدوا بَلاَقِعِ[5]

فقد شبه لبيد وجود الناس في الدنيا وسرعة زوالهم منها وفنائهم من تلك الدنيا، أو كخلو الديار من أهلها واستعمل هنا أداة التشبيه وهي الكاف .

كــأن: تدخل هذه الأداة على المشبه به، أو يليها المشبه به وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ** ﴾[6] فالمشبه هو الجبل والظلة هي المشبه به وقد جاءت بعد (كأن)، من لطائف هذه الأداة قول امرؤ القيس **فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسِ كِتَّانٍ إِلىَ صُمِّ جَنْدَلِ**[7]

فقد شبه نجوم الليل كأنها شدت بحبال من كتان إلى صخور صلبة، جاء في شرح المعلقات السبع : لأن الليل طويل فكأن نجومه لا تبرح أماكنها، ويعني ذلك أن تلك الحبال شدت، النجوم بقوة فأطالت إقامتها[8].

1- ينظر : عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي لطباعة والنشر، ط4، ص : 41.

2- ينظر : عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية علم البيان، ص : 78.

3- الكهف : آية (45) .

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص :452.

5- ينظر : ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، دار صادر بيروت لبنان، د-ط، د-ت، ص : 88.

6- الأعراف : آية (171).

7- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص : 49.

8- ينظر : عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص : 40.

ويرى أكثر العلماء أن الحرف (كأن) حرف مركب من (إن) و(الكاف) فقالوا الأصل في (كان زيدا أسد) (إن زيدا أسد) ثم قدم حرف التشبيه لتأديته معنى التشبيه وبذلك تفتح همزة (إن) لدخول الجار عليها ،وزعم بعضهم أن الحرف (كأن) لا يكون للتشبيه إلا إذا كان خبرها جامدا نحو : كأن زيدا أسد بخلاف : كأن زيدا قائم لأنها بمعنى الشك والظن معنى ذلك أنه إذا كان خبرها وصفا أو جملة أو شبه جملة فهي فيها للشك، وتكون للتشبيه[1]، يقول ابن جني (ت392هـ) في الحرف (كأن) : (اعلم أن أصل هذا الكلام :زيد كعمر وثم أرادوا توكيد الخبر فزادوا فيه (إن) فقالوا :إن زيدا كعمرو ثم أنهم بالغوا في توكيد التشبيه فقدموا أول الكلام ،عناية به ،وإعلاما أن عقد الكلام، عليه فلما تقدمت الكاف وهي جار لم يجز أن تباشر (إن) :لأنها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل، فوجب لذلك فتحها فقالوا: كأن زيدا عمرو[2]) وبين الكاف وكأن لا بد من ملاحظة أن كأن أقوى وأبلغ من الكاف في الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به[3]بعدما تعرفنا على بعض أدوات التشبيه وما تؤديه من وظائف في بنية التشبيه سنعالج أنواع التشبيه بحسب الأداة :

المطلب الأول التشبيه المؤكد: وفيه ما تحذف الأداة ،ويسميه البعض بالتشبيه المضمر، ويقصد بالمؤكد أن التشابه بين الطرفين أكيدا [4]من روائعه قوله تعالى :﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ...**﴾[5] أي أن الجبال يوم القيامة ترى وهي تمر بهدوء كمر السحاب الذي يسير في الهواء بسبب دفع الرياح له، ومن لطائفه الشعرية قول المتنبي مادحا:

أَيْنَ أَزَمَعْتَ أَيهَذاَ الهُمَامُ؟ نَحْنَ نَبْتُ الرِّبَا وَأَنْتَ الغَمَامُ

كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطِبْهُ حِمَامُ كُلُّ شَمْسٍ مَالَمْ تَكِنْهَا ظَلاَمُ[6]

والمعنى أن المتنبي يؤكد أن كل عيش ما لم تطبه وتؤمنه هو كالموت، وكل شمس ما لم تكن أنت إياها كانت ظلام،لأنك عزمت أن تكون كالسحاب الأبيض النقي الخالي من الشوائب وتكون "نحن" نبات في الأراضي العالية،فقد حذف أداة التشبيه لتأكيد المعنى المقصود من هذا القول، أي نحن كالنبات وأنت كالغمام .

1- ينظر : عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية علم البيان، ص : 79.

2- ينظر : أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د-ط، ج1، ص : 317.

3- ينظر : منظور مستأنف، التشبيه والاستعارة، دار الميسرة، للنشر، والتوزيع، والطباعة، د-ط، د-ت ، ص : 46.

4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 47.

5- النمل : آية (88).

6- ينظر : ديوان أبو الطيب المتنبي، ص : 170/169.

لم يرد التشبيه المؤكد في المدونة التي بين أيدينا لذا سنعرض روائع من مواضع أخرى بغية التوضيح وبيانه وإبراز الفرق بينه وبين الأنواع الأخرى من التشبيه نقول : وجهك شمس في الإشراق وبنيته تكون كمايلي :

وجهك هو المشبه ⟵ و الشمس هي المشبه به ⟵ الإشراق هو وجه الشبه ⟵

و أداة التشبيه محذوفة، في هذا المثال تم ذكر المشبه والمشبه به ووجه الشبه وحذفت الأداة لتأكيد العلاقة بين المشبه والمشبه به أي بين : الوجه والشمس، وقس على ذلك في الأمثلة التي ترد من هذا النوع وأبين منه وأوضح ما ورد في النص القرآني .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ ...**﴾[1]، في الآية الكريمة تشبيه مؤكد حذفت منه الأداة يكمن في قوله تعالى : " الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء " حيث شبه تعالى الأرض بالفراش في الجلوس والاستقرار والمكوث فيه مطولا هذا التشبيه قرب بين المشبه والمشبه به إلى درجة أنهما يعتبران شيئا واحدا وشبه السماء بالبناء الذي يحمي صاحبه وهو ما يسمى بليغا كما سنرى في الصفحات القادمة .

ومن روائعه أيضا قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ **نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...**﴾[2] . في الآية الكريمة شبه تعالى النساء بالحرث : أي نساؤكم كالحرث أي : الأرض التي تزرع فتعطي وتنتج تماما كالمرأة التي هي أصل الولد، يقول صاحب تفسير غريب القرآن : " المرأة هي أصل للولد أي هن للولد، كالأرض للزرع [3] "، بمعنى آخر أن النساء هن حرث للرجال كونهن ينجبن الأولاد وهن أصل البشرية، هذه الأخيرة التي لا يمكنها أن تستمر في العيش على وجه الأرض تماما مثل الزرع الذي لا يمكن أن يعطينا إنتاجا ما لم يتم حرثه أولا

من جهة الإعجاز تحمل الآية الكريمة عظمة الله عز وجل الذي وفر كل شيء للعيش بداية من وقت خلق أمّنا حواء إلى يوم الحق ذلك أن الإنسان هو خليفة الله تعالى في الأرض كما ذكر في إحدى آياته ولبيان القوة العظيمة للمولى أخرج من أبينا آدم أمنا حواء وذلك من الضلع الأيسر له لاستمرار الحياة البشرية على سطح المعمور... وهذا التشبيه كما هو واضح حذفت الأداة مما أدى إلى ملازمة المشبه للمشبه به، بسبب حصول وجه الشبه بينهما المتمثل في أن كلاهما أصل للإنتاج .

1- البقرة : آية (22).

2- البقرة : آية (223).

3- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 84.

المطلب الثاني التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة، ويسميه البعض : بالتشبيه المظهر ؛ لظهور أداة التشبيه فيه، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ... **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ...**﴾[1]، فقد شبه الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة اتساع الجنة وكبرها المعدة للمتقين باتساع السماء والأرض اللذان لا بداية ولا نهاية لهما وفي ذلك تشبيه مرسل لأنه ذكر أداة التشبيه وهي حرف الكاف . فالمشبه (الجنة) والمشبه به (السماء والأرض)، ووجه الشبه (اتساع).

من روائع ما ورد في الجزأين الأخيرين من النص القرآني : ﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾[2]، بمعنى أنهم يشبهون جذوع النخل التي تعرضت لقطع رؤوسها من قيل الريح من قوة الطول جاء في تفسير السعدي : (...أي كأنهم جذوع النخل التي قطعت رؤوسها الخاوية، الساقط بعضها على بعض)[3]، وهذا الحال بين أنهم كانوا هلكى دمرتهم الريح وكسرت شوكتهم . يقول ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن : " أعجاز نخل " : أصول نخل خاوية بالية[4]، في هذا القول الكريم تشبيه مرسل شبه الله تعالى فيه هؤلاء الناس بالجذوع الطويلة العالية التي تقطعها الريح من شدتها وقوة الطول تماما كطول قاماتهم، وذكرت في التشبيه أداة التشبيه وهي الكاف .

يقول محي الدين الدرويش : (...و في قوله : "كأنهم أعجاز نخل خاوية " تشبيه مرسل، فقد شبههم بالجذوع لطول قاماتهم، وكانت الريح تقطع رؤوسهم، كما تقطع رؤوس النخل المتطاولة خلال تلك الأيام الثمانية، أو الليالي السبع، قيل : هي أيام العجوز، وذلك : أن عجوزا من عاد توارت في سرب، فانتزعها الريح في اليوم الثامن، فأهلكتها، وقيل : هي أيام العجز، وهي آخر الشتاء، وأسماؤها : الصّن، والضبر، والوبر، والآمر، والمؤتمر، والمعلل، ومطفئ الجمر، ومكفئ الظعن)[5].

يقول صاحب جامع البيان في تفسير القرآن (ت310هـ): (... وجعل هذه الحسوم من صفة الريح ...لم تبق منهم أحدا ...فأوحى الله إلى ملك الريح أن يقلع منهم كل يوم واحد ...)[6].

1- الحديد : آية (21).
2- الحاقة : آية (7).
3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 844.
4- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 483.
5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 47 وما بعدها .
6- ينظر : الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1412هـ/ 1992م م12، ج 28، ص : 31 وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، قدست أسراره .

قال تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ، فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ** ﴾[1]، شبههم الله تعالى بالحمر المستنفرة من باب التوبيخ والتهجين ...الخ، جاء في تفسير السعدي: (كأنهم في نفرتهم الشديدة منها، " حمر مستنفرة " أي : كأنهم حمر وحش، نفرت، فنفر بعضها بعضا، فزاد عدوها وفرت من صائد ورام يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور، عن الحق[2])، وقال صاحب تفسير غريب القرآن :(مذعورة استنفرت فنفرت ..." فرت من قسورة "، قال أبو عبيدة : هو الأسد وكأنه من (القسر) وهو القهر، والأسد يقهر السباع [3]).

جاء في : جامع البيان في تفسير القرآن: (... يقول تعالى ذكره فما لهؤلاء المشركين بالله عن التذكرة معرضين مولين عنها توليد الحمر المستنفرة فرت من قسورة واختلفت القراء في قراءة قولة : مستنفرة فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة بكسر الفاء وقوله : " فرت من قسورة " اختلف أهل التأويل في معنى القسورة فقال بعضهم : هم الرماة ... وقال آخرون : هم القناص ...و قال آخرون هي أصوات الرجال وقال آخرون بل هو الأسد ...الخ)[4] شرح صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه هذا النوع من التشبيه فقال : (في قوله : " كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة " تشبيه مرسل، شبههم بالحمر المستنفرة، وفي ذلك مذمة ظاهرة، وتهجين لحالهم، وشهادة عليهم بالبله، وقلة العقل، ولا ترى مثل نفار حمر الوحش، واضطرابها في العدو إذا رابها رائب)[5]، جاء في البحر المحيط:(... قال ابن عباس : المراد الحمر الوحشية، شبههم تعالى بالحمر مذمة وتهجينا لهم)[6] ،أي أن الغرض والهدف من هذا التشبيه هو الذم والتهجين، ومستنفرة والمعنى استنفرها : فزعها من القسورة ... واستنفر بمعنى عجب واستعجب وسر واستسخر وقال محمد ابن سلام : سألت أبا سرار العتوي، وكان ؟أعرابيا فصيحا، فقلت : كأنهم حمر ماذا مستنفرة طردها قسورة ؟ قفلت : إنما هو " فرت من قسورة "، قال : أفرت ؟ قلت نعم، قال: فمستنفرة إذن [7] ومن روائع التشبيه المرسل قول منزل التنزيل تقدست أسماؤه : ﴿ **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ** ﴾ [8] .

1- المدثر : آية (51/50).
2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 859.
3- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 498 .
4- ينظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، م12، ج 28، ص : 105 وما بعدها .
5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 142 .
6- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص : 338.
7- ينظر : المصدر نفسه، ج10، ص : 338.
8- القارعة : آية (5/4).

في قوله الكريم شبه الله تعالى الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث الذي يتهافت بعضه على بعض لا يدري إلى أي جهة يتجه من شدة الهول والخوف من هذا اليوم الموعود الذي سيحاسب فيه كل فرد على زاده الذي أحضره معه، وبالتالي بنية هذا التشبيه هي : الناس (المشبه) والفراش المبثوث (المشبه به) وأداة التشبيه المذكورة هي (الكاف) هذا عن الأول في التشبيه الثاني شبه الله تعالى الجبال (المشبه) بالعهن المنفوش (المشبه به) والأداة نفسها مكررة في التشبيهين ليكون في الآيتين تشبيهين رائعين .

قال السعدي : (من شدة الفزع والهول سيكون الناس كالجراد المنتشر الذي يموج بعضه في بعض، والفراش : هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض ...و أما الجبال الصم الصلاب فتكون كالعهن المنفوش الذي بقي ضعيفا جدا تطير به أدنى ريح [1]...)

يقول ابن قتيبة في تفسيره : (... " الفراش " : هو ما تهافت في النار : من البعوض والمبثوث : يعني المنتشر والعهن : يعني : الصوف المصبوغ ...)[2]، من جهة أخرى فسر الطبري هذا الكلام بقوله : يوم يكون الناس كالفراش وهو الذي يتساقط في النار والسراج ليس ببعوض ولا ذباب ويعني بالمبثوث المفرق ...يوم يكون الناس كالفراش المبثوث هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار ... قال هذا شبه شبهه الله وكان بعض أهل العربية يقول معنى ذلك كغواء الجراد يركب بعضه بعضا كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم في بعض [3]...

وقال محي الدين الدرويش عن هذا التشبيه : تشبيهان رائعان وهو تشبيه مرسل مجمل لأن وجه الشبه حذف، ففي الأول وجوه كثيرة منها : الطيش الذي لحقهم، وانتشارهم في الأرض، ركوب بعضهم بعضا، الكثرة التي لا غناء فيها ... أما تشبيه الجبال بالعهن فهو أيضا تشبيه مرسل مجمل ووجه الشبه أيضا كثير منها : التفتت والانهيار والصيرورة كالعهن [4]، وهذا حال من أحوالها أي يوم القيامة، والقرعة من القرع وهو الضرب، ناسب أن يذكر معها ما يوهن قوى الإنسان إلى ضعف الفراش المبثوث ويفكك ترابط الجبال إلى هباء العهن المنفوش [5].

1- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 892.

2- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 537 .

3- ينظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، م12، ج 28، ص : 182.

4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 395 بتصرف .

5- ينظر : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أصول البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، التتمة من عمل تلميذه : عطية محمد سالم، دار الكتب، بيروت، د- ط، د- ت، ج9، الثاني من التتمة، ص : 458 وما بعدها .

أي تصوير حالة الناس يوم القارعة التي يعتريها الخوف والفزع من قوة وهول يوم التلاقي بين الرب الكريم وعباده، من روائع التشبيه المرسل أيضا قول منزل التنزيل : ﴿ **يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ** ﴾[1]، يتحدث الله تعالى في هذا الموضع عن أهوال يوم القيامة وما سيقع فيه من الخوف والفزع فهو اليوم الذي تقع فيه الأمور العظيمة.

جاء في تفسير السعدي : (... أي يوم القيامة تقع فيه الأمور العظيمة، ف " تكون السماء كالمهل " وهو الرصاص المذاب، من تشققها وبلوغ الهول منها كل مبلغ ...)[2] .

وفي تفسير ذلك يقول ابن قتيبة : (والمهل هو ما أذيب من الفضة والنحاس ...)[3]، فالله تعالى شبه السماء بالمهل الذي هو عبارة عن مادة مذابة من الذهب والفضة وهو تشبيه مرسل .

يقول صاحب جامع البيان في تفسير القرآن : (... وقوله : " يوم تكون السماء كالمهل " يقول تعالى ذكره يوم تكون السماء كالشيء المذاب ... قال كعكر الزيت .... حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تكون السماء كالمهل تتحول يومئذ لونا آخر إلى الحمرة ...)[4].

قال محي الدين الدرويش : (... المهل : دردي الزيت، أو ذائب الفضة ... وفي قوله : " يوم تكون السماء كالمهل " تشبيه مرسل ووجه الشبه : التلون ...)[5]، وعليه تكون بنية التشبيه كمايلي :

المشبه ⟵ السماء .

المشبه به ⟵ المهل .

أداة التشبيه ⟵ الكاف .

حذف فيه وجه الشبه (التلون) على سبيل التشبيه المرسل القائم على حذف هذا الركن من البنية، أما العلاقة بين الركنين الأساسين ولماذا شبه هذا بذاك : يكمن في أن السماء في هذا اليوم العظيم يتغير لونها، ويصبح كلون المشبه به (المهل)، بهدف تصوير وتعظيم يوم القيامة وتهويل وتخويف الناس الضالين في الدنيا عسى أن يتغيروا ويتوبوا قبل ملاقاة ربهم يوم القيامة.

1- المعارج : آية (8).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 848.

3- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 485 .

4- ينظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، م12، ج 28، ص : 46.

5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 65 .

المبحث الرابع باعتبار وجهه: قسم علماء البلاغة العربية التشبيه باعتبار وجه الشبه فيه إلى أربعة أقسام وهي: 1- تشبيه التمثيل .

2 - تشبيه غير التمثيل .

3- التشبيه المفصل .

4- التشبيه المجمل .

قبل أن نتطرق إلى دراسة بنية كل نوع من أنواع التشبيه السابقة، لابد من معرفة المقصود بوجه الشبه، وجه الشبه هو المعنى أو الصفة التي يشترك فيها طرفا التشبيه على وجه الحقيقة أو على وجه الخيال والمراد بالحقيقة أن يرد المعنى بين الطرفين على التحقيق[1]، وذلك نحو تشبيه الرجل بالأسد فالشجاعة هنا حقيقتها موجودة في الإنسان فنقول : فلان كالأسد في الشجاعة . والمراد بالخيال أن يرد المعنى بين الطرفين على وجه التخيل والتأويل وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى أربعة أنواع وهي تشبيه التمثيل، وغير التمثيل، التشبيه المفصل والتشبيه المجمل.

المطلب الأول تشبيه التمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور عدة هذا ما تواضع عليه البلاغيون، ويشترط فيه تركيب الصورة، فكلما كانت عناصر الصورة أكثر كان التشبيه أبلغ وأوضح[2]، أي ما كان فيه وجه الشبه مستخلصا من متعدد حسي أو غير حسي [3]، من لطائف الأول : كأن مثار النقع، (حسي)[4]، ومن لطائف الثاني : قوله تعالى ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا....**﴾[5]، وهذا التشبيه وجه الشبه فيه مستخلصا من متعدد غير حسي، جاء في تفسير السعدي : (... ذكر تعالى أن الذين حملهم التوراة من اليهود وكذا النصارى، وأمرهم أن يتعلموها ويعملوا بما فيها، وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره ؟ وهل يلحق به فضيلة ...)[6].

1- ينظر : بكري شيخ أمين البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 28.

2- ينظر : أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دار الفكر بيروت، لبنان، ط2: 1972م، ج2، ص : 298.

3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 423 .

4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 423.

5- الجمعة : آية (5) .

6- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 825.

من روائع فن التشبيه التمثيلي قول الله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾[1]، والحجاب من الستر، أي أنهم لا يرون الله تعالى يوم القيامة ولا يظفرون برحمته عليهم، جاء في التفسير: أن الله تعالى جعل لهم ثلاثة أنواع من العذاب : عذاب الجحيم وعذاب التوبيخ واللوم، وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم وهو أعظم عليهم من عذاب النار . ومفهوم الآية دل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات [2]...

جاء في جامع البيان في تفسير القرآن : (... القول في تأويل قوله تعالى : "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ..." يقول تعالى ذكره ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذبون بيوم الدين من أن لهم عند الله زلفة أنهم يومئذ عن ربهم يومئذ لمحجوبون، فلا يرونه ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقال بعضهم معنى ذلك أنهم محجوبون عن كرامته وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم محجوبون عن رؤية ربهم وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون ويحتمل أن يكون المراد به الحجاب عن كرامته وأن يكون المراد به الحجاب عن ذلك كله ...)[3] .

قال أبو حيان : (... لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه . واحتج بهذه الآية مالك على سبيله الرؤية من جهة دليل الخطاب، وإلا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص . وقال الشافعي : لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا . ومن قال بأن لا رؤية، وهو قول المعتزلة، قال : إنهم يحجبون عن ربهم وغفرانه ... وقال أنس بن مالك : لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلى لأوليائه حتى رأوه ...)[4] .

من جهة أخرى تحدث محي الدين الدرويش عن هذا التشبيه التمثيلي فقال : (... وفي قوله : "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " تمثيل، للاستخفاف بهم، وإهانتهم، لأنه لا يؤذن على ذوي العلية والمراتب السامية إلا للمقربين المكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا الأذياء الموسومون بالمهانة، والقماءة، و الصغار ...)[5]، هذا ما ورد من شواهد الشبيه التمثيلي في النص القرآني الذي نحن بصدد دراسته أما عن بقية الأنواع الأخرى لم ترد في الجزأين المخصصين للدراسة لذا سنعرض لها شواهد قرآنية ولطائف شعرية من مواضع مختلفة قصد توضيحها .

1- المطففين : آية (15).
2- ينظر : المصدر السابق، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 875.
3- ينظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، م12، ج 28، ص : 64.
4- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص : 429.
5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 257.

المطلب الثاني تشبيه غير التمثيل: وهو ما لم يكن فيه وجه الشبه منتزعا من متعدد وهو خلاف تشبيه التمثيل فمنه ما كان ظاهرا يفهمه كل واحد حتى العامة كقولنا مثلا : زيد أسد، إذا المقصود بالتشبيه هنا الشجاعة دون غيرها، وهذا الأمر لا يخفى على أحد ومنه ما كان خفيا لا يذكره إلا الأذكياء الذين ترفع أذهانهم عند أذهان العامة من الناس [1]، ومن لطائف هذا النوع من التشبيه قول البحتري مادحا :

هُوَ بَحْرُ السَّمَاحِة وَالجُودُ فَازدَد مِنْهُ قُرْبًا تَزْدَدْ مِنْ الفَقْرِ بُعْدَا[2]

فالمشبه هو الممدوح والمشبه به هو (البحر)، ووجه الشبه الذي يشترك فيه طرفا التشبيه هو (الجود) المتوفر في الممدوح، المشبه، والبحر (المشبه به) لأن ما يوفره البحر من خيرات تقابل ما يقدمه الممدوح من منح وعطايا فوجه الشبه هنا لا يحتاج إلى تأويل أو تفسير بل هو ظاهر في الجود والكرم

و من لطائفه الشعرية أيضا قول امرؤ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيبْتَلِيْ[3]

فالمشبه هو الليل، والمشبه به هو (موج البحر الهائج) فقد أرخى هذا الليل سدوله التي طالت على الشاعر والتي جاءت مصحوبة بكل أنواع الهموم والأحزان ليختبر صبر الشاعر وقوة احتماله للمصائب ووجه الشبه بين الطرفين يكمن في (الظلمة)، لذلك فلا يشترط في تشبيه هذا النوع من التشبيه نظام أو ترتيب معين، فوجه الشبه فيه مفرد أي غير مركب مهما تعددت الصفات التي يشترك فيها الطرفان[4]، أبين من ذلك كله قول الله تعالى : ﴿ **فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ...**﴾[5]، ما يفهم من القول الإعلان عن الدين الحنيف والجهر بالدعوة .

جاء في تفسير السعدي: (...أي فإن آمنوا أهل الكتاب بمثل ما آمنتم يا معشر المؤمنين من جميع الرسل وجميع الكتب الذين أول من دخل فيهم وأولى : خامتهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وأسلموا لله وحده ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله فقد اهتدوا ...)[6]، بمعنى آمنوا إيمانا مماثلا والمماثلة تعني المساواة ومن هذا التمثيل نفهم معنى واحد وهو الإيمان .

1- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج4، ص : 90 وما بعدها .
2- ينظر : ديوان البحتري، ص : 357.
3- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص : 48.
4- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية المعاني البيان البديع، ص : 282.
5- البقرة : آية (137).
6- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 54.

المطلب الثالث التشبيه المفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه من ذلك مثلا :

- كلامك كالعسل في الحلاوة .
- خالد أسد في الشجاعة .

- وجهك كالبدر في الإشراق، كل هذه التشبيهات ذكر فيها وجه الشبه في المثال الأول : (الحلاوة) وفي المثال الثاني : (الشجاعة) وفي المثال الثالث : (الإشراق)، وأبين من ذلك، وأوضح ما ورد من روائعه في القرآن الكريم، قول الله تعالى : ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾ [1]، في هذه الآية الكريمة يشبه الله تعالى السفن التي تجري في البحار والتي لا تهدأ لا بالليل ولا بالنهار وشراعها مرفوعة شامخة شبهها بالجبال الشاهقة العالية أو القصور المرتفعة بناء ووجه الشبه هو العلو والارتفاع[2]، جاء في تفسير السعدي : (أي وسخر تعالى لعباده السفن الجواري التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، والتي ينشئها الآدميون، فنكون من كبرها وعظمها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة فيركبها الناس ويحملون عليها أمتعتهم وأنواع تجارتهم وغير ذلك مما تدعو إليه حاجاتهم وضرورتهم وقد حفظها حافظ السموات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة ...)[3].

ومن روائعه قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ....**﴾[4] والمقصود بالأنداد في الآية الأمثال من الأوثان التي يعبدونها وبيس المقصود بهم الرؤساء[5]، هؤلاء الناس الذين بين الله تعالى لهم آياته ووحدانيته ومع ذلك يجعلون له أندادا يعبدونهم ليتقربوا إليهم يقول السعدي في تفسيره: (... لما بين تعالى وحدانيته وأدلتها القاطعة ...ذكر أنه من الناس من يتخذ من المخلوقين أندادا لله أي نظراء ومثلاء يساويهم في الله بالعبادة والمحبة والتعظيم، والطاعة. ومن كان بهذه الحالة بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد، علم انه معاند لله مشاقق له، أو معرض عن تدبر آياته، والتفكير في مخلوقاته فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب، وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله لا يسووهم بالله في الخلق والرزق وإنما في العبادة فيعبدوهم ليقربوهم إليهم)[6] .

1- الرحمن : آية (24).
2- ينظر عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية علم البيان، ص : 47.
3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 794.
4- البقرة : آية (165).
5- ينظر : حسنين محمد مخلوف، كلمات القرآن تفسير وبيان، مكتبة رحاب للنشر والتوزيع، د-ط، د-ت، ص : 20.
6- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 64 بتصرف.

المطلب الرابع التشبيه المجمل: وهو ما حذفت منه وجه الشبه نحو الشواهد الآتية :

- أنت كالأسد .
- العلم كالنور والجهل كالظلام .
- ألفاظك كالعسل .
- وجهك كالبدر، في هذه الشواهد تشبيه مجمل لأنه لم يصرح فيه بوجه الشبه في الشاهد الأول وجه الشبه المحذوف هو (الشجاعة) وفي الثاني (الضياء والظلام) وفي الثاني (الحلاوة) وفي الرابع (الإشراق) ، ومن التشبيه المجمل ما وجه الشبه فيه حفي غير واضح لا يدركه إلا من كان له ذهن يترفع به عن عامة الناس كقول إحداهما لما سئلت عن بنيها أيهم أفضل فقالت : (فلان)، لا بل (فلان)، ثم قالت ثكلتهم إن كنت اعلم أيهم أفضل فهم كالحلقة المفرغة لا يدر أين طرفاها [1]. فتشبيه الأبناء بالحلقة المفرغة تشبيه مجمل، ووجه الشبه فيه محذوف، وهو تعذر جعل أولوية للأبناء على بعضهم البعض ويمكن أن نسميه تناسب الأبناء المانع من تمييزهم عن بعضهم، فالوجه هنا أمر خفي لا يستطيع إدراكه إلا من تفطن لذلك [2]، ومن التشبيه المجمل أيضا ما لم يذكر فيه وصف للمشبه به ومنه ما يذكر فيه وصف المشبه به وحده [3]، ومن ذلك قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[4]

في الشاهد الشعري تم حذف وجه الشبه فقد شبه الشاعر النعمان بن المنذر بالشمس عند طلوعها فالشمس تطمس كل شيء وتخفي معالمه، وكذلك حال النعمان بالنسبة لملوك عصره [5]، ومنه أيضا قول أبي تمام في مدح أحدهم: **صَدَفْتَ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبَهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يُخِبّ**
كَالغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رِيقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ [6]

فقد شبه الممدوح بالغيث في البيت الأول مشتمل على وصف الممدوح، وهو المشبه أما البيت الثاني فهو مشتمل على وصف المشبه به : وهو الغيث وكلا الوصفين يشعر أن وجه الشبه محذوف وهو بحكم القدرة على التخلص من كليهما فالممدوح كالمطر الذي لا يمكن لكل الكائنات الحية الاستغناء عنه.

1- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص :90و ما بعدها .
2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 285.
3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 285.
4- ينظر : ديوان النابغة الذبياني، تحقيق : كرم البستاني، دار صادر بيروت، د- ط، د- ت، ص : 18.
5- ينظر : عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص : 54.
6- ينظر : ديوان أبو تمام، ج1، ص : 21.

ومن روائعه في النص القرآني قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا....**﴾[1]، في هذه الآية الكريمة تم حذف وجه التشبيه على سبيل التشبيه المجمل، هذا الخطاب في الآية الكريمة موجه للمسلمين فقد أعاد الله تعالى الأمر بالذكر بعد أن أمر به والاستغفار تخصيصا عليه وإبطال لما كانوا عليه في الجاهلية من الانشغال بفضول القول والتفاخر والقصد من الآية أن يكون الحاج منغمسا في العبادة فعلا وقولا واعتقادا، فهي بيان لصفة الذكر لله وحده فقد حذف المصدر إذ الأصل في الآية : (فاذكروا الله ذكرا كذكركم آبائكم...) وهي إشارة إلى ما كانوا عليه من الانشغال في الجاهلية في أيام منن بالتفاخر بالأنساب والتفاخر بالأيام، ومعنى الآية الكريمة إذا أديتم عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى فاذكروا الله بالتكبير والثناء عليه مثلما كنتك تذكرون آبائكم عند الفروغ من حجكم بالمفاخر[2]، والمراد بالتشبيه ذكر الله بذكر الآباء في الكثرة، والتكرير، وتعمير أوقات الفراغ به، ثم عطفت جملة (أو أشد ذكرا) للتخيير، والمقصود من ذلك كله أن يذكروا الله كثيراً بل أشد وأكثر من ذكر الآباء والمعنى أنه تعالى شبه أولا ذكر آبائهم تعريضا بأنهم يشتغلون في تلك العبادات، والمناسك بذكر ما لا ينفع، وأن الأجدر بهم أن يعوضوا بذكر الله إذ هو تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر وليس في هذا التشبيه ما يؤذن بالجمع بين ذكر الله وذكر الآباء[3] فوجه الشبه محذوف بين طرفي التشبيه لأن الآباء لا يمكن أن يكونوا بمنزلة واحدة مع الله تعالى

ومن روائع هذا النوع أيضا قول الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[4]، يعد الصوم من الأحكام الشرعية العظيمة التي شرعها المولى عز وجل للأمة الإسلامية كافة بل هو من العبادات التي تهدف إلى صيانة وتهذيب وتزكية النفس البشرية وهذا ما يسمى بإصلاح حال الناس أجمعين، يقول محمد الطاهر بن عاشور : والمعنى أن كتب عليكم الصيام المعروف، حيث كان العرب يعرفون الصوم، وهو تشبيه في أصل فرض ماهية الصوم لا في الكيفيات [5]، إن المقصود من التشبيه الوارد في الآية ليس الاستمرار في صفة الصوم مثلما كان عند الأمم السالفة فلا وجود لوجه الشبه بين الصوم عند الأمة الإسلامية وبين الصوم عند الأمم الأخرى والهدف الذي قصده

1- البقرة : آية (200) .
2- ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص : 245 بتصرف .
3- ينظر : المصدر نفسه، ج2، ص : 245.
4- البقرة : آية (183).
5- ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص : 21.

الله تعالى من الصوم هو الاهتمام بهذه العبادة العظيمة والتي تختلف عند النصارى واليهود مقارنة بالصوم عند المسلمين .

في ذكر أقسام التشبيه ركزنا في تقسيمه اعتمادا على أركان التشبيه الأربعة (المشبه، والمشبه به، والأداة على اختلاف أنواعها، ووجه الشبه)، أولا من حيث الطرفين وهما الركنان الأساسيان في بنية التشبيه، وثانيا من حيث أداة التشبيه باعتبار ما تؤديه الأداة من وظائف جمة في عملية بناء التشبيه وثالثا باعتبار وجه الشبه مما يؤديه هذا الأخير من معاني الاشتراك، والمماثلة، والركنين الأخيرين يمكن الاستغناء عنهما (الأداة ووجه الشبه) : أي أنهما قد يظهرا أثناء عملية التشبيه، وقد لا يظهرا بخلاف طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به)، إلا أنه هناك أنواع أخرى تعارف عليها البلاغيون لا يمكن انتماؤها إلى أي قسم من الأقسام سالفة الذكر لعدم توفرها على عنصر من العناصر التي على أساسها تم تقسيم التشبيه .

المطلب الخامس التشبيه البليغ:

و فيه يحذف وجه الشبه مع الأداة ويبقى كل من المشبه والمشبه به فقط، فتتسع بذلك دائرة المبالغة لأن حذف أداة التشبيه تفيد أن المشبه هو ذاته المشبه به، لاشتراكها في نفس الحكم، وحذف وجه الشبه يجعل النفس تذهب كل مذهب ويوحى لها بصور عدة من وجوه التشبيه، ولذلك أطلق على هذا التشبيه باسم التشبيه البليغ [1]، والشيء إذا ناله الإنسان بعد جهد وطلب كان نيله أحلى، وموقعه في النفس ألطف، والتشبيه البليغ أعلى درجات التشبيه بلاغة، وأرفعها منزلة [2]، وليس كل تشبيه يستقيم بحذف الأداة ووجه الشبه، فلا يكون حذفهما أبلغ من ذكرهما، وإنما البلاغة تكمن في دقة التعبير وتحديد الغرض والهدف المقصود، وتقوية المعنى، وإثارة نفس المتلقي .

كقولك : (أنت بحر) فهذا تشبيه مؤكد لأنه حذف منه الأداة، ومجمل لأنه حذف منه وجه الشبه وهو ما يعرف بالتشبيه البليغ، فحذف الأداة الفاصلة التي تميز بين (أنت) و(البحر) أي : بين المشبه والمشبه به جعلتهما شيئا واحد، وأدت إلى زوال الفروق، فهما شيئ واحدا وزاد في ذلك الوضوح حذف وجه الشبه الذي يطلق الصورة، ولا يحدد جمالها فيجعلنا نتخيل أنه بحر واسع المجال والفكر كثير العلم يعرفك الناس بأنك مثقف، وخيالك واسع فتتسع الصورة التخيلية ليشمل كل شيء قد يخطر بالبال .

1- ينظر : بسيوني عبد الفتاح، دراسات بلاغية، مطبعة السعادة، ط1: 1989م، ص : 100.

2- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 90 .

من لطائفه الشعرية قول المتنبي :

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسَ مِنْ دَهرْهَم لَكَانُوا الظَّلاَمَ وَكُنْتَ النَّهَارا[1].

في هذا البيت نوع من المبالغة تحققت في تساوي طرفي التشبيه، مما يجعلنا نلمح أن طرفي التشبيه، يشتركان في كل الصفات، وهذا يفسح المجال للتأمل والتخيل للعديد من الصور المشتركة، حيث شبه الناس بالظلام في التشبيه الأول وفي الثاني شبه من يتحدث عنه بالنهار، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه يجعل المتلقي يتصور أن وجه الشبه هو كل ما وجد في الظلام والنهار من أشياء من روائع التشبيه البليغ الوارد في النص القرآني: قول الله تبارك وتعالى:﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشً،وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ،وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا...** ﴾[2].

ورد التشبيه البليغ القائم على بنية أساسية مكونة من المشبه والمشبه به فقط كثيرا خصوصا في هذه السورة، قال صاحب تفسير غريب القرآن : مهادا أي فراشا . والجبال أوتادا أي أوتادا للأرض وخلقناكم أزواجا أي أصنافا وأضدادا وجعلنا نومكم سباتا أي راحة لأبدانكم والسبت هو التمدد، وجعلنا الليل لباسا أي سترا لكم وجعلنا سراجا وهاجا أي وقادا بمعنى : الشمس وأنزلنا من المعصرات يعني : السحاب يقال : شبهت بمعاصر الجواري والمعصر : الجارية التي دنت من الحيض وماء ثجاجا أي سيالا، وجنات ألفافا أي : ملتفة، قال أبو عبيدة : واحدها : " لف" [3]....

هذه التشبيهات تعد من روائع ما ورد في النص القرآني وفيها شبه الله تعالى الأرض بالمهاد، والجبال بالأوتاد، والنوم بالسبات، والليل باللباس، والنهار بالمعاش ...الخ .

1- ينظر : ديوان المتنبي، ص : 233 .

2- النبأ : آية (16/6) .

3- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 508 بتصرف .

يقول محي الدين الدرويش معلقا على أحد هذه التشبيهات البليغة الواردة في السورة الكريمة : (... في قوله : " وجعلنا الليل لباسا " تشبيه بليغ، ووجه الشبه الستر لأن كلا من اللباس والليل يستر الملتبس به، أي : يستركم عن العيون إذا أردتم النجاة بأنفسكم من عدو يلاحقكم، أو بياتا له إذا أردتم إنزال الوقيعة به في منأى عن العيون، أو يعينكم على إخفاء ما ترغبون، في أن لا يطلع عليه أحد ...)[1] ، وقال صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : (... أما خلق الأرض والسموات فنبه عليه بقوله : " ألم نجعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا ... وأما إحياء الأرض بالنبات ففي قوله تعالى : " وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا، ... وأما نشأة الإنسان من العدم ففي قوله تعالى : " وخلقناكم أزواجا وأما إحياء الموتى في الدنيا بالفعل، ففي قوله تعالى :"و جعلنا نومكم سباتا " والسبات هو الانقطاع عن الحركة)[2]، وتشبيه هذا بهذا لغرض ديني وبلاغي.

من روائع ما ورد في هذه السورة أيضا قول منزل التنزيل : ﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا، يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا، وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا، إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا...**﴾[3]، شبه الله تعالى في الآيات الكريمة يوم الفصل بالميقات والسماء بالأبواب التي من شأنها الفتح والإغلاق، والجبال بالسراب، وجهنم بالمرصاد للناس الذين طغوا في الدنيا ووعدهم المولى عز وجل بالمكوث فيها والخلود مانعا عنهم كل شروط الحياة وبالمقابل يذوقون فيها العذاب الشديد .

يقول محي الدين الدرويش عن التشبيه الوارد في السورة الكريمة بكثرة : (... التشبيه كثير في هذه السورة، ونشير هنا إلى قوله : " وسيرت الجبال فكانت سرابا " وهو تشبيه بليغ، حذفت منه الأداة، وحذف وجه الشبه أيضا، وهو : أن المرئي خلاف الواقع، فكما يرى السراب من بعيد للظامئ الملتاح كأنه ماء، فيستبشر به، ويخف عليه، حتى إذا أدركه بعد طول الأين لم يجده شيئا، وكذلك ترى الجبال كأنها جبال، وليست كذلك في نفس الأمر)[4]، كل التشبيهات البليغة التي وردت في السورة الكريمة تم فيها حذف أداة التشبيه، ووجه الشبه الأمر الذي يجعل المتلقي يرى أن كل من المشبه والمشبه به هما في الأصل واحد لأنهما يشتركان في صفة أو شيء واحد .

1- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 197.
2- ينظر : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج9، ص : 7 .
3- النبأ : آية (21/17) .
4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 203.

المطلب السادس التشبيه الضمني:

وهو كل تشبيه لم تذكر فيه أركان التشبيه، وإنما يفهم من مضمون سياق الكلام، فقد رأينا سابقا أنه يجوز في أنواع التشبيه حذف الأداة، أو حذف وجه الشبه، أو حذفهما معاً . لكن هذا النوع شاذ عن تلك القواعد فريد من نوعه، وقد عرفه العلماء بقولهم : هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب بل والأكثر من ذلك أنه لا تذكر فيه أداة التشبيه أو وجه الشبه ويؤتى به ليفيد أن الحكم المسند إلى المشبه ممكن الوقوع ، ذلك أن الأديب سواء أكان كاتبا أو شاعرا قد يلجأ إلى التعبير عن بعض أفكاره بأسلوب يوحي بالتشبيه من غير أن يصرح به بل بفهم من السياق[1].

ويمكن أن ندخل هذا النوع في التشبيه المؤكد لأن التشبيه المؤكد محذوف الأداة ويضع المشبه والمشبه به في منزلة واحدة لتقوية وتأكيد المعنى والضمني شبيه به [2]، ومن بواعث ذلك التفنن في أساليب التعبير والابتكار والتجديد، وإقامة الحجة، والبرهان على الحكم إلى المشبه، أنه ممكن الوقوع.

من روائعه قوله تعالى : ﴿ ... **وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ....**﴾ [3] إذ لا نلمح في هذه الآية ما يشير إلى تشبيه، لكننا بعد التمعن في مغزى الآية يمكن أن نكشف عن القصد منها، أي أن الله سبحانه وتعالى أعد للكافرين الخالدين في نار جهنم مصيرهم الذي ينتظرهم وشبه الماء الذي يسقونه، بالماء الحميم أي شديد الحرارة بسكاكين تقطع أمعاءهم، وفي ذلك غاية في قوة البيان، وغاية في قدرة الخالق العظيم على معاقبة الكافرين إذ لم تذكر أداة التشبيه أو لم يذكر المشبه أو المشبه به ولكن المعنى يفهم ضمن السياق .

ومن لطائف هذا النوع من التشبيه قول البحتري مادحا:

ضَحُوكٌ إِلىَ الأَبْطَالِ وَهُوَ يَرُوعُهُمْ * وَلِلسَّيْفِ حَدٌّ حِينِ يَسْطُو وَرَوْنَقُ** [4].

فممدوح البحتري يلقى الشجعان بوجه ضاحك وهو يروعهم، ويفزعهم ن وفي الوقت ذاته ببأسه وشدته وشجاعته، وكذلك للسيف عنده عند القتال والضرب شدة وفتك وبطش ،فكما أن السيف فيه حدة ورونق فإن الممدوح فيه جد وهزل ومثل هذا الكلام لا نجد فيه ما يؤكد أنه تشبيه لكن يشتم منه رائحة التشبيه الضمني فهو لم يأت بالتشبيه صريحا وإنما أتى به ضمنا لبواعث سبق ذكرها.

1- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 48.
2- ينظر : عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية علم البيان، ص : 64.
3- محمد : آية (15) .
4- ينظر : ديوان البحتري، ج1، ص : 167.

و من لطائفه أيضا قول ابن الرومي :

قَدْ يَشِيبُ الفَتَى وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَرَى النُّورَ فِي القَضِيبُ الرَّطِيبُ [1].

فالشاعر يود أن يقول : أن الشيب قد يعتري الفتى في ريعان شبابه، ولا غرابة في ذلك لأن الغصن الغض الندي قد يرى في الزهر الأبيض قبل أوانه [2]

وقول أبي الطيب المتنبي :

وَإِنْ تَفِقَ الأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ [3].

في البيت الشعري يمدح أبو الطيب المتنبي سيف الدولة ، الذي يرى أنه قد فاق جميع الخلق وهو واحد منهم، وهو بتلك المرتبة العليا صار جنسا آخر، ولما احتاج لتقوية المعنى ألحقه بما لا نزاع فيه وهو المسك، والمسك كما هو معروف ذو رائحة رائعة قد فاق جميع الرياحين وخرج، عن بقية الروائح الطيبة وأصله دم الغزال لم يذكر الشاعر هذا التشبيه باللفظ الصريح وإنما يفهم من الكلام بهدف تقوية المعنى وتحسينه وإبراز جماليته .

إن الأصل في التشبيه أن يكون المشبه به أقوى وأظهر طبعا من المشبه وذلك حتى تتم العملية الفنية فحين نقول : هذا الكلام كالعسل، نكون قد شبهنا حلو الكلام بالعسل أقوى، وأظهر من أي شيء آخر، وكذلك حين نقول أنت بحر، نكون قد شبهنا المخاطب وهو (الرجل) الذي قد يكون واسع العلم، أو واسع الكرم كاتساع البحر، وطبيعي أن يكون البحر أكبر من الإنسان وأوسع مدى من جميع اليابسة على سطح الأرض لأن هذه هي حقيقته .

المطلب السابع التشبيه المعكوس: اتفق العلماء على أنه «جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر»[4] وفي هذا النوع من التشبيه يتبادل طرفا التشبيه مواقعهما، فيصير المشبه مشبها به والمشبه به مشبها وذلك وفق غرض ما يقصد المتكلم إلى تحقيقه [5]، والملاحظ أن البلاغيين القدامى أظهروا اهتمامهم الشديد بالتشبيه المعكوس على عكس الأنواع الأخرى التي لا تكاد تعثر على اهتمام بالغ بها لديهم، فقد أفردوا له أبوابا واسعة في كتبهم وأطلقوا عليه أسماء مختلفة.

1- ينظر : ديوان ابن الرومي، تحقيق : محمد الفاضلي، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1: 1995م، ص : 102.

2- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص : 103.

3- ينظر : ديوان المتنبي، ص : 175.

4- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص : 95.

5- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 43.

حسب رؤية كل عالم، والسبب في ذلك الاهتمام ما يؤديه هذا النوع من معاني بلاغية قوية، حتى قال عنه الجرجاني : «أنه يفتح بابا إلى دقائق وحقائق فيجعل الفرع أصلا والأصل فرعا»[1].

وسماه ابن جني : «غلبة الفروع على الأصول»[2]، ثم يضيف فيقول: «هذا فصل من فصول العربية طريف، تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة»[3]. من هذا يظهر أن الغرض من التشبيه المعكوس المبالغة في الشيء ،وفي هذا النوع من التشبيه يكون المشبه هو الأصل بحيث يتضح فيه وجه الشبه أكثر، ويكون المشبه به فرع تقل فيه صفة وجه الشبه ومنه قوله تعالى : ﴿ **بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾[4].

ومن روائع هذا النوع قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ....**﴾[5]. فالأصل في هذا التشبيه : أفمن لا يخلق كمن يخلق، لأن الخطاب موجه للذين يعبدون الأوثان والأصنام الذين سموا أصنامهم وأوثانهم آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فجعلوا غير الخالق مثل الخالق لأنهم بالغوا، وأسرفوا في عبادتها حتى صارت عندهم أصلا في العبادة لذلك فقد قدموها على مكانة الله سبحانه وتعالى مع أنهم يدركون أن الله هو الخالق الواحد فكان بذلك ضمن ما يعرف بالتشبيه المقلوب.

من بدائع ولطائف هذا التشبيه ما قاله البحتري في الغزل :

فِي طَلْعَةِ البَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثَنُّيهَا [6].

فالأصل أن يشبه وجه المرأة الجميلة بالبدر في الحسن والبهاء ويشبه قوامها بالغصن في الاعتدال لكن الشاعر هنا قلب التشبيه فانزاح وعدل عن قواعد التشبيه المعروفة المتداولة، فشبه القمر بوجهها وشبه الغصن بقوامها إشارة إلى شدة جمال الوجه، وشدة اعتدال القوام، زعما أن وجه الشبه في المشبه به المرأة أقوى وأظهر

1- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص : 177.
2- ينظر : ابن جني، الخصائص، ج1، ص : 300.
3- ينظر : المصدر نفسه، ج1، ص : 300..
4- البقرة : آية (275) .
5- النحل : آية (17).
6- ينظر : ديوان البحتري، ج2، ص : 542.

من المشبه البدر والقضيب [1].

ومن بدائعه قول امرؤ القيس في وصف فرسه :

بِهِ أَيْطَلِ ظَبْيٍّ وَسَاقاَ نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سَرْحَانٌ وَتَقْرِيبُ تَتْفَلِ[2].

فقد شبه الشاعر خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي لجمالها، كما شبه ساقيه بساقي النعامة لطولها ودقتها، وشبه عدوه بالذئب في جريه، وشبه سرعته بالثعلب، فالمشبه صور متعددة، كما أن المشبه به صور متعددة، وهذه تشبيهات معروفة ومتداولة، فقد حول بذلك تشبيهاته القريبة إلى تشبيهات بعيدة وهذا ما زاد التشبيه جمالا ورونقا [3].

1- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 98.

2- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص : 55.

3- ينظر : عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص : 48.

الفـــصل الثـــاني :

بنـــــية الكنـــايـــة

المبـــــــــحث الأول : مـــاهـــية الكنـــايـــة .

المبحث الثاني : أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه .

المبـــحث الثالث : أقسام الكناية باعتبار الوســـائط

تعد الكناية لون من ألوان التعبير البياني، اهتم بها العرب اهتماما كبيرا ، وعرضوا مكانتها في إيضاح المعنى والتأثير به، كما أنها وردت في مواضع كثيرة من كلام العرب ، هذا بالإضافة إلى وجودها في القرآن الكريم وقبل أن تطرق إلى دراسة بنية الكناية القرآنية لابد من الوقوف عند مدلولها اللغوي ومدلولها الاصطلاحي .

المبحث الأول ماهية الكناية :

المطلب الأول الكناية لغة :

ورد في المعاجم اللغوية أن الكناية من الفعل : كنى يقال : كنى به عن كذا، ويكنو كناية أي تكلم ما يستدل به عليه، ويمكن القول بأن كنى أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره أو بلفظ يحاذ به جانبا [1]، وجاء في معجم مقاييس اللغة : والكناية : من كنيت الشيء أكنيه إذا ستر بغيره، وقيل كناية وهي من الكن ' والكن من الستر والصون يقال : كنيت الشيء في كنيه إذا جعلته فيه وصنته، وأكنت الشيء : أخفيته ومنها الكنة كالجناح وهو شبيه، ومنها الكانون لأنه يستر ما تحته وسمي الرجل الثقيل كانونا لذلك[2].

جاء في المعجم الوسيط أن الكناية : كنى عن كذا كناية : تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح . وقد كنى عن كذا بكذا . فهو كان . و— الرجل بأبي فلان وأبا فلان كنية : سماه به .

أكناه، وكناه بكذا : كناه .

اكتنى بكذا : تسمى به .

تكنى فلان : ذكر كنيته عند الحرب ليعرف ؛ وهو من شعار المبارزين . و— تستر . و— بكذا : تسمى به .[3]

1- ينظر : محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، شركة، ومكتبة، ومطبعة، البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2 : 1952م، مادة : (كنى) .

2- ينظر : ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، د- ط، د- ت، ج4، مادة : (كنى) . وينظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة : (كنى).

3- ينظر : المعجم الوسيط، ج2/1، ص : 837.

ومنها الكنة فشاذة عن هذا الأصل، وهي امرأة الابن[1].

ما نلاحظه بعد عرض التعريف اللغوي للكناية أن كل المعاني اللغوية السابقة الذكر للفظ الكناية حملت نفس الدلالة عند اللغويين فالكناية : هي الصون، والستر، والخفاء، بمعنى أن نطلق لفظا ونحن نريد غيره أو لازم معناه، لكن يجوز إرادة المعنى الأصلي وذلك طبعا لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته كما سنرى في المطلب الثاني من هذا الفصل، حري بنا أن ننتقل إلى تعريف الكناية كما ورد في اصطلاح علماء البلاغة العربية .

المطلب الثاني الكناية اصطلاحا :

كما سبق ذكره أن البناء الأسلوبي للكناية يقوم بالأساس (كما ذكر السكاكي) على : " ترك التصريح بذكر الشيء أي : ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك[2] "، وكما تقول : طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو : طول القامة [3]...و غيرها من الأمثلة التي طرحها السكاكي في كتابه ، بمعنى أن السكاكي أراد القول : أن الكناية يقصد بها كلام أريد به لازم معناه وفي الوقت نفسه يجوز إرادة هذا المعنى المقصود من الكلام وذلك لعدم وجود قرينة مانعة كما أسلفنا الذكر .

يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : (البنية الكنائية تنمو في النص " محايدة " بين الحقيقة، والمجاز ؛ ضمن تشكيل ثنائي النتائج الصياغي، مطروحا في سياق التركيب، وهاتان البنيتان تسيران بخط متواز داخل منطقتي الحقيقة، والمجاز، على مستوى السطح، والعمق . وفي حالة كشف العمق عن جهة سير العناصر الدلالية، فإن النص يكون من حصة منطقة المجاز، وإلا فالمراوحة في المنطقة المحايدة ...)[4]، إن اللفظ الدال على وجود الكناية داخل التركيب يدل بالأساس على اختلاف معنيين في الحقيقة والمجاز وهذا ما أكده علماء البلاغة العربية أمثال : العلوي في كتابه الطراز، وابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وغيرهم من العلماء أما أبو هلال العسكري فقد عرف الكناية بقوله : " هو أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح

1- ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة : (كنى) .
2- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 402.
3- ينظر : المصدر نفسه، ص : 402.
4- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 495.

على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء»[1] ثم تحدث بعد ذلك عن الإرداف، والتوابع، والمماثلة...الخ .

و من أجل تحديد وضبط المفهوم الصحيح للكناية توالت جهود العلماء، إلا أنهم لم يظفروا بذلك ولم يأخذ هذا الفن طابعه العلمي إلا عند شيخ البلاغة العربية الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي تحدث عنه في عدة مواضع في كتابه «دلائل الإعجاز» فقال :

(الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومي به إليه ويجعله دليلا عليه)[2].

وهذا التعريف هو التعريف المنطقي للكناية فقد سار على نحوه كل من جاء بعد الإمام عبد القاهر أمثال السكاكي كما أسلفنا الذكر، فتعريفه يحمل نفس المعنى الذي حمله التعريف السابق له من فالكلام لا يذكر صراحة بل يذكر ما ينوب منابه...

تحدث ابن الأثير عن الكناية وخصص لها بابا مطول في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »، أشار من ناحية إلى خلط العلماء بين هذا المصطلح، وبين مصطلح التعريض ،هذا المصطلح (التعريض) الذي سنوضحه في صفحات لاحقة من هذا الفصل، كما ذكر عدة تعريفات للكناية ورجح من بينها هذا التعريف : (إن الكناية كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز ...)[3] .

1- ينظر : أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص : 407 .

2- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 113.

3- ينظر : أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المدرس بقسم اللغة العربية بالجامع الأزهر شركة مكتبة ومطبعة : مصطفى البابي، وأولاده مصر، د- ط، د- ت، ج2، ص : 194.

أضاف ابن الأثير بتعريفه هذا أن الكناية لها جانبان ، جانب للحقيقة، وأخر للمجاز، فقال :

(... إن الكناية إذا وردت تجاذبها جانبان حقيقة ومجاز، وجاز حملها على الجانبين معا ألا ترى أن اللمس في قوله تعالى : " أو لامستم النساء " يجوز حمله على الحقيقة والمجاز، وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل ...)[1]، أما الخطيب القزويني (ت 739هـ) فقد تحدث عن الكناية فقال : (...لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ...) [2].

فالمتكلم إذا أراد أن يثبت معنى من المعاني لا يذكره باللفظ الصريح إنما يتوصل إليه بذكر لفظ آخر يدل على معنى من شأنه أن يكون متبوعا له، فالمعنى التابع هو المعنى المجازي والمعنى المتبوع هو معنى الحقيقة وعلى هذا الأساس تكون الكناية طريقا وسطا بين المعنيين الحقيقي (المتبوع) والكنائي أو المجازي (التابع) .

العلوي (ت 476هـ) كذلك تحدث عن الكناية من خلال اعتماده على تعريفات السابقين له وعرفها قائلا:

(...هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة ومجاز من غير واسطة لا على جهة التصريح) [3] وهذا التعريف يصب في قالب واحد وتعريف ابن الأثير.

و عرفها بدر الدين الزركشي (ت734هـ) فقال : (الكناية عن الشيء : الدلالة عليه من غير تصريح باسمه) [4].

1- ينظر : المصدر السابق، ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص : 51.

2- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج 5، ص : 158.

3- ينظر : العلوي، الطراز، ج1، ص : 375.

4- ينظر :بدر الدين محمد بن علي الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، ج2، ص : 301.

كل هذه التعريفات التي جاءت بعد الجرجاني تصب في قالب واحد يكمن في : أن الكناية دلالة على شيء ما، ما دون ذكر اللفظ صراحة، ولكن ذكر ما يلازمه في المعنى، هذه التعريفات ما هي في الحقيقة إلا صورة لتطوير مفهوم الكناية عند البلاغيين .

والمشهور في تعريف الكناية عند المحدثين أنها لفظ ، أريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد [1]، كقولنا :

فلان طويل النجاد أي : طويل القامة .

وكقولنا : فلانة نؤوم الضحى، أي أنها مترفة لديها من يخدمها

ومع ذلك لا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد، والنوم في الضحى من غير تأويل . والفرق بين الحقيقة، والمجاز في هذا الوجه أي من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمة [2] ...

فكلمة (لفظ) تشمل الحقيقة والمجاز، وعبارة (أريد به لازم معناه) يخرج الحقيقة لأنها لفظ يراد به معناه الأصلي ن وخرج يقيد (مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد أي المجاز إذ لابد فيه من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي) [3].

مثال آخر : رأيت قمرا يضحك .

فلا يجوز في هذا المثال أن يكون المقصود منه القمر الحقيقي ؛ أي ذلك الكوكب الذي يشع نوره ليلا لوجود قرينة لفظية تمنع من ذلك وهي كلمة (يضحك) فالضحك من شأن الإنسان لا من شان كواكب السماء وهذا هو أساس الفرق بين الحقيقة والمجاز .

1- ينظر : إبراهيم علي أبو خشب، الأدب والبلاغة، مطبعة المعرفة، ط2: 1958م، ص : 188.

2- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج5، ص : 159.

3- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 199.

من روائع الكناية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ**﴾ [1] فمن نخوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بوصفهن البيض فقد جاءت الآية الكريمة بذلك [2]، وجاء في فتح القدير : (... قال اللؤلؤ المكنون . وأخرج ابن المنذر عنه في قوله : "كأنهن بيض مكنون " قال : بياض البيضة ينزع عنها فوقها، وغشاؤها[3]). إن الشواهد القرآنية كثيرة ومتنوعة جداً في مجال الكناية، وكلها جاءت بهدف تعليمنا الأسلوب الأدبي الرفيع في التعبير، فقد يلجأ القرآن الكريم إلى الصراحة أحيانا عندما يتطلب المقام ذلك، فيأتي التعبير واضحا وأحيانا يكون التعبير فيه غير صريح فيلجأ إلى الكناية للعدول عن الكلام القبيح، واللفظ المستهجن .

إن الكناية القرآنية تأتي عفوية في تحبيب الصورة وتجميلها وتقريبها من القارئ، أو في تبشيعها في ذهن المتلقي، لذلك تبدو وكأنها ترسم لوحة فنية رائعة تسير ألوانها في طرائق المبالغة والإيجاز وتشخيص الصورة وترسيخها في الذهن ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[4] .

فقوله تعالى : «ليس كمثله شيء» كناية عن نفي المماثلة عن ذاته تعالى مع أن معناه الحقيقي نفي المماثلة من مثله لا عن ذاته وهو سبحانه وتعالى لا مثل له ولا نظير . ومن روائع الكناية أيضا : ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[5] ، فقد عبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة عما لا يحسن ذكره بـ (جلودهم) لذا استنطق تعالى الجوارح لتشهد عليهم يوم القيامة . وهي كناية عن الفروج، وهي صورة مؤدبة جاءت حسنة اللفظ، ودقيقة التعبير [6].

1- الصافات : آية (49).

2- ينظر :ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص : 264.

3- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به، وراجع أصوله : يوسف الغوش، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2: 1425هـ/ 2004م، ص : 1240.

4- الشورى : آية (11).

5- فصلت : آية (20/19).

6- ينظر : أحمد مطلوب، فنون بلاغية، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ط1: 1975م، ص : 163.

ومن روائعها أيضا قول منزل التنزيل :﴿ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [1] في هذه الآية الكريمة كناية جميلة جدا تكمن في استخدام لفظ الطعام لأجل الدلالة على التغوط لأن التغوط يكون نتيجة لأكل الطعام، فالله تبارك وتعالى لم يصرح بلفظ التغوط كونه لفظ قبيح إنما كنى عنه بلفظ مستحب ومهذب يمكن للآذان أن تستصيغه (كانا يأكلان الطعام) وهو لفظ متداول بين العامة فالقرآن الكريم لما جاء هذب الألفاظ والعقول وأخرص البلغاء من العرب، يقول محي الدين الدرويش : (.. وفي قوله : " كانا يأكلان الطعام " كناية عن أنهما صلوات الله عليهما، بشر ؛ لأن أكل الطعام يستتبعه الهضم والنقض، فاكتفى بذكر أكل الطعام عن كل هذا تهذيبا وتصونا، وهذا غريب الكنايات في اللغة العربية ...و لا بد هنا من لفت النظر إلى أن الكناية – حيث وردت يتعاورها جانبا حقيقة ومجاز وجاز حملها عليهما معا)[2].

يقول صاحب فتح القدير : (أي هو مقصور على الرسالة ... استئناف يتضمن التقرير لما أشير إليه من أنهما كسائر أفراد البشر : أي من كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس برب، بل هو عبد مربوب ولدته النساء، فمتى يصلح لأن يكون ربا ؟ وأما قولكم أنه كان يأكل الطعام بناسوته لا بلاهوته فهو كلام باطل يستلزم اختلاط الإله بغير الإله واجتماع الناسوت مع اللاهوت [3])، أشار صاحب فتح القدير إلى أن المسيح عيسى عليه السلام من جنس البشر، مثله مثل بقية الخلق أجمعين ولد مثلهم يأكل مثلهم وله عادات يقوم بها مثلهم وهذا الكلام يقودنا إلى الحديث عن وجود كناية في كلام الله تعالى، من جهة أخرى لقيت الكناية فضاء رحبا ومجالا واسعا في كتب العلماء لذا اعتنى العرب والشعراء بها في مؤلفاتهم عناية كبيرة ، فكانوا يأتون باللفظ ويقصدون من ورائه معنى أخر له علاقة به، من روائع الكناية في الشعر العربي قول امرؤ القيس : **وَبِيضَةٌ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ جِباؤُهاَ تَمَنعَتْ مِنْ لَهوتِهاَ غَيْرَ مُعَجَّلٍ** [4].

تحدث الشاعر هنا عن المرأة فقال أنها كالبيض في سلامتها من الاقتصاص، أو في الستر أو في صفاء اللون

1- المائدة : آية (75).
2- ينظر :محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 2، ج 6، ص : 275.
3- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص : 386و ما بعدها
4- ديوان امرؤ القيس، ص : 38.

ونقائه أو في بياضها المشوب بصفرة بسيرة في تلازم جدرها غير مولعة بالخروج والولوج، فقد انتفع باللهو بها ولم يعجل عنها ولم يشغل عنها بغيرها وهي عادة من عادات العرب تشبيه المرأة ببيض النعام[1] ومن لطائف الكناية ما ورد عن العرب :

أَلاَ يَا نَخْلَةُ مِنْ ذَاتِ عِــرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْـمَةُ اللهِ السَّلاَمُ

وَلَيْسَ بِمَا اَحَــلَّ اللهُ بِـأْسٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُخَاطُهُ الحَرَامُ [2]

إن الشاعر في هذه الأبيات كنى بالنخلة عن المرأة فمحور الكلام هنا هي المرأة ثم أورد كناية أخرى عن الزواج في البيت الأخير، وأروع منه قول أبي تمام :

مَالِيْ رَأَيْتُ تَرَابَكُمْ يَبَسًا لَهُ مَالِيْ أَرَى أَطْوَادَكُمُ تَتَهَدَّمُ[3]

فقد ذكر الشاعر كنايتين في هذا البيت : الأولى : (يبس الثرى) فهي كناية عن تنكر الذات وعدم الاستجابة للآخرين وأما الكناية الثانية فهي (أطوادكم تتهدم) هذه كناية عن طيش العقول ... الخ والكنايات لها مواضع كثيرة فأحسنها وأجودها : العدل في الكلام القبيح بالإتيان بلفظ أحسن، ومن ذلك يعظم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكنية أو يكنى باسم ابنه صيانة لاسمه وقد ورد ذلك كثيرا في القرآن من روائعها قوله تعالى: **﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾**[4] ومعنى ذلك كنياه بقول حسن . وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي طالب رضي الله عنه باسم أخر وهو (أبو تراب) وفي ذلك كناية لطيفة حسنة [5]، وعن الآية الماثلة أمامنا يقول صاحب فتح القدير : (... أخرج ابن أبي حاتم عن علي في قوله : " قولا لينا" قال كنه ...وابن المنذر عن ابن عباس قال : كنياه ...)[6] .

1- ينظر : عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص : 25.

2- ينظر : ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص : 265.

3- ينظر :ديوان أبي تمام، ج3، ص : 199.

4- طه : آية (44).

5- ينظر :شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، للطباعة والنشر والتوزيع، د- ط، د- ت ص : 152.

6- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ص : 910 .

المبحث الثاني أقسام الكناية :

المطلب الأول باعتبار المكنى عنه :

قسم علماء البلاغة الكناية إلى ثلاثة أنواع بالنظر إلى المكنى عنه وهي :

1- كناية عن صفة .

2- كناية عن موصوف .

3- كناية عن نسب،

الكناية عن الصفة: وهي الكناية المطلوب بها نفس الموصوف فقد يتحدث المتحدث بجملة ولا يريد منها نسبة خاصة ولا موصوفا بعينه، حينئذ يقال إن الكناية تهدف إلى إثبات صفة أو نفيها، فنحن حين نقول : فلان خازن ماله . أو فلان يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ثم يحاسبه الله يوم القيامة حساب الأغنياء، أو فلان يحرص على الدهر حرصه على روحه . أو فلان عبد لما له ... فمرادنا من ذلك إثبات، صفة البخل، لأن أذهاننا لا يمكنها أن تتصور أي معنى آخر سوى صفة البخل [1].

و تحدث الخطيب القزويني عن هذا النوع من الكناية (الكناية عن صفة) وقسمها إلى قسمين اثنين : كناية قريبة، وكناية بعيدة، والقريبة بدورها تنقسم إلى قسمين أيضا : كناية قريبة واضحة، وكناية قريبة خفية واستدل على كل نوع منها بشواهد توضحها. يقول الخطيب القزويني : (... وهي ضربان : قريبة وبعيدة : القريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة وهي : إما واضحة كقولهم عن طول القامة طويل نجاده وطويل النجاد والفرق بينهما : أن الأول كناية ساذجة، والثاني كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول ...و إما خفية كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة ...)[2]، هذا عن النوع الأول، وقد فصل الخطيب القزويني في النوع الثاني من هذا القسم معتمدا بذلك على الكثير من الشواهد الشعرية .

1- ينظر : إبراهيم علي أبو خشب، الأدب والبلاغة، ص : 189و ما بعدها بتصرف .

2- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج5، ص : 164و ما بعدها .

وفيها قال: ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة، كقولهم كناية عن الأبله عريض الوسادة، فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا، ومنه إلى المقصود ...و كقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف [1]... نقول عن فلان أنه كثير الرماد الذي هو وليد الحطب هذا الأخير الذي هو وليد النار ووجود النار يتطلب الطبخ دليلا على وجود الضيوف وبالتالي فلان يمتاز بالكرم والجود ...و عن هذه الكناية رسم لنا الدكتور عبد القادر عبد الجليل المخطط التالي[2] :

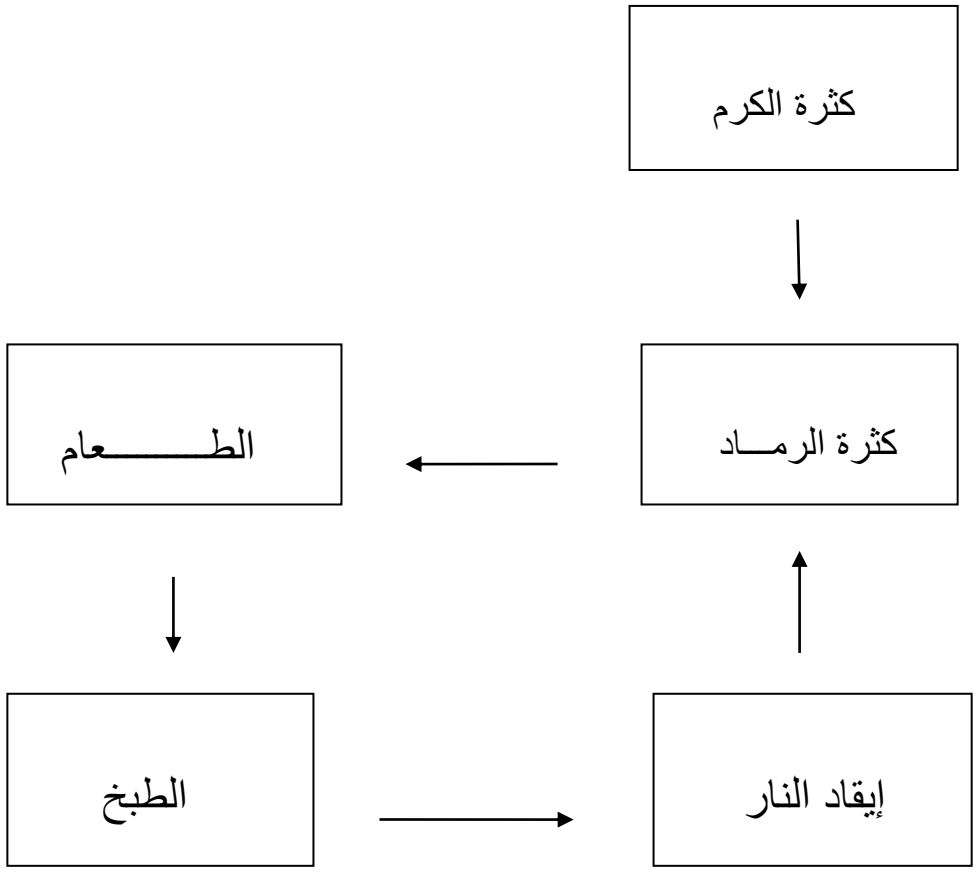

كما أشرنا سالفا أن كثرة الكرم هي نتيجة ، كثرة الرماد، ووجود الرماد دليل على وجود الطعام، والطعام لا بد أن يكون ناضجا عن طريق الطبخ والطبخ يستدعي إيقاد النار .

1- ينظر : السابق، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج5، ص : 166 .

2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 498 .

هذه الصفة (صفة الكرم) هي صفة معنوية تلازم الموصوف كغيرها من الصفات الأخرى مثل الشجاعة والبسالة ...إذا أردنا أن نصف أحدا ما بها، تختلف هذه الصفة عن الصفة المعروفة عند علماء النحو المعروفة بالنعت . لا بد من الإشارة إلى نقطة مفادها أن حظ الكناية في الجزأين الأخيرين من النص القرآني يكاد يكون شبه منعدم فقد وردت كليا حوالي ثلاث مرات فقط لذا رأينا أنه من اللازم أن نستشهد بشواهد قرآنية أخرى من مواضع مختلفة، وكذا بالشواهد الشعرية قصد التوضيح وتيسير الفكرة مع العلم أنها شغلت بالمقابل حيزا كبيرا في بقية الأجزاء الأخرى من القرآن الكريم .

من روائع هذا النوع من الكناية : قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ [1] ، إن الحديث في الآية الكريمة قد دار حول صفتين معنويتين هما صفتا (البخل)، و(الإسراف) ، لكن القرآن الكريم لم يذكرهما بالاسم الصريح بل عبر عنهما كناية بتصويره الفني الرائع والدقيق وذلك بالتلميح والإشارة إليهما كونه هذب الألفاظ وأدب المصطلح بأدبه فقرن البخل باليد المغلولة إلى العنق لأنها مقيدة لا تتحرك لقصرها، وقرن التبذير والإسراف باليد المبسوطة التي لا تقبض شيئا وليست مستقرا لشيء أبدا .

وعليه تضم الآية الكريمة تصويرا محسوسا لكنايتين متغايرتين الأولى عن البخل باليد المغلولة إلى العنق والثانية عن الإسراف باليد المبسوطة بطريقة رائعة التصوير، دقيقة التعبير ... يقول صاحب فتح القدير : هذا النهي يتناول كل مكلف سواء كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تعريضا لأمته وتعليما لهم أو الخطاب لكل من يصلح له من المكلفين . والمراد النهي للإنسان أن يمسك إمساكا يصير به مضيقا على نفسه وعلى أهله ولا يوسع في الإنفاق توسيعا لا حاجة إليه ...فهو نهى عن جانبي الإفراط والتفريط ومثل حال الشحيح بحال من كانت يده معلولة إلى عنقه ومثل حال من يجاوز الحد في التصرف بحال من يبسط يده بسطا لا يتعلق بسببه فيها شيء مما تقبض الأيدي عليه [2]، وقال الله تعالى : ﴿ ... **كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا**... ﴾[3]، في هذه الآية الكريمة كناية رائعة التصوير تتمثل في اكتمال هاتين الجنتين في النمو كونهما ليستا عبارة عن أشجار ربما تعطينا ثمارا وقد لا تعطي في بعض الأحيان ولبيان وتفسير هذه

1- الإسراء : آية (29).
2- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص : 819.
3- الكهف : آية (33) .

الكناية يقول صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه : (...و احترس بقوله " ولم تظلم منه شيئا " من أن يكون ثمة نقص في الأكل الذي آتته، وليكون كناية عن تمام الجنتين، ونموهما دائما وأبدا، وأنهما ليستا على عادة الأشجار، حيث يتم ثمرها [1]، فتؤتيه ببعض السنين دون بعض، أو تأتي بالثمر ناقصا عاما بعد عام، فهي فياضة المورد في كل حين فقد استوفى وصف الجنتين هذه الفنون [2]... ومن روائع ما ورد في الشعر العربي ، قول عمر بن أبي ربيعة : **بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ**[3].

ففي البيت ذكر الشاعر الموصوفة وهي (صاحبة القرط) في مؤلفات أخرى ذكر أن اسمها علية وقيل : علية بعيدة مهوى القرط . كما ذكر النسبة التي تجمعهما بالصفة وهي (بعد مهوى القرط إليها) وهذه طبعا كناية على طول الرقبة، يقول الدكتور بكري شيخ أمين:(... وهو في ذلك لم يقصد يعد مهوى القرط لذاته بل قصد ما ينجر عنه ذلك من طول عنقها وهو مظهر من مظاهر الجمال في النساء العربيات...) [4]، لذلك فقد أراد أي يعدل عن القول الصريح فكنى عنه ببعد مهوى القرط، وفي ذلك تعبير مجازي جميل، ومن روائعها أيضا قول امرؤ القيس :

وَيَضْحَى فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومُ الضُّحَى لِمَنْ تَنْتَطِقُ عَنْ تَفَضُّلِ [5].

ففي بين امرؤ القيس ثلاث كنايات: الكناية الأولى (فتيت المسك) كناية عن صفة الغنى والترف وحياة البدخ .. والكناية الثانية : (نؤوم الضحى) كناية عن صفة الترف في المعيشة أي أنها ليست بحاجة للقيام بالأعمال المنزلية التي تقوم بها الأخريات، والكناية الثالثة : (لم تنتطق عن تفضل) كناية عن أنها لا تشد وسطها بحزام للقيام بأعمال ولا تبقى في ثوب واحد للعمل أو النوم[6]. ومنها أيضا ما ورد عند الخنساء وهي ترثي أخاها صخرا فالشائع قولها عنه بوصفها له :

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ كَثِيرُ الحَطَابِ إِذَا مَا شَتَا .

لكن في ديوانها ورد قولها : **طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَـــــهُ أَمْرَدَا** [7].

1- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م4، ج15، ص : 497.
2- ينظر : المصدر نفسه ، م4، ج15، ص : 497
3- ينظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص : 348.
4- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 407.
5- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص : 45.
6- ينظر : عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص : 34.
7- ينظر : ديوان الخنساء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8: 1401هـ =

إن المقصود من كلام الخنساء لازم المعنى الذي يكمن في : طول قامة أخيها، إذ ليس المراد من قولها أن نجاده طويلة لأن طول القامة يتطلب طول النجاد، من جهة أخرى قالت : رفيع العماد، وهذه كناية عن عظمته في أبناء قومه، ثم ذكرت في البيت الشائع أنه كثير الرماد وهذه الكناية سبق شرحها .

ومن الكنايات التي تترد على الألسنة :

1- ليلى نؤوم الضحى .
2- أحمد حط عصا الترحال .
3- ليث شق عصا الطاعة .
4- سعاد طاهرة الذيل .
5- محمد يشار إليه بالبنان .
6- زياد يسير على البيض .
7- زاهد ركب جناحي نعامة .

8- الحارث رابط الجأش[1]، تحتوي هذه الأمثلة الماثلة أمامنا على كنايات متعددة، في العبارة الأولى : كناية عن الترف كما ورد في البيت الشعري السابق، وفي الثانية : كناية عن الإقامة لذا نقول عن فلان أنه حط عصا الترحال إلا إذا اعتمد الإقامة في مكان معين، وفي العبارة الثالثة : كناية عن العصيان والتمرد والشقاء، وفي العبارة الرابعة : كناية عن العفة والطهارة والشرف، والعبارة الخامسة : كناية عن الشهرة والصيت، وفي العبارة السادسة : كناية عن البطء في السير ؛ لأن البيض يشار به عادة إلى قلة وبطء الحركة، وفي العبارة السابعة : كناية عن السرعة، بينما في العبارة الثامنة والأخيرة : كناية عن الصمود[2]، أشرنا في الصفحات الأولى من الفصل إلى أن علماء البلاغة العربية أمثال الخطيب القزويني قد قسموا هذا النوع من الكناية (الكناية عن صفة) إلى نوعين هما : كناية عن صفة قريبة والتي بدورها تقسم إلى قريبة واضحة، وقريبة خفية، وكناية عن صفة بعيدة، ولبيان ذلك أكثر سنحاول استنطاق بعض الشواهد بغية التفريق بينهما .

= 1981م، ص : 31 ، ومعنى أمردا : أي أنه ساد قومه وهو ما زال يافع العود (ورد هذا الشرح في هامش الديوان، ص : 31) .

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص :502.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 502بتصرف .

الكناية القريبة الواضحة : من روائع ما ورد فيها البيت الشعري السابق لعمر بن أبي ربيعة :

بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ[1].

هذه كناية لا تحتاج إلى شرح كبير لأن الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الكنائي لا يحتاج إلى تدقيق وشرح كبيرين بل يمكن أن يدرك بسهولة ويسر وسرعة وذلك لعدم وجود واسطة [2].

الكناية القريبة الخفية : والخفية : وهي ما لا يفهم منها المعنى الكنائي المقصود إلا مع شيء من التأمل والتفكير لخفاء اللزوم بين المكنى به والمكنى عنه ، من روائع ما ورد فيها من أمثلة : قول طرفة بن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِيْ تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِدِ [3]

فقد أراد الشاعر أن يفتخر بنفسه فكنى عن ذكائه بصغر حجم رأس الحية، وقد جعله دليلا على توقد الذهن إلا أن ذلك لم يفهم مباشرة إلا بعد أعمال فكر من الأناة والتأمل والرؤية لخفاء اللزوم – نوعا ما – بين المعنى الأصلي والمعنى الكنائي الذي من الممكن أن لا يدرك [4].

الكناية البعيدة : يقول السكاكي في تعريفه لهذا النوع من الكناية : (...وهي أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بواسطة لوازم متسلسلة)[5]، مثل القول السالف : فلان كثير الرماد فالقارئ لا يمكنه أن يدرك المقصود بيسر إنما لا بد له من أن يسير على مجموعة من الوسائط ليصل إلى المقصود الكنائي ؛ بمعنى آخر لابد من الانتقال من الرماد إلى الجمر ومنه الرجوع إلى الحطب الدال على وجود الطبخ، ووجود الطبخ دليل على وجود ضيوف وصاحب الضيف هو المقصود من المعنى هنا أي الكرم والجود ... كانت هذه الأمثلة من باب التفريق بينهما .

1- ينظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص : 348.

2- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 202 بتصرف .

3- ينظر : ديوان طرفة ابن العبد، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د-ط، 1399هـ/1979م، ص : 37.

4- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 204.

5- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 171.

وقبل أن ننتقل إلى النوع الثاني من الكناية (كناية عن موصوف) نوجز في مايلي مجموعة من الشواهد القرآنية في الكناية عن الصفة عموما يقول منزل التنزيل : ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [1]، والمقصود من الآية الكريمة تسفيه المشركين في إعراضهم عن دعوة الإسلامية بعد أن بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإسلام يقوم على أساس الحنيفة وهي معروفة عندهم بأنها صلة إبراهيم . واستعمل الاستفهام في الآية للإنكار والاستبعاد، فإن الإعراض عن ملة إبراهيم الحنيف المسلم مع العلم بفضلها ووضوحها أمر منكر مستبعد، فاستعمل الاستفهام لأن من شأن المنكر المستبعد أن يسأل عن فاعله . ومنه فهي كناية عن صفة الإنكار والاستبعاد

والرغبة طلب أمر محبوب فحق فعلها أن يتعدى نفي وقد يتعدى بمن إذا ضن معنى العدول عن أمر وكثرة التضمين في الكلام والملة هي الدين [2] يقول صاحب فتح القدير : (... في موضع على الابتداء، والاستفهام للإنكار ... قال الزجاج : سفه بمعنى جهل، أي : جهل أمر نفسه، فلم يفكر فيها ...)[3] .

وقال تعالى أيضا : ﴿... **وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [4].

وهي كناية عن صفة الثبات على الإسلام وصفة العفو والصفح وفيها تعريض باليهود، لأنهم لا يقدرون قدر عفو المسلمين وصفحهم وأما (البصير العليم) فهي كناية عن إضاعة جزاء المحسنين والمسيئين، لأن العليم القدير إذا علم شيئا فهو يترتب عليه ما يناسبه، إذ لا يذهله جهل ولا يعوزه عجز وفي هذا وعد لهم يتضمن وعيدا لغيرهم، لأن الله إذا كان عالما بما يعمل المسلمون فإنه عالم بما يعمل غيره [5] .

ذكر الله سبحانه وتعالى وقدم النفس البشرية أولا في هذه الآية الكريمة، لأن النفس هي أغلى وأثمن شيء يملكه الإنسان فالنفس هي من يقوم بطاعة المولى عز وجل والعفو والتسامح والصفح والثبات وهي كناية قريبة واضحة لأن المتلقي يدرك بيسر طريقة المعنى الذي انتقل من دائرة الحقيقة إلى دائرة المجاز (المعنى المجازي) دون الاعتماد على وسائط .

1- البقرة : آية (130).

2- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص : 725 .

3- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص : 95.

4- البقرة : آية (110).

5- ينظر : جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص : 23.

ومن روائع الكناية عن الصفة قول الله تعالى : ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [1]. والمراد بالمرض هنا معناه المجازي لأنه هو الذي يتصف به المنافقين وإنما كان النفاق واجبا لازدياد مقارنته مع سوء الأخلاق لأن النفاق يستر الأخلاق الذميمة فتكون مذمومة عن الناصحين والمربين والمرشدين، فاستعمل لفظ (المرض) كناية عن النفاق لأن النفاق في كلمته مساوئ الأخلاق بمنزلة كتم المريض داءه عن الطبيب [2]، لقد استعمل هذا اللفظ في الآية الكريمة لأنه شائع في كلام العرب ولأنه أبلغ تمثيل لما اتصف به المنافقين من صفات ذميمة كالكذب، والمكر، والغش، الخداع، واللؤم ... وما إلى ذلك من الصفات الوضيعة الدنيئة فزادت هذه الكلمة المعنى التصاقا بالذهن مع البلاغة والإيجاز وهذه الكناية بعيدة كونها تحتاج إلى وسائط حتى تكون قريبة من ذهن المتلقي .

وفي موضع آخر يقول الله تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [3]، وجيء (بأن) الشرطية لأن الأصل فيها عدم القطع مع عدم فعلهم لأنها الأرجح لمقام التحدي والتعجيز، وذلك أن القصد إظهار هذا الشرط في صورة مبالغة من إدعائهم على المعارضة، ثم قال (ولن تفعلوا) فالمعنى إيتوا أولا بسورة مثله وأنكم لا تستطيعوا أن تأتوا بها لأن الله على يقين بأنهم لن يستطيعوا الإتيان بمثل القرآن، لذلك جاءت (لن) الدالة على نفي المستقبل فالنفي بها يحمل معنى التأكيد فلها موقع أحسن من النفي بـ (لا)، وقوله : (ولن تفعلوا) من أكبر معجزات القرآن ولها وجهات : الأولى أنه أثبت عدم مقدرتهم الإتيان بمثل القرآن الكريم، والثانية أنه أخبر عن ذلك العجز في المستقبل [4]

فهي آية معجزة من نوع الإخبار عن الغيب كما ذكر في كتب التفاسير، فإن آيات المعارضة الموجودة بكثرة في القرآن الكريم قد أعجزت المعارضين المعاندين من العرب، الذين أبوا تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي ما ورد في الآية الكريمة كناية عن صفة العجز عن الإتيان بسورة واحدة مثل سور القرآن الكريم، أما عن كونها قريبة أو بعيدة نقول عنها بعيدة : لأنها كثيرة الوسائط تحتاج إلى طول تمعن، وتفكير، ، كما يمكن أن تكون كناية عن ترك صفة عناد هذه الطائفة من إتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

1- البقرة : آية (10).

2- ينظر : أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص : 115

3- البقرة : آية (24).

4- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص : 218.

وفي قوله تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ...**﴾ [1]، ومعنى (فادنوا بحرب من الله ورسوله) أي فاعلموا أنكم ستلاقون من الله ورسوله تهديدا، ووعيدا . فهي كناية عن صفتي التهديد والوعيد ولم يقصد بذلك الحرب المحسوسة الحقيقية تلك التي تكون بين فئتين تحكمهما علاقة العداوة فتجد الثاني يغتنم الفرصة للقضاء على نظيره، وإنما ذكر لفظ (الحرب) هنا لأن من صفة الحرب أن تكون ذات تهديد ووعيد في شدتها ووقعها، فهي كناية قريبة وفي ذلك معرفة ويقين بأن انتقام الله أشد انتقام، وهو ما يدل على عظمته ووجوب طاعته والخضوع لأوامر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والالتزام بطاعته .

كناية عن موصوف: يقول الخطيب القزويني في تعريفه لهذا النوع من الكناية : (وهي المطلوب بها غير الصفة ولا النسبة، بل يكون المكنى عنه موصوفا ... وفي هذا النوع نذكر الصفة، كما نذكر النسبة، ولا نذكر المكنى عنه، والصفة توصيل إلى الموصوف المحذوف لأنها من تعتبر من خصائصه [2])، وذلك أننا نصرح بالصفة، كما أننا نصرح بالنسبة الحاصلة بين الموصوف وصفة الملازم له ،إلا أننا لا نصرح بالموصوف صاحب الصفة مباشرة بل نكني عنه بما يدل عليه ويستلزمه، وهي أيضا : (... اللفظ المشتمل على صفة أو صفات يظم بعضها إلى بعض بقصد إثبات موصوف واحد...) [3] شريطة أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه فقط، هذا وقسم العلماء هذا النوع من الكناية إلى قريبة وبعيدة

فالقـــريبة : التي يكنى فيها عن الموصوف بمعنى واحد وهي:(أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكرها متواصلا بها إلى ذلك الموصوف ...) [4]من روائعها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ...**﴾ [5]، ففي هذا الآية الكريمة كناية واضحة، فقد كنى الله تعالى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب أن يكنوا على المرأة بالنعجة ولا يصرحوا باسمها لأن ترك التصريح بذكر المرأة أجمل منه وأدق في التركيب، ولهذا لم يذكر في القرآن الكريم امرأة باسمها عدا السيدة مريم[6]. فقد جاءت الكناية عن الموصوف في هذا المثال وهي المرأة بمعنى واحد لا غير.

1- البقرة : آية (279).

2- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج5، ص : 162 بتصرف .

3- ينظر : إبراهيم علي أبو خشب، الأدب والبلاغة، ص : 192.

4- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 170.

5- ص : آية (23).

6- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 225 بتصرف .

وقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ** ﴾ [1]، فقد ذكرت الصفة الخاصة بموصوفها وهي (لصاحب الحوت) ولم يذكر الموصوف، بل كنى عنه بصفة المستلزمة له والموصوف المكنى عنه هو سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام وفي ذلك اتفقت الصفة على معنى واحد للموصوف.

ومن روائعها أيضا قوله عظم سلطانه في السورة نفسها : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾[2]، وهي كناية عن الذل والمهانة أي وكأنه تعالى يقول عن هذا الإنسان أنه كالبهيمة، والموصوف هنا محذوف . يقول محي الدين الدرويش : (وفي قوله " سنسمه على الخرطوم "كناية عن المهانة، وأحط دركات الذل ؛ إذ لما كان الوجه أشرف ما في الإنسان، والأنف أكرم ما في الوجه جعلوه مكان العزة والحمية ... وهو غاية الإذلال، والإهانة، والاستبلاد ؛ إذ صار كالبهيمة لا يملك الدفع عن وسمه في الأنف ...)[3].

و البعيـــدة : وهي التي يكنى عن الموصوف بمجموعة من المعاني التي تجتمع مع بعضها البعض حتى تشكل الموصوف المكنى عنه حتى تحضر في ذهن القارئ (وهي بأن تتكلف اختصاصها بأن تضم إلى لازم أخر وأخر ...)[4] بمعنى آخر : أن تضم عددا من المعاني إلى بعضها البعض ثم تتظافر هذه المعاني فيما بينها ، وتكوّن مع بعضها البعض موصوفا من روائعها قول منزل التنزيل :﴿ **وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ** ﴾ [5]، فقد كنى الله سبحانه وتعالى بمعنيين مختلفين، ومتغايرين عن الموصوف، وهي : (السفينة)، والمعنيين هما الألواح، والدسر [6]، جاء في الكشاف : (... والدسر جمع : دسار : وهو المسمار وقيل خيط من اللبق تشد به الألواح [7] ومن روائع هذا النوع قوله تعالى : ﴿ **أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾[8]

1- القلم : آية (48).
2- القلم : آية (16) .
3- ينظر :محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 30 وما بعدها .
4- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 170.
5- القمر : آية (13).
6- ينظر : عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص : 105.
7- ينظر : أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (دسر)، ص : 30.
8- الزخرف : آية (18).

لم يعبر الله سبحانه وتعالى عن الموصوف وهو في الآية الكريمة : (البنات) بمعنى واحد بل عبر عنه بمعنيين من جنسين مختلفين، يقول عبد العزيز قليقلة : (... وهما التنشئة في النعمة والزينة، والعجز عن الإبانة في الخصام والجدال ...) [1].

وكقولهم كناية عن الإنسان : (جاءني حي مستوي القامة عريض الأظفار) [2] نقول ذلك : لأن هذه الأوصاف الثلاثة تختص به مجتمعة، مع بعضها البعض فلو قلنا : حي، فهذا القول لا يكنى للدلالة عليه، وكذا الحياة واستواء القامة لأن القط وغيره هو حيوان ومن المؤكد انه يشارك الإنسان في ذلك ولو قلنا مثلا : في عريض الأظفار فقد تساوى في ذلك مع الجمل وهو حيوان أيضا لكن عندما ذكرنا كل هذه الأوصاف مجتمعة غير متفرقة أدركنا أنها كناية عن الإنسان .

من روائع ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ...﴾ [3].

فقد أحل الجماع مع النساء، كما أحل الأكل والشرب شأنه في ذلك شأن الأكل والشرب أيام الصوم، لأن من شان القرآن الكريم العدول عن اللفظ القبيح بلفظ حسن يمكن أن تستصيغه الأذن، وتذهب إليه وهذه الصفة أوصلت الذهن مباشرة إلى الموصوف لأنه صفة من صفاته.

وفي قوله تعالى أيضا : **﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾** [4]، وهي أيضا كناية عن موصوف وهو الجماع كما في الآية السابقة، والمراد بالحرث في الآية تشبيه المرأة بأرض الحرث لأن أصل الحرث الزرع كما أن المرأة أصل الولد [5]، وهي كناية عن الجماع بالإتيان، أطلق (فأتوا حرثكم) أي أحرثوا في أي مكان شئتم، وهو لفظ جميل مستحسن عدل به عن لفظ قبيح وهو (الجماع بالإتيان)، وإنما عدل عن لفظ الجماع بلفظ (الحرث) لأن الحرث صفة من صفات الموصوف المقصود في الآية لأن المرأة مثل الحرث في أن كلاهما يؤدي إلى الإنتاج، وهي أيضا كناية عن موصوف من النوع القريب، لا تحتاج إلى وسائط توضحها

1- ينظر : عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص : 105.
2- ينظر : السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص : 275 .
3- البقرة : آية (187).
4- البقرة : آية (223).
5- ينظر : ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص : 84.

و من روائعها قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾[1]، إن المقصود من هذه الآية هو تمجيد الرسل وتعليم المسلمين أن هذه الفئة الطيبة مع عظم شانها قد فضل الله بعضها على بعض، وأسباب التفضيل لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد خص الله من جملة الرسل ببعض الصفات التي يتعين بها الموصوف فذكر صفة التفضيل وعدل عن ذكر الموصوف بأن ذكر صفته الملازمة له [2]، وقوله : (ورفع بعضهم درجات) يتعين أن يكون المراد من البعض هنا واحد من الرسل لا مجموعة منهم، وهذه الدرجات عديدة منها عموم الرسالة، وختم النبوة، وتفضيل أمته عن سائر الأمم والمعجزات الكثيرة [3]، ففي الآية كنايتان الأولى صفة (التكليم) التي خص الله بها سيدنا موسى عليه السلام، والثانية صفة (الرفعة) التي خص بها خاتم أنبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهما موصوفان، وفي كلا الصفتين معجزات تؤدي بالعقل البشري إلى معرفة حقيقة الله سبحانه وتعالى وإدراك معجزاته التي لا تنته وضرورة عبادته وتوحيده وطاعته في كل شيء، وفي قوله أيضا : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...** ﴾ [4]، وقد عطفت الواو على قصة خلق البشر وعلى قصة خلق السماوات، والأرض استدلالا إلى الله واحد لبطلان شركهم وتخلصنا من ذكر السماوات والأرض إلى خلف النوع الذي هو سلطان الأرض والمتصرف في أحوالهم وموقع الدليل بخلق آدم على الوحدانية، هو أن خلق أصل النوع أمر يمكن إدراكه لأن كل إنسان إذا ما أعاد ذهنه إلى وجوده علم أن هناك وجود مسبوقا لوجوده [5] هكذا قال السيوطي .

فكانت الآية الكريمة على هذا الوجه إشارة إلى أن حاجة البشر إلى إقامة خليفة، الخليفة : آدم عليه السلام لأن الله هو من أراده أن يكون كذلك، لما سمعت الملائكة بهذا الأمر سألت الله تعالى عن الفساد الذي سيكون في الأرض فالله تعالى جعله خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس، وتطبيق أحكامه تعالى في الأرض كما أمر. فجاء لفظ (خليفة) للدلالة على خلافة الله تبارك وتعالى في الأرض، وهي صفة ملازمة لسيدنا آدم عليه السلام لأن الله عندما خلقه خصه بصفة تنفيذ أحكامه في الأرض وهذه طبعا كناية عن موصوف لا تحتاج إلى وسائط

1- البقرة : آية (253).
2- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص : 7 .
3- ينظر : المصدر نفسه، ج3، ص : 7 .
4- البقرة : آية (30).
5- ينظر : جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص : 8.

لشرحها فهي من النوع القريب والله أعلم، وقوله أيضا: ﴿ ... **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...** ﴾ [1]، والتأييد هو التقوية والإقدار ويكون على العمل النفسي، وهو مشتق من الأيد وهو القوة كما أنه مشتق من اليد لأنها آلة القدرة [2]، والمراد بالقوة هنا القوة المعنوية وهي قوة الرسالة التي تحمّلها سيدنا عيسى عليه السلام المكللة بالصبر على الأذى، الذي ألحقه به قومه [3]، وذكرت صفة (روح القدس) لزوما لموصوف كنى عنه وهو في الآية الكريمة المقصود به سيدنا جبريل عليه السلام .

والروح جوهر نوراني فهو مدرك بالعقل وغير مدرك بالحواس ومعناه الروح المطهرة كما أن القدس بمعنى النزاهة والطهارة ن والمقدس هو المطهر [4]، وإنما وصف سيدنا جبريل بتلك الصفة لأنه يلازم سيدنا عيسى عليه السلام أينما ذهب ويقويه كما أنه كان يأتيه بالوحي وينطق على لسانه وهو في المهد وحين الدعوة إلى الدين، وهي كناية بعيدة لأن الروح المقدسة قد يفهم منها عدة معاني أخرى غير هذا المعنى .

الكناية عن نسبه: وهو أخر نوع من أنواع الكنايات فيما يخص المكنى عنه ويراد بها : إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف [5]، وهي أن يصرح بالصفة وكذا يصرح بالموصوف غير أنه لا يصرح بالنسبة التي بينهما، ويذكر مكانها نسبة أخرى تدل عليها مع أنها هي المقصودة، ومن روائع هذا النوع من الكناية قول الله تعالى : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [6]، فقد أثبت الله تعالى الخوف للمقام وهو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة وأراد بذلك الخوف من الله سبحانه وتعالى، وترك المعاصي، ويراد بذلك هيمنه ربه عليه ومراقبته له وعلم الله تعالى بما يسره وما يخفيه فيتجنب الإنسان المعصية ويبتعد عن اقتراف الآثام والمعاصي [7]، فلم يصرح الله تعالى في الآية الكريمة بالنسبة المقصودة بل ذكر نسبة أخرى تدل على النسبة الحقيقية وهي الخوف منه تعالى يوم الحساب يوم التلاقي ليحاسب كل واحد على أفعاله .

1- البقرة : آية (87).
2- ينظر : حسنين محمد مخلوف ، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص : 15 .
3- ينظر : جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص : 18 بتصرف .
4- ينظر : المصدر نفسه، ص : 18.
5- ينظر : أحمد مطلوب، فنون بلاغية، ص : 180، وبكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 411.
6- الرحمن : آية (46).
7- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 212.

ومن روائعها قوله تعالى : ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** ﴾ [1].

فإنه تعالى قد أثبت التفريط في جنب الله وهذا شيء غير ممكن لأنه محسوس لا يجوز على الله سبحانه وتعالى لأن المراد من جنب الله هو : (حق الله) وبمعنى أنه فرط في عبادة الله عز وجل وطاعة أوامره وتقواه

جاء في تفسير السعدي : (...و لا تنفع الندامة " وتقول نفس ياحسرتى على ما فرطت في جنب الله " أي : في جانب حقه، في الدنيا ... في إتيان الجزاء حتى رأيته عيانا...)[2]، فمن الواضح أنه لم يذكر النسبة التي بين الصفة والموصوف صراحة بل ذكر ما ينوب عنها يقول أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت 538هـ) معقبا على هذه الآية الكريمة بأنها : «من حسن الكناية وبلاغتها»[3].

وكذا قوله تعالى : ﴿ **الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ [4]، ففي الآية الكريمة أراد الله عز وجل أن يعبر عن يوم القيامة لا بصريح اللفظ بل بنسبة أوصافها وتأكيدها بالقارعة كناية عن القيامة، وقد أثبت أمرا لأمر، وذلك أن القيامة تقرع القلوب بأهوالها ووقعها، وفي ذلك تعظيم لشانها، وتفخيم ومبالغة لمعناها .

ومثل هذه الآية الكريمة قوله تعالى عن هذه اليوم أيضا : ﴿ **الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ...** ﴾ [5]، لقد ورت في النص القرآني عموما عدة تسميات ليوم القيامة منها القارعة، والحاقة، الصاخة، والطامة الكبرى ويوم الحق، يوم الحساب ... وغيرها من الأسماء الدالة على هذا اليوم الذي ينقسم فيه خلق الله تعالى إلى فريقين، فريق في النار، وفريق في الجنة كل حسب عمله جاء في فتح القدير : (... الأمر يحق في يوم القيامة، وهي تحق في نفسها من غير شك ... صادقة واجبة الوقوع والوجوب ...)[6] .

1- الزمر : آية (56).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 694 .

3- ينظر : أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص : 106.

4- القارعة : آية (1) وما بعدها

5- الحاقة : آية (1) وما بعدها .

6- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص : 1522.

ومن الروائع الشعرية للكناية عن موصوف : قول المتنبي في مدح كافور :

إِنَّ فِي ثَوْبُكِ الَّذِي المَجْدُ فَيهِ لَضِيَاءٌ يَزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ [1].

والأصل أن يضيف الشاعر المجد والنور الذي ذكره في البيت بالضياء إلى الموصوف وهو الممدوح غير أنه نسب الصفتين لثوبه وهي كناية عن نسبة، لا بد أن نذكر في هذا المقام نقطة مفادها أن هذه الأنواع (كناية عن صفة، كناية عن موصوف كناية عن نسبة)، لم يتم تحديدها في العصور الأولى بالرغم من أن شيخ البلاغة العربية الإمام عبد القاهر تناول الكناية بنوع من الدقة، والضبط إلا أن أبا يعقوب السكاكي هو الذي وضع اللبنة الأولى لهذه الأنواع وتبعه في ذلك المتأخرون ممن تناولوا الشروح والحواشي ...

من روائع الكناية عن نسبة ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [2]، والكناية تكمن في قوله : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) والمعنى ولا تعطوا الهلاك أيديكم، فهي كناية عن نسبة الإلقاء إلى الأيدي في حين أن الإلقاء يكون للذات أي : لا تتخلوا، ولا تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا الإسراف أن اليد هي التي تقوم بالإنفاق بل هي العضو الأساسي لهذه العملية، والإلقاء ما هو إلا رمي الشيء من اليد.

وفي قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [3]، وقد استعمل (يشري) في الآية الكريمة، على وجه المجاز إذ المقصود بها : يبيع، والمعنى : ومن الناس من يذل نفسه للهلاك ابتغاء مرضاة الله أي هلاكا في نصر الدين والحق، فقد نسب البيع للنفس لأن النفس كما أشرنا سالفا أغلى ما يملك الإنسان، وهذا أعلى درجات الإيمان وهي من المدركات في حين أن البيع يكون للمحسوسات . وقوله تعالى : (والله رؤوف بالعباد) فهذه كناية عن الخيرات : كالرحمة، والرأفة، ومنه فقد نسب الله عز وجل الرأفة للعباد الصالحين الذين منهم من يشري نفسه ابتغاء مرضاته في حين أن الله رؤوف بجميع العباد الصالحين منهم وغير الصالحين، وفي ذلك بيان من صفاته عز وجل التي منّ بها على العباد فهو الرءوف الرحيم .

1- ينظر : ديوان المتنبي، ص : 288.

2- البقرة : آية (195).

3- البقرة : آية (207).

من روائع ما ورد في الكناية عن نسبة قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [1]، فهي كناية عن نسبة الثبات للقواعد إذ يكون الثبات في الأصل للبيت، ففي الآية الكريمة أراد الله عز وجل أن يعبر عن رفع البيت الحرام وبنائه لا باللفظ الصريح بل بنسبة ثبات الرفع للقواعد لأنها هي الأساس في البناء، والقواعد جمع قاعدة وهي أساس البناء الموالي للأرض الذي به ثبات البناء قد أطلق لفظ (قاعدة) على الأساس لأنها شبيهة بالقاعدة في اللصوق بالأرض [2].

ورفع القواعد يعني إبرازها من الأرض والاعتلاء بها لتصير جدارا لأن البناء يتصل بعضه ببعض ويصير وكأنه شيء واحد فالجدار إذا اتصل بالأساس صار الأساس مرتفعا، يقول صاحب تيسير الكريم الرحمن : (واذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء ...حتى إنهما دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما حتى يحصل فيه النفع العميم)[3].

من الجانب البلاغي هذه كناية عن نسبة ثبات القواعد للبيت، ومن الجانب النفسي صور الله تعالى أيضا الحالة التي كانت تعتري سيدنا إبراهيم، وإسماعيل أثناء قيامهما برفع قواعد بيته عز وجل، فالنص القرآني هو الوحيد من بين النصوص الشعرية، وحتى النثرية الذي يتمتع بربط مجالات عديدة في موضع واحد ؛ أي أننا من خلال تفسير آياته نجدها تضم جانب بلاغي تحدد من خلاله نوع الصورة البيانية : تشبيها كانت أو استعارة أو كناية أو مجازا أو نوع المحسن البديعي : جناسا أو طباقا أو سجعا ...الخ، أو نوع الأسلوب ما إذا كان خبري أو إنشائي، كما أنها تضم جانب النحو الذي لا ينفك عن البلاغة هذا بالإضافة إلى كونه يحيط بكل الصور النفسية وغيرها من الجوانب الأخرى . وعن بيان الجانب النحوي يقول صاحب البحر المحيط : (..." وإذ يرفع إبراهيم " : هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، فالعامل في إذ ما ذكر أنه العامل في إذ قبلها . ويرفع في معنى رفع، وإذ من الأدوات المخلصة للمضارع إلى الماضي ؛ لأنها ضرف لما مضى من الزمان . والرفع حالة الخطاب قد وقع [4]...)

1- البقرة : آية (127).

2- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص : 716.

3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص :51.

4- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج1، ص : 618.

الكناية على العموم أسلوب من أساليب البيان المتنوعة التي لا يقو عليها إلا من تمرس في فن القول، وما من شك أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتصريح، لأنها في كثير من صورها تعطي القضية وبرهانها وكذا دليلها أن الكلام المقرون بدليله أقوى من الكلام الخالي من الحجة والبرهان، يقول الجرجاني في ذلك :

(...أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم، إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها ...وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا وذلك أنك لا تدع شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف بحيث لا يشك فيه)[1].

إذا كان للكناية مزية على التصريح فليست تلك المزية في المعنى المكنى عنه، وإنما هي إثبات ذلك المعنى، فالمبالغة التي تولها الكناية، ولا تضفي بها على المعنى حسنا، وبهاء تكمن في إثبات دور المثبت.

و عليه الكناية أسلوب حضاري مهذب ؛ لأن التعبير فيها عن القبيح يتم بمراعاة ما تستسيغه الأذن[2]، وعن طريقها يستطيع الإنسان أن يقول كل ما يريد، دون أن يكون لأحد عليه اعتراض إضافة إلى أن في الكناية قوة دفع كبيرة جدا للجانب الإدراكي في الأدب وذلك بالربط بين المعنيين الحسي، والمعنوي وكانت الكناية هي الوسيلة الوحيدة التي تسمح للمرء أن يعبر بالرمز، والإيحاء والإشارة، والتعريض عن كل ما يدور بخاطره وهذا ما سنعالجه في المبحث الثالث من هذا الفصل حتى نستطيع التفريق بين المصطلحات، والكناية في الكتاب العزيز، ذات مكانة عظيمة، فهي في صورة حية مؤثرة في النفوس البشرية فضلا على أنها تتميز بالإيجاز، وإيجاز الكناية في القرآن الكريم يدعو المتلقي إلى التأمل والتفكير والبحث عن المعنى المقصود، فهي تسير بعفوية في تحبيب الصورة وتجميلها في النفوس.

رأينا في المبحث الثاني أن الكناية قسمت بحسب المكنى عنه إلى : كناية عن صفة، كناية عن موصوف، وكناية عن نسبة، من جهة أخرى قسم علماء البلاغة العربية الكناية باعتبار الوسائط إلى :

- أولا : التعريض، ثانيا : التلويح / التلميح، ثالثا : الإيماء، رابعا : الرمز .

1- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 118.

2- ينظر : بشير كحيل، الكناية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، ط1 : 1425هـ /2004 م، ص : 232.

المطلب الثاني الكناية باعتبار الوسائط :

التعريض

أولا لغة :

جاء في المعجم الوسيط : عرض الشيء عرضا، وعروضا : ظهر وأشرف . يقال : عرض له أمرا، وعرض له عارض . وأمكن – يقال : عرض له الصيد، وعرض له الخير[1]، بمعنى آخر أن التعريض في اللغة العربية ضد التصريح بالشيء أي هو الستر والتورية .

ثانيا التعريض في اصطلاح علماء البلاغة :

يقال أن التعريض : أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق، نحو قولك للمؤذي : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " تعريضا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي [2]، والتعريض أيضا هو : المعنى الحاصل عند اللفظ لا به، فجعله : المعنى الحاصل عند اللفظ شامل للحقيقة والمجاز والكناية، وقولهم : لا به، مخرج لهذه الأنواع جميعا، لأن الحقيقة والمجاز والكناية يدل عليها بالألفاظ ...أم التعريض داخل بهذا القيد فإنه حاصل بغير اللفظ وهو السياق وقرائن الأحوال [3]...

يقول الخطيب القزويني في تعريفه للتعريض : (الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة : فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا[4])، يفسر الخطيب كلامه فيقول : (أي أن الكناية إذا كانت مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض لأنه إمالة الكلام وتوجيهه إلى عرض يدل ذلك العرض على المقصود، فالعرض الذي أميل الكلام إليه هو المعنى الكنائي، والمقصود هو المعنى المعرض به المقصود من سياق الكلام) [5]. وعن التعريض ذكر الدكتور عبد القادر عبد الجليل أنه لا يجري إلا مع البناء المركب ولا يأتي مع الإفراد[6] .

1- ينظر : المعجم الوسيط، ص : 266.
2- ينظر : بكري شيخ أمين البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 163 .
3- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 164و ما بعدها .
4- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م2، ج5، ص : 175و ما بعدها .
5- ينظر : المصدر نفسه، ، م2، ج5، ص : 176، تحدث الخطيب في هامش هذه الصفحة عن التعريض بشكل مفصل.
6- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 510.

من بين الشواهد القرآنية الدالة على التعريض قول منزل التنزيل : ﴿ **وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ** ﴾ [1] .

ولا يختلف اثنان في أن الرجل إذا أراد الزواج من امرأة وهي مازالت في فترة العدة لا يجوز له أن يطلب ذلك منها صراحة ولا حتى من باب المجاز ولا بالمعنى الكنائي حتى في حين أنه إذا عرض لها بذلك وهي في العدة لا جناح عليه .

جاء في البحر المحيط : (نفى الله في التعريض بالخطبة، وهو : إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وغن من عزمي أن أتزوج ؛ وإني فيك لراغب، وما أشبه ذلك، أو : أريد النكاح، وأحب امرأة كذا وكذا يعد أوصافها، قاله ابن عباس . أو إنك لنافقة، وإن قضي شيء سيكون، قاله الشعبي . أو : يصف لها نفسه، وفخره، وحسبه، ونسبه، كما فعل الباقر مع سكينة بني حنظلة، أو يقول لوليها : لا تسبقني بها، كما قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس : "كوني عند أمي شريك ولا تسبقيني بنفسك " .و قد أول هذا على أنه منه صلى الله عليه وسلم لفاطمة على سبيل الرأي فيمن يتزوجها، لا أنه أرادها لنفسه ...)[2]، وقال صاحب فتح القدير : (... لا إثم عليكم، والتعريض ضد التصريح، وهو : من عرض الشيء .أي: جانبه، كأنه يحوم به حول الشيء، ولا يظهره، وقيل : هو من قولك : عرضت الرجل . أي : أهديت له . ومنه أن ركبا من المسلمين عرضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر ثيابا بيضا أي : أهدوا لهما، فالمعرض بالكلام يوصل إلى صاحبه كلاما يفهم معناه ...)[3]

ولتفسير هذا الكلام وبيان التعريض فيه يقول صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه : (في هذه الآية فن طريف، وهو فن التعريض، وبعضهم يدخله في باب الكناية، ونرى أنه فن قائم بنفسه، وهو هنا في قوله تعالى : " فيما عرضتم به من خطبة النساء "كأنه يقول لمن يريد خطبتها : أنك جميلة، أو من يجد مثلك ...)[4] بمعنى أن محي الدين الدرويش يقر أن كلام تعالى هنا هو من فن التعريض لكنه ينفي من جهة أن التعريض يعد ضربا من الكناية على حد قول علماء البلاغة العربية .

1- البقرة : آية (235).

2- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج2، ص : 520.

3- ينظر :. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص :160.

4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م1، ج2، ص : 311.

من روائع التعريض في النص القرآني أيضا قول الله تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** ﴾[1]، في كلام الله تعالى هنا تعريض لأنه من المعروف أن نار جهنم في حقيقة أمرها هي كما وصفها المولى تعالى، لكن التعريض كان بالمنافقين الذين جعلوا الحر الشديد حجة لهم من المجيء إلى القتال فنبههم الله تعالى إلى أن نار جهنم التي سيلاقونها يوم القيامة أشد من هذا الحر الذي ادعوه في الدنيا .

جاء في فتح القدير : (والمعنى : أنكم أيها المنافقون كيف تفرون من هذا الحر اليسير، ونار جهنم التي ستدخلونها خالدين فيها أبدا أشد حرا مما فررتم منه، فإنكم إنما فررتم من حر سير في زمن قصير ووقعتهم في حر كثير في ومن كبير، بل غير متناه أبد الأبدين ودهر الداهرين)[2] .

وقال السعدي في تفسيره : (... بين الله تعالى تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان .... وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية وتبجح به وهذا بخلاف المؤمنين إذا تخلفوا ...)[3] .

من جهة أخرى فسر أبو حيان الأندلسي الغرناطي هذا التعريض وبين أن الهدف منه هو التوبيخ والوعيد، والذم والتحقير لهؤلاء المنافقين وفيه يقول : (لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه وتخلفوا عن الجهاد، واعتذروا بأعذار وعلل كاذبة، حتى أذن لهم، فكشف الله للرسول صلى الله عليه وسلم عن أحوالهم وأعلمه بسوء فعالهم، فانزل الله عليه " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية ... عن غزوة تبوك، وكان الرسول قد خلفهم بالمدينة لما اعتذروا، فأذن لهم، وهذه الآية تقتضي التوبيخ، ولفظة المخلفون تقتضي الذم والتحقير ولهذا جاء رضوا بأن يكون مع الخوالف، وهي أمكن من لفظة المتخلفين، إذ هم مفعول بهم ذلك، ولم إلا منافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر ...)[4]، إن التعريض بالمنافقين في الآية الكريمة هنا جاء بهدف التوبيخ والذم والتحقير كما ذكر صاحب البحر المحيط للمنافقين جراء ما فعلوا .

1- التوبة : آية (81).

2- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص 589.

3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 323.

4- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج5، ص : 473و ما بعدها .

من روائع التعريض أيضا قول الله تعالى : ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾[1]، لما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام " فاسئلوهم إن كانوا ينطقون " هذا القول الموجه للجهلاء والضعفاء الذين كانوا يعبدوا أصناما لا تنفعهم في حياتهم الدنيوية ولا في الآخرة كانوا يجلونها ويمجدونها ويعتبرون كل من عارضهم عدوا لهم هذه الحالة تعريض عن جهل هذه الطائفة الضالة من الناس الضعيفة في العقل والعبادة والإيمان بالله تعالى بدل من هذه الأصنام ...

جاء في فتح القدير : (... مستأنفة جواب مقدر، وفي الكلام حذف تقديره : فجاء إبراهيم حين أتوا به فاستفهموه هل فعل ذلك لإقامة الحجة عليهم في زعمهم " قال بل فعله كبيرهم هذا " أي : قال إبراهيم مقيما للحجة عليهم مبكتا لهم، بل فعله كبيرهم هذا مشيرا إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره ...إن كانوا ممن يمكنه النطق، ويقدر على الكلام ويفهم ما يقال له، فيجيب عنه بما يطابقه، أراد عليه الصلاة والسلام أن يبين لهم أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة ...)[2] .

معنى هذا الكلام أنه تعريض عن جهلهم وعنادهم بعبادة أصنام جامدة لا تنطق ولا تتكلم، ولا تنفعهم في أي شيء، فقديما لما بدأت الدعوة الإسلامية بالانتشار والتوسع لقي أنبياء الله الصالحين صعوبة كبيرة في توجيه الناس نحو الطريق الصحيح .

يقول السعدي في تفسيره مؤكدا حالة الجهل التي كانت تعتري هذه الطائفة من الجهلاء وضعفاء القلوب : (... فقال إبراهيم والناس شاهدون : " بل فعله كبيرهم هذا " أي : كسرها غضبا عليها، لما عبدت معه، وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكم الكبير وجده ...)[3]، إن العبارة التي ذكرها سيدنا إبراهيم لقومه " بل فعله كبيرهم هذا "كافية ودالة على تأكيد هذا الجهل .

وجاء في البحر المحيط : (... أسند الفعل إلى كبيرهم على جهة المجاز لما كان سببا في كسر هذه الأصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ...هذا من تعاريض الكلام ولطائف هذا النوع)[4]، هذا التعريض ذكره الزمخشري وأيده أبو حيان .

1- الأنبياء : آية (63/62).
2- ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص : 939.
3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 499.
4- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج9، ص : 448.

ومن لطائفه أيضا : وقفت امرأة على قيس بن عبادة فقالت : أشكوا إليك قلة الفأر في بيتي، فقال ما أحسن ما ورّت عن حاجتها، املأوا لها بيتها خبزا، وزيتا، ولحما[1]... الكلام الذي ذكرته هذه المرأة فيه تعريض عن الفقر وقلة وجود الطعام في بيتها، حيث جاء التعريض إلى المعنى الذي تريد أن تبلغة إلى قيس عباده بطريقة رائعة التعبير، دقيقة المعنى، قوية التأثير سريعة الإشارة ...

التلويح والإيماء والرمز :

أولا التلويح :

1/ التلويح في اللغة : جاء في المعجم الوسيط أن التلويح من : لوّح، ولوّح بالشيء : أظهره ولمع به . و- يقال : لوّح بسيفه : ألاح به، ولوّح بثوبه : ألاح به، ولوّح للكلب برغيف فتبعه [2]، بمعنى أن التلويح في اللغة هو الإشارة عن بعد إلى الطرف الآخر .

2/ اصطلاحا : من الجانب البلاغي : يقصد بالتلويح كناية تكثر فيها الوسائط بلا تعريض كالمثال السابق الذكر : فلان كثير الرماد[3]، سبق وأن شرحنا هذا الشاهد ورأينا أنه يحتوي على العديد من الوسائط حتى يستطيع المتلقي الوصول إلى المعنى المنشود منه، وحتى نفهم أن فلان هذا صاحب كرم وجود لابد من الرجوع إلى الوسائط : الرماد الذي يأتي من الحطب، والحطب الدال على وجود نار، والنار توقد للطبخ، والطبخ دليل على نضج الطعام، والطعام يستلزم وجود ضيوف، وكثرة الضيف دليل على كرم وجود صاحبه ، وأبين من ذلك وأدق، وأبلغ ما ورد في قول منزل التنزيل : ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾[4]، في هذه الآية الكريمة إشارة إلى قصة سيدنا يوسف عليه السلام ولتبيين ذلك يقول محي الدين الدرويش : (... فن التلميح أو التمليح في قوله " ما على المحسنين من سبيل " ... هذا التلميح فيه إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه وإخوته لم يشعروا بذلك ...)[5].

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 510.

2- ينظر : المعجم الوسيط، ص : 881.

3- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 168.

4- التوبة : آية (91).

5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م3، ج10، ص : 259و ما بعدها .

ثـــانيا الإيمـــاء :

عن الإيماء أو ما يسمى بالإشارة يقول الدكتور بكري شيخ أمين : كناية قليلة الوسائط تدل على المعنى المراد دلالة مباشرة كأنها تؤمى وتشير[1]، نقول : زقزقت عصافير بطني، هذا الكلام كناية عن الجوع ولأن المتلقي يفهم ذالك مباشرة دون الرجوع إلى وسائط تبين المعنى المقصود من هذا الكلام هذا النوع من الكناية هو إيماء أو إشارة .

ثالـــثا الرمز :

المعروف عن الرمز أنه قد يكون بين شخصين : إما باليد، أو بالحاجبين، أو العينين، أو ربما يكون بالفم ...الخ . والرمز أيضا هو كناية قليلة الوسائط لكنها خفية اللوازم [2]، من لطائف ما ورد في هذا النوع قول الشاعر :

العَيْنُ تَبْدِي الَّذِي فِيْ نَفْسِ صَاحِبِهَا

مِنَ المَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا .

والعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ

حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيَانَا.

و قال آخر :

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا

إِشَارَةَ مَذْعِورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ .

فَأَيْقَنَتْ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً

وأَهْلاً وسَهْلاً بِالحَبِيبِ المُتَيَّمِ [3] .

1- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 169.

2- ينظر :المرجع نفسه، ج2، ص : 169.

3- لم أجد قائلوا الأبيات الشعرية لذا، ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام هارون، ج1، ص : 78 وما بعدها تحدث الجاحظ عن الإشارة بشكل مفصل .

في البيت الأول إشارة إلى وظيفة العين هذا الرمز الذي يرسم ملامح صاحبه إذا أراد الإدلاء بها لكن دون أن تنطق الأفواه وهذه كناية رائعة، وكذا في البيت الثاني يتضح أن هذه الفتاة قد أشارت إلى الطرف الثاني دون أن تتكلم خوفا من أهل قبيلتها ومن هذه الإشارة التي تسمى لغة العيون أدركت أن الطرف الآخر يبادلها نفس الشعور .

من خلال هذه الدراسة الوجيزة للكناية يمكن القول أن أقسام الكناية الرئيسية الثلاثة : كناية عن صفة بأنواعها، وكناية عن موصوف، والنوع الثالث كناية عن نسبة هي المسؤولة عن إنتاج الدلالة الأسلوبية في بنية الكناية وذلك بالاعتماد على ركن المكنى عنه الذي يشكل مع الركن الثاني وهو المكنى به بنية الكناية .

الفصـــل الثـالث :

بنيــة المجـــــــــــاز

المبـحث الأول : مفهـــوم المـــــجاز

المبحث الثـــاني : المـــجاز العقـــلي

المبحث الثـــالث : المـــجاز اللغـــوي

هل اللغة كلها حقيقة ؟ أم أنها بين الحقيقة والمجاز ؟ حدث اختلاف في تحديد طبيعة اللغة البشرية هناك من زعم أنها حقيقة كلها وأنكر وجود المجاز في القرآن الكريم لكن الدراسات البلاغية أكدت أن المجازات لا يمكن دفعها وإنكارها، كما أنه لا يمكن إنكار الحقائق أيضا لأنه من المستحيل أن يكون هناك مجاز من غير حقيقة، يقول العلوي : اللغة والقرآن مشتملان على الحقائق والمجازات جميعا[1] .

المجاز عكس الحقيقة هذه الثنائية المتغايرة تقوم على الأصل والفرع في نظر علماء البلاغة العربية، جاء في المثل السائر : الحقيقة هي الأصل، والمجاز هو الفرع، ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة[2]، لكن ما المقصود بالحقيقة ؟ وما المقصود بالمجاز في اصطلاح علماء اللغة العربية ؟

المبحث الأول : مفهوم الحقيقة

الحقيقة لغة : جاء في لسان العرب : الحقيقة من قولنا : حق الشيء إذا وجب واشتقاقه من الشيء المحقق ومن المحكم يقال : ثوب محقق النسيج أي محكمة [3].

وجاء في المعجم الوسيط : الحقيقة : الشيء الثابت يقينا . وعند اللغويين : ما استعمل في معناه الأصلي . وحقيقة الشيء : خالصه وكنهه . وحقيقة الأمر : يقين شأنه[4] ... ما يقرأ من المعنى اللغوي أن الحقيقة هي الكلام الموضوع موضعه والذي ليس باستعارة ولا بتمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير كقول القائل : أحمد الله على نعمته وإحسانه[5]، قال ابن جني : والحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة [6].

1- ينظر : العلوي ، الطراز، ج3، ص : 44/ 45.

2- ينظر : ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص : 63.

3- ينظر : لسان العرب، مادة (حق) ،و ينظر : الفيروز أبادي القاموس المحيط، مادة (حق) .

4- ينظر : المعجم الوسيط، قام بإخراج من الطبعة : إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد، ج1 و2، ص : 210.

5- ينظر : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية ،د- ط، ج1،ص : 359.

6- ينظر : أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج1،ص : 442.

الحقيقة في اصطلاح علماء البلاغة العربية :

يقول شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني : (كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع – وإن شئت قلت : في مواضعه – وقوعا لا يستند إلى غيره، فهي(حقيقة)[1])، وجاء في المفتاح : (الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع[2]، فالكلمة أو اللفظ في الأصل يوضع لمعنى واحد فقط ،يكون واضحا كل الوضوح لا مجال للغموض فيه وهذا ما يسمى بالحقيقة يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : بعيدا عن سلالم التأويل، والإغراق في بدائل انعكاسية، تدور في فلك الثبات، والتمكن[3] ...

فالحقيقة تدل على المعنى الذي وضعت له دون وجود قرينة دالة على ذلك المعنى، لأن وجود القرينة يعني وجود المجاز، وللحقيقة أنواع منها : الحقيقة اللغوية، والشرعية، والعرفية أما النوع الأول كاستعمال لفظ الأسد في هيكله المخصوص له . وأما النوع الثاني كاستعمال لفظ القرء في أن لا يتجاوز الطهر والحيض غير مجموع بينهما ... وأما النوع الثالث كاستعمال لفظ الدابة التي نقلت من موضعها الأصلي الذي يشير إلى كل ما يدب على وجه الأرض إلى معنى غلب في الاستعمال وبالتالي أصبح يطلق على البهائم فقط [4].

المبحث الثاني : مفهوم المجاز :

المجاز لغـــة : إذا عدنا إلى المعاجم اللغوية نجد أن لفظ مجاز مأخوذ من جوز، جزت الطريق وجاز الموضع جوزا وجوازا، ومجاز به وجاوزه جوازا وأجاز غيره وجازه سار فيه وسلكه[5]، وأجيز، وجيز، والجيز جانب الوادي كالجيزة والقبر والإجازة في الشعر مخالفة حركات الحرف الذي على حرف الروي أو كون القافية طاء والأخرى دالا ونحوه [6]...

1- ينظر : الجرجاني، أسرار البلاغة، ص : 250.
2- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 358.
3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ،ص : 435.
4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 336، وينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 358 وما بعدها تحدث السكاكي بشكل مفصل عن أنواع الحقيقة .
5- ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة (جاز) .
6- ينظر : الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (جاز) .

و المجازة السير في السبخة ... (و العطية والتحفة واللطف ومقام السائق من البئر[1])، يقال : الجوزاء الشاه يبيض وسطها والجوزاء نجم يقال أنه يعترض في جوز السماء والجوزاء من بروج السماء والجوزاء اسم امرأة سميت باسم هذا البرج[2] .

وجاء في المعجم الوسيط : والمجاز : المعبر . و— من الكلام : ما تجاوز ما وضع له من المعنى[3] .

قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى

بِنَا بِظَنِّ خُبْتٍ ذِيْ قِفَافُ عَقَنْقَلِ[4]

ويقال أيضا :

عندنا دراهم وضح وازنة وأخرى تجوز جواز الوازنة : أي إن هذه وإن لم تكن وازنة، تجوز مجازها وجوازها لقربها منها فهذا تأويل قولنا (مجاز)[5].

المجاز في اصطلاح علماء البلاغة :

يعد المجاز من الوسائل البيانية التي تساهم في إيضاح المعنى بحيث يخرجه بلون آخر الأمر الذي جعل العرب يقبلون على استعماله للدلالة به على معان كثيرة، والدقة في التعبير ليحصل في النفس سرور وأريحة، لأمر ما كثر في استعمال العرب حتى أتوا فيه،

1- ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة (جوز).
2- ينظر : نفسه .
3- ينظر : المعجم الوسيط ،ص : 168.
4- ينظر : ديوان امرؤ القيس، ص :41.
5- ينظر : ابن منظور، لسان العرب ،مادة (جوز) .

بكل معنى رائق وزينوا به خطبهم وحتى أشعارهم على حد قول أحمد الهاشمي[1]، وقد ذكر ابن القيم خمس وجوه للمجازفي الكلام :

1- الوجه الأول : في المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أصله ميلهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة المعاني .

2- الوجه الثاني : في حده وله قسمين : حد في المفردات وحد في الجمل .

3- الوجه الثالث : في علة النقل وهي شيئان : أحدهما : أن يكون المنقول عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولا من غير مناسبة ولا علاقة وثانيها : أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما، أو لوجود علاقة .

4- و الوجه الرابع : أقسامه وهي كثيرة ومتعددة منها مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق، التجوز بلفظ العلم عن المعلوم، التجوز بلفظ المعلوم عن العلم، التجوز بلفظ الإرادة عن المراد.

5- الوجه الخامس والاخير : يخص الاشتقاق، أي اشتقاقه من جاز الشيء تجوزه إذا تعداه وعدل عنه فاللفظ إذا عدل به عما يجوبه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي وجاوز هو مكانه الذي وضع فيه أولا[2].

يقول السكاكي في تعريفه للمجاز : هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع[3]. ذكر السكاكي لفظ بالتحقيق لأجل أن لا تخرج الاستعارة التي تعد ضرب من المجاز نظرا إلى دعوى

1- ينظر : أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ،المعاني، البيان، البديع، ص : 249.

2- ينظر : ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ،ص : 10/ 11.

3- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 359.

استعمالها فيما هي موضوعة له، أم القصد من قوله : استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها فذلك احترازا عما إذا اتفق كونها مستعملة فيما تكون موضوعة له [1] .

إن المقصود بلفظ المجاز على العموم تجوز الحقيقة بحيث يأتي المنشئ أو المتكلم بلفظ ويستعمله في غير معناه الحقيقي هذا ما قصده السكاكي وأصحاب البيان والمعاني[2]، وقد عرفه علماء البديع بأنه عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتي المتكلم إلى اسم موضوع لمعنى فيخصه، إما أن تجعله مفردا بعد أن كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الإختصاص[3]، ابن الأثير هو الآخر عرف المجاز بقوله : كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[4]، من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي نخلص إلى مايلي :

1- اللفظ إذا استعمل في أصله اللغوي أثناء الاستعمال فهذه حقيقة وعكسه يسمى مجازا لغويا .

2- لا تحتكر اللغة بالحقيقة مع الوحدة اللغوية لوحدها إنما هناك من يشاركها هذا مثل الشرع، والعرف الخاص، والعرف العام، ذلك أن الحقيقة هي الأساس في هذه المجالات .

كل هذه التعريفات البلاغية توضح مجموعة من الشروط لا يمكن للوحدة اللغوية أن تدخل إلى منطقة المجاز إلا إذا تحققت هذه الشروط :

1- وجود علاقة دالة على انتقال اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه غير حقيقي أي بين المدلولين الحقيقي والمجازي

2- هذه العلاقة قد تكون علاقة المشابهة وقد تكون غير المشابهة يفرضها السياق .

3- وجود قرينة ملحوظة أو ملفوظة تميز بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي[5] .

1- ينظر : المصدر السابق، السكاكي، المفتاح، ص : 359 بتصرف .

2- ينظر : ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص : 440.

3- ينظر : المصدر نفسه، ج1، ص : 440.

4- ينظر : ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1 ،ص : 62.

5- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، ج2، ص : 87.

المطلب الأول : أنواع المجاز

قسم علماء البلاغة العربية المجاز إلى قسمين : المجاز العقلي، والمجاز اللغوي هذا الأخير الذي قسم هو الآخر إلى قسمين : المجاز المرسل، والاستعارة، كما سنرى في صفحات لاحقة من هذا البحث .

أولا : تعريف المجاز العقلي

يقول السكاكي في تعريفه لهذا النوع من المجاز : الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة وضع[1]، بمعنى أننا إذا قلنا مثلا : أنزل الشتاء المطر فإننا قلنا خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه وقس على ذلك في قول السكاكي :

- أنبت الربيع البقل .
- شفى الطبيب المريض .
- هزم الأمير الجند وبالتالي يكون بإسناد الفعل وأو ما في معناه، إلى غير صاحبه، لعلاقة، مع قرينة تمنع أن يكون الإسناد حقيقيا [2]، مثل الشواهد السالفة فقد أسندت الأفعال : أنبت، شفى ،هزم إلى غير الفاعل الحقيقي (الربيع، والطبيب، والأمير)، ذلك أن الفاعل الحقيقي في المثالين الأول والثاني هو الله عز وجل، بينما في المثال الثالث هو جيش الأمير . بمعنى آخر يمكن أن نشرح هذا التعريف اعتمادا على شرح كل لفظ منه لوحده :

1- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 393.

2- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، ج2، ص : 81.

1- الإسناد المجازي : أي يسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي مثل الأمثلة السالفة الذكر .

2- الإسناد الحقيقي : أي أن الفعل يسند إلى فاعله الحقيقي كقولنا : أنبت الله البقل، شفى الله المريض ،هزم جيش الأمير الجند ...

3- ما في معناه : يقصد بها كل مشتقات الفعل التي تعمل عمله مثل : اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل ...

4- القرينة : التي يجب أن تعمل على إثبات مجازية الكلمة المستعملة ضمن السياق والتي يفترض أن تبعدنا عن الأخذ بالمعنى الحقيقي، والبحث عن المعنى المجازي .

5- العلاقة : هي التي نلمس من خلالها ترابط بين اللفظ الحقيقي، واللفظ المجازي ومن خلاله يتم الانتقال من البنية الأساس التي تمثل الحقيقة إلى البنية المجازية. هذه العلاقات هي التي تحدد أسلوبية المجاز العقلي وترسم خطوطه التواصلية بين المنشئ، والمتلقي بوضوح وتحدد كيفيات التوازن، والتكثيف في هيئات التراكيب[1].

ثانيا : علاقات المجاز العقلي حدد علماء البلاغة العربية مجموعة من القوانين وهي :

1- قانون السببية .

2- قانون الزمانية .

3- قانون المكانية .

4- قانون المصدرية .

5- قانون الفاعلية .

قانون المفعولية

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 445.

فشاهد القانون الأول : قولنا : بنت الدولة محلات تجارية، بحيث أسندنا الفعل بنى إلى الدولة، والدولة هنا ليست هي الفاعل الحقيقي لأن الدولة بما فيها من حكام ومسؤولين ووزراء هذه الطائفة ليست هي التي تقوم بفعل البناء على قدم وساق إنما الفاعل الحقيقي الذي يقوم بهذا الفعل هم عمال البناء، وبما أن الدولة هي السلطة الحاكمة صدر منها هذا القرار أي البناء، تعتبر هي السبب في بناء المحلات التجارية فكانت العلاقة سببية لأن العقل هو الذي يحكم ما إذا كانت الدولة هي التي قامت فعلا ببناء المحلات التجارية أم عمال البناء، وأبين من ذلك قول الله تعالى : **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾**[1].

في هذا الشاهد القرآني مجاز عقلي، تم فيه إسناد الفعل "بنى" إلى فاعل غير حقيقي وهو هامان وهو لا يقوم بالبناء وإنما هو سبب في البناء فقط . ومن روائعه أيضا قوله تعالى : **﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾**[2]، الذكر هي الموعظة، جاء في تفسير السعدي : أي يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى وهذه فائدة كبيرة، هي المقصود من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين[3] .

في هذا الشاهد القرآني مجاز عقلي يكمن في : الرغبة في الاستزادة من هذه الموعظة، فالنفع في حقيقة الأمر لا يكون من الموعظة بقدر ما يكون من التدبر، والتأمل، والتعلم، والذكرى هي سبب غائي فيه فقط، فكم من موعظة تقرع الأسماع دون القلوب فتكون كهشيم المحتضر[4]، وقصة الأعمى الذي مثل بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام – هو ابن أم مكتوم – لما رأى أنه بدأ يميل إلى الإسلام، ووجد أنه – عليه الصلاة والسلام – كان مشغولا بأبطال وصناديد قريش عبس في وجهه فقال له الله تعالى : أو يذكر فتنفعه الذكرى .

1- غافر : آية (36).

2- عبس : آية (4/3).

3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 870 وما بعدها .

4- ينظر : تيسير عباس محمد الشريف، القرينة في البلاغة العربية دراسات بيانية، عالم الكتب الحديث ،إربد، الأردن، ط1: 1432هـ / 2011م، ص : 170 وما بعدها، بتصرف .

و في قوله تقدست أسماؤه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[1]، مجاز عقلي يكمن في إسناد الراحة للنوم، هذا المجاز مخفي غير واضح للمتلقي إلا بعد تأمل وتدبر كبيرين في الآية الكريمة .

من شواهد القانون الثاني : قوله تبارك وتعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [2]، أسند الفعل سجى الذي يعنى السكون إلى الليل، فهو مجاز عقلي علاقته الزمانية لأن الليل زمان السكون، وقوله أيضا في سورة سبأ : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [3]، في هذا الشاهد أيضا مجاز عقلي علاقته الزمانية، تم فيه إسناد المكر إلى الليل والنهار لأنهما يمثلان زمان المكر .

من روائع القانون الثالث : قوله عز سلطانه :﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ،وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[4]، في يوم الموعود يوم القيامة تلقي الأرض ما في داخلها من الأموات كما تتخلى على كل الأحياء وكل شيء كان فوقها من الجبال والبحار ...، يكمن المجاز العقلي في إسناد فعلي : ألقت، وتخلت إلى الأرض نسبة مجازية، لأن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي وهو المخرج لكل هذه الأشياء [5]، والعلاقة هنا مكانية .

و من روائعه قول منزل التنزيل :﴿ ...وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ...﴾ [6]، في هذا الشاهد القرآني مجاز عقلي يكمن في إسناد الجري إلى الأنهار، ذلك أن الأنهار ليست هي التي تقوم بفعل الجريان إنما الماء الذي تحتويه هو الفاعل الحقيقي لهذا الفعل، وبالتالي العلاقة هنا مكانية.

القانون الرابع : المصدرية المقصود بها أن يؤتى أو يتجوز بالمصدر مبالغة في تأكيد المعنى وتقويته، والشاهد على ذلك كله قرينة المجاز[7]، ورد هذا النوع من المجاز العقلي الدال على قانون المصدرية في الكثير من الواضع من النص القرآني خاصة في الأجزاء الأخرى منه بينما ورد تقريبا مرة واحدة في الجزأين الأخيرين منه لذلك سنعرض نماذج قصد التوضيح فقط، من أهم النماذج الدالة على قانون أو علاقة

1- البلد : آية (4) .
2- الضحى : آية (2).
3- سبأ : آية (33).
4- الانشقاق : آية (5/3).
5- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص : 436.
6- الأنعام : آية (6).
7- ينظر : تيسير عباس محمد الشريف، القرينة في البلاغة العربية دراسات بيانية، ص : 182.

المصدرية : قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾ [1]، في هذا المثال القرآني تم إسناد الفعل (نفخ إلى مصدره (نفخة) الذي جاء نائب فاعل، فهذا الإسناد مجازي علاقته المصدرية.

يقول السعدي في تفسيره :ذكر الأمور الهائلة التي تقع يوم القيامة ، وأن أول ذلك أن ينفخ إسرافيل في الصور إذا تكاملت الأجساد نابتة نفخة واحدة فتخرج الأرواح، فتدخل كل روح في جسدها، فإذا الناس قيام لرب العالمين[2]، الفاعل الحقيقي الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل لكن الفعل كما أسلفنا أسند إلى مصدره من باب المجاز العقلي .

وقال تعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ [3] إن إسناد الفعل (زلزل) إلى المفعول المطلق (زلزالها) إسناد مجازي علاقته المصدرية، لأن الفاعل الحقيقي في الشاهد القرآني زلزال يوم القيامة ، والعقل يدرك ذلك تمام الإدراك، ومن باب المجاز أسند الفعل إلى المصدر .

جاء في البحر المحيط : (هو إشارة على البعث وذلك عند النفخة الثانية، فهو زلزال يوم القيامة، لا الزلزال الذي هو من الأشراط)[4]، فالله تعالى يخبرنا عن أحوال يوم القيامة التي تجعل الأرض تتزلزل وترجف وترج، حتى يسقط كل من عليها من بناء وعلم، فتندك جبالها، وتسوى تلالها، لتكون قاعا صفصفا لا عوج فيه ولا أمت[5]، والزلزال الذي ذكره أبو حيان في تفسيره هو نفسه الذي قصده السعدي في تفسيره .

وقال تعالى : ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ،وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ** ﴾[6]، في الآيات الكريمة أسند الفعل كور إلى نائب الفاعل الشمس، وأسند الفعل انكدر إلى نائب فاعله النجوم .

1- الحاقة : آية (13).
2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 845.
3- الزلزلة : آية (1).
4- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص : 522.
5- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 891.
6- التكوير : آية (1) وما بعدها .

كما أسند الفعل سير إلى نائب فاعله الجبال، والفعل عطل إلى العشار، والفعل حشر إلى الوحوش، والفعل سجر إلى البحار، والفعل زوج إلى النفوس، والفعل نشر إلى الصحف، والفعل كشط إلى السماء، والفعل سعر إلى الجحيم، والفعل أزلف إلى الجنة، ولأن كل هذه الأسماء : الشمس، النجوم، الجبال، العشار الوحوش، البحار، النفوس، الصحف، السماء، الجحيم، الجنة جاءت نائب فاعل لأفعالها فهذه كلها مجازات عقلية علاقتها المصدرية، لأن الفاعل الحقيقي لهذه الأفعال المولى عز وجل وهو القادر وحده على فعل التكوير والانكدار، والتسيير، والتعطيل، والحشر والتسجير ...الخ، لكن لما بنيت الأفعال إلى المجهول تم إسنادها إلى مصدرها .

من روائع القانون الخامس (الفاعلية) قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾[1]، الموءودة في حقيقة الأمر ليست هي التي تسأل إنما الذي قام بقتلها، أي الفاعل الحقيقي الذي قام بفعل القتل لأنه قديما في الجاهلية كانت الفتاة تقتل فإذا بشر أحدهم بجنس المولود وكانت فتاة فإن مصيرها القتل لا محالة.

ولما أسند السؤال إلى المفعول، أي الذي فعل به الجريمة (وهي الموءودة) بدلا من إسناده إلى الفاعل الحقيقي الذي ارتكب الجريمة كان ذلك من باب التوبيخ، والتهديد، والوعيد يوم القيامة[2]، والقرينة عقلية، ﴿ **وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا** ﴾[3]، في الشاهد القرآني مجاز عقلي يكمن في إسناد المسؤولية إلى غير صاحبها الحقيقي، وهو (عهد الله تعالى)، بدلا من إسناده إلى الفاعل الحقيقي وهو الله تعالى . يقول السعدي في تفسيره : والحال أنهم عاهدوا الله من قيل لا يولون الأدبار ... سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذا بربهم [4]، بمعنى آخر أن الله هو الذي سيسألهم عن عهدهم له، وليس عهد الله من سيقوم بالسؤال .

1- التكوير : آية (9/8).

2- ينظر : تيسير عباس محمد الشريف، القرينة في البلاغة العربية دراسات بيانية، ص : 179 بتصرف .

3- الأحزاب : آية (15).

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 629.

من روائعه أيضا قول الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [1]، في هذا الشاهد القرآني أيضا مجاز عقلي علاقته الفاعلية، تقدير الكلام هو : شر مكانهم، وأضل سبيلهم يقصد به حال المشركين الذين كذبوا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، والفاعل الحقيقي الذي يتولى هؤلاء الناس هم ملائكة العذاب الذين يسحبونهم ويجرونهم إلى جهنم[2]، والقرينة هنا عقلية .

هذا من جانب التفسير، من جانب النحو اسم التفضيل : شر، وأضل رفع فاعلا ضميرا مستترا تقديره هو، ونصب تمييزا هو : مكانا، وسبيلا، الفاعل هو المكان والسبيل المقدران ، وردا تمييزا لزيادة الاحتواء في المعنى وتأكيده[3] .

﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا** ﴾[4]، في هذا الشاهد أيضا مجاز عقلي علاقته الفاعلية يكمن في أن صفة الحجاب في أصلها ساترة وليست مستورة، اسم فاعل لا اسم مفعول حل الأول محل الثاني وناب عنه وبالتالي هو إسناد مجازي.

القانون السادس والأخير من قوانين المجاز العقلي هو قانون المفعولية : التي يقصد بها الإسناد إلى المفعول لا إلى الفاعل أي عكس السابق من روائعه :

﴿ **يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ** ﴾[5] .

﴿ **قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** ﴾[6] .

1- الفرقان : آية (34).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 554.

3- ينظر : تيسير عباس محمد الشريف، القرينة في البلاغة العربية دراسات بيانية، ص : 180.

4- الإسراء : آية (45).

5- النازعات : آية (10).

6- النازعات : آية (14/12).

ورد في المعاجم اللغوية أن الحافرة : هي الأرض التي تحفر فيها القبور، سماها تعالى في كتابه المبين الحافرة والمعنى المقصود من ورائه المحفورة [1] وبالتالي هو مجاز عقلي القرينة العقلية فيه تدل على المفعولية، ذلك أن الأرض لا تقوم هي بذاتها بالحفر إنما هناك من يحفر فيها أي الفاعل الحقيقي غير الأرض التي يتم فيها فعل الحفر .

جاء في البحر المحيط : قال مجاهد : (فاعله بمعنى مفعولة . وقيل على النسب، أي ذات حفر، والمراد القبور، أي لمردودون أحياء في قبورنا) [2].

في الشاهد القرآني الثاني أيضا مجاز عقلي القرينة الدالة فيه على ذلك هي المفعولية التي تكمن في لفظ الخاسرة التي يقصد بها الإنسان الذي خسر نفسه وأمواله يقول الراغب الأصفهاني : (الخسر والخسران : انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال : خسر فلان، وفيقال : خسرت تجارته [3])، وعليه تم إسناد اسم الفاعل خاسرة إلى الموصوف (كرة)و هو المفعول كما هو واضح في الشاهد القرآني بدلا من إسناده إلى الفاعل الحقيقي وهم الناس الذين خسروا كل شيء .

المطلب الثاني : المجاز اللغوي

هو القسم الثاني من أقسام المجاز يسميه علماء البلاغة بالمجاز المفرد[4] ،يستعمل المجاز اللغوي ضمن السياق لوجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هذه العلاقة قد تكون ملفوظة، أطلقت لفظا، وقد تكون ملحوظة من خلال السياق الذي قيلت فيه .

1- ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة (حفر)، وينظر : الفيروزآبادي القاموس المحيط، مادة (حفر) .

2- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10،ص : 397.

3- ينظر : الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص : 281.

4- ينظر : محمد بن علوي المالكي الحسني، زبدة الإتقان في علوم القرآن، دار الشروق، جدة، د- ط، د-ت، ص : 115.

ذكر الخطيب القزويني نوعين من المجاز، المجاز المفرد، والمجاز المركب يقول في تعريف المجاز الأول : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته [1]، كما بين أن هذا النوع من المجاز يضم ثلاث أنواع لغوي، وشرعي، وعرفي ومنه المجاز المرسل الذي سنعالج موضوعه في هذا الفصل والاستعارة التي سنفرد لها فصلا خاصا بها لأن الحديث فيها مطولا والمقام هنا لا يتسع لذلك، وهو يقول في تعريف الثاني : انه اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه للمبالغة في التشبيه، بمعنى آخر تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه [2]...

أولا تعريف المجاز المرسل :

ذكرنا قبل قليل أن المجاز اللغوي قسمان، استعارة ، ومجاز مرسل وأنه موجود في المركب والمفرد أما الأول : المركب يكون باستعمال التركيب في غير ما وضع له، بينما المفرد يكون باستعمال الكلمة في غير ما وضعت له لوجود علاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، يرى البلاغيون أن العلاقة هي الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأول إلى الثاني[3]، هذه العلاقة قد تكون علاقة المشابهة وقد تكون العكس أي علاقة غير المشابهة .

أما القرينة فيرون أنها الأمر الذي يتولى مهمة صرف الذهن من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي وهي نوعان، إما حالية نحو: أقبل الأسد والسامع أو المتلقي يرى أن الذي قدم رجل، أو قرينة لفظية نحو : رأيت بحرا يعظ الناس من فوق المنبر[4] ، الجملة الفعلية يعظ الناس من فوق المنبر قرينة لفظية تدل على أن لفظ البحر استعملت استعمالا مجازيا بحيث منعت إرادة المعنى الحقيقي لهذا اللفظ (البحر) .

1- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م 2، ج5، ص : 12 .
2- ينظر : المصدر نفسه، م 2، ج5، ص : 107 وما بعدها .
3- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص : 156.
4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 156 وما بعدها .

المجاز المرسل في اصطلاح العلماء :

المجاز المرسل عند علماء البلاغة العربية : هو الكلمة المستعملة في غير معناها الأصلي الملاحظة غير المشابهة مع قرينة [1]، يقول الخطيب القزويني في تعريف المجاز المرسل : هو ما كانت العلاقة بين ما وضع فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه[2]، يوضح الخطيب القزويني هذا الكلام بمثال مفاده أن اليد إذا استعملناها كدليل على النعمة، لأن من شأنها أن تصدر عن الجرحة ومنها يمكن أن نصل إلى المقصود بها [3]، بمعنى آخر أن لفظ اليد لا بد من الإشارة فيه إلى الله تعالى وبناءا على هذا الشرط .

لا يمكننا القول :

- اتسعت اليد في البلد .
- اقتنيت يدا .
- اتسعت النعمة في البلد .
- اقتنيت نعمة .

لكن يجب أن يقال :

- جلت يده عندي .
- تعددت أياديه لدي .
- أو نقول : كثرت أياديه لدي[4]، من خلال هذه الأمثلة يتضح أن العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي علاقة غير المشابهة ونظرا لكثرتها وتعددها سمي هذا النوع من المجاز بالمرسل . والمجاز المرسل : أرسل، أي أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة إذ له العديد من العلاقات [5]، اختلف علماء البلاغة العربية في تحديد عددها فهناك من ذكر أنها تصل إلى أربعين علاقة، لكن المتفق عليه أنها في الأغلب تصل إلى تسع علاقات وقيل أنها ثماني علاقات[6]، كما قيل أنها أربعة عشر علاقة .

1- ينظر : أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص : 252.
2- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، م 2، ج5، ص : 20 .
3- ينظر : المصدر نفسه، م 2، ج5، ص : 20 .
4- ينظر : المصدر نفسه، م 2، ج5، ص : 20 بتصرف .
5- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 448.
6- ينظر : عيد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص : 77.

و هناك من أوصلها إلى ست وعشرين علاقة أصلية أو رئيسية ملحقا خمس علاقات بآخر علاقة منها[1]، من باب أنها تشبهها، لتصبح كل العلاقات واحد وثلاثين علاقة، مما سبق يمكن القول أن بنية المجاز تقوم على مجموعة من الثائيات المتغايرة من العلاقات وبها تتخذ وترسم طريقها الصياغي داخل التراكيب[2] .

ثانيا علاقات المجاز المرسل : يقوم المجاز المرسل على مجموعة من الألوان أو القوانين المتغايرة هي :

- علاقة السببية .
- علاقة المسببية .
- علاقة الكلية .
- علاقة الجزئية .
- علاقة الماضوية والتي تسمى باعتبار ما كان .
- علاقة المستقبلية والتي تسمى باعتبار ما يكون .
- علاقة المحلية .
- علاقة الحالية .

- علاقة الآلية، ما نلاحظه أن أغلب هذه العلاقات متغايرة فيما بينها أي أن : (السببية عكس المسببية، والكلية عكس الجزئية ... وقس على ذلك بالنسبة لبقية العلاقات الأخرى)، ومن خلال هذه العلاقات سنتطرق إلى دراسة مجموعة من الشواهد التي توضح كيفية الانتقال من البنية الأساسية للمجاز المرسل إلى البنية المتحولة، وقبل أن نعرض هذه العلاقات بشواهدها لا بد فقط من الإشارة إلى أن المجاز المرسل يقوم بالأساس على الأبعاد النفسية التي تقوم على التلازم الذهني لحركة الأشياء، داخل المحيط، فالثنائيات (السبب والمسبب)، (الزمان والمكان)، (الكل والجزء) (الحال والمحال) كلها كما ذكرنا علاقات مشابهة قائمة على الطرد والعكس[3] نذكرها في مايلي:

1- ينظر : ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ج1، ص : 57.
2- ينظر : بدر الدين محمد بن علي الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص : 65.
3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 448 بتصرف .

أولا قانون السببية :

يقصد بها أن الشيء المنقول عنه يكون سببا في غيره، بتعبير آخر أن يذكر لفظ السبب ويراد المسبب[1]، من روائعه قولنا مثلا : لفلان علي يد لن أنساها ما حييت[2]، ما يفهم مبدئيا من هذه القول أن هذا الإنسان لا بد من أنه عمل معروفا مع هذا القائل ولكن ما محل وموقع المجاز منه، نقول أن لفظ اليد هو الذي استعمل استعمالا مجازيا، وكانت هي السبب في فعل هذا الخير وهذا المعروف، وأروع من ذلك قول الشاعر :

ضَعِيفُ العَصَا بَادِي العُرُوقِ تَرَى عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْذَبَ النَّاس إِصْبَعَا[3] .

المعني المقصود من وراء هذا البيت الشعري، أن هذا الإنسان أو الراعي بالأحرى، كان لطيفا مع الحيوانات التي يرعاها والمجاز المرسل محله لفظ الإصبع . يقول الدكتور بكري شيخ أمين معلقا على هذا البيت : (إن الإصبع الماهرة سبب الحذق والتفوق، وما من عمل رائع إلا وهو مستفاد من تصريف الأصابع، واللطف في رفعها ووضعها)[4] .

وأروع من ذلك كله قول منزل التنزيل: ﴿ **وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾[5]، وقوله أيضا : ﴿ **لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ** ﴾[6]، في الشاهد القرآني الأول مجاز مرسل علاقته السببية يكمن في لفظ الكيد الذي هو سبب كل هذا التورط، يقول محي الدين الدرويش : سمى إمهاله إياهم ،و مراده النعم، والآلاء عليهم : كيدا، لأنه سبب التورط، والهلاك، فالكيد نوع من أنواع الاحتيال المقصود به فعل ما هو نافع ولكن المراد منه ضده[7]، في الشاهد القرآني الثاني

1- ينظر : ابن عبد الله شعيب، البلاغة الواضحة علم البيان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د–ط، د– ت، ص : 103.

2- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، ج2، ص : 94.

3- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 306، وينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 449.

4- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 95.

5- القلم : آية (45).

6- القلم : آية (49).

7- ينظر : محي الدين الدرويش : إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29 ،ص : 43 بتصرف.

أيضا مجاز مرسل علاقته السببية، لأن اللوم هو السبب الحقيقي للذم لذلك قال : وهو مذموم

ثانيا قانون المسببية : في هذه العلاقة يتم ذكر المسبب والمراد منه السبب لم يرد هذا النوع من المجاز المرسل في النص القرآني الذي بين أيدينا لذلك نعرض بعض الشواهد من مواضع مختلفة لأجل التوضيح فقط، من جملة ما ورد في هذا النوع : قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا** ﴾[1]، وقال أيضا : ﴿ **وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا** ﴾ [2]، وقال عظم سلطانه : ﴿ **وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ** ﴾[3].

ومثال آخر فحواه : يا بني لا تجالسوا السفهاء على الحمق [4]، في الشاهد القرآني الأول مجاز مرسل علاقته المسببية، وأطلق لفظ النار وهو المسبب وأريد به المال ذلك أن الإنسان لا يأكل في حقيقة الأمر النار إنما يأكل الطعام، وبالتالي الطعام من هذا النوع حرام والمتسبب عنه النار، فالعلاقة هنا مسببية تحمل في طياتها الوعيد . يقول السعدي في تفسيره : (إن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم ...هذه النار من صفاتها أنها محرقة متوقدة، وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، وهي من أكبر الكبائر)[5].

في الشاهد القرآني الثاني أيضا مجاز مرسل علاقته المسببية، يكمن المجاز في لفظ الرزق، لأن المسبب الحقيقي لهذا الرزق هو الماء وهذه هي البنية الأساسية للشاهد القرآني، انتقلت هذه البنية إلى البنية المتحولة بحذف لفظ الماء الحقيقي وترك لفظ المجاز الرزق، وبالتالي كانت العلاقة هنا مسببية . قال السعدي : (وينزل لكم من السماء رزقا : أي مطرا به ترتزقون وتعيشون أنتم وبهائمكم [6])، وهذا طبعا إن دل على شيء إنما يدل على النعم والخيرات الكثيرة لله عز وجل التي فضلها على عباده الجاحدين لحقه تعالى إلا الذين يخشونه بالتضرع والتقرب إليه، وهذه الفئة قليلة جدا .

1- النساء : آية (10).
2- غافر : آية (13).
3- البقرة : آية (22).
4- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2،ص : 98.
5- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 148.
6- ينظر : المصدر نفسه، ص : 700.

في الشاهد القرآني الثالث ورد المجاز المرسل الدال على علاقة المسببية لان المطر أو الغيث هو المتسبب في هذا الرزق الذي يخرج من الثمار التي أنعم بها الله تعالى على عباده وهذا كله من فضل المولى علينا، يقول السعدي في تفسير هذه الآية الكريمة : (كل ما علا فوقك فهو سماء ... ولهذا أجمع كل العلماء على أن المقصود بالسماء هو السحاب الذي أنزل منه الله تعالى الماء ليخرج منه بعد ذلك من الثمرات المتمثلة في : الحبوب، والثمار، والنخيل، والفواكه والزروع، ...الخ الرزق للعباد ليرتزقوا، ويتقوتوا، ويعيشوا، ويفكهوا ...)[1].

لقد شرع الله تعالى في بيان وحدانية ألوهيته كونه هو المنعم على عباده بإخراجهم من العدم إلى الوجود[2] ومن الظلمات إلى النور ... وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة [3]، وبالتالي ظهور السحاب بدون شك في الوقت الذي كان الناس في حاجة ماسة له والذي بواسطته أخرج لهم الله تبارك وتعالى به كل ما يحتاجونه من الثمار، والزرع، قوتا لهم، ولأنعامهم ...الخ .

المثال الرابع أيضا يحتوي على مجاز مرسل العلاقة فيه هي المسببية، يكمن المجاز فيه في لفظ الحمق الدال به على حالة السكر، وشرب الخمر، وغيرها من الأمور المحرمة والمقصود من هذا النداء الابتعاد عن هذه الطائفة من الناس التي تتعاطى المخدرات، والخمر، لأن شارب الخمر لا يكون في حالة وعي تام . إن شارب الخمر أو متعاطي المخدرات يفقد عقله بعد تناول هذه الآثام ...و يرى الكبير صغيرا، والقوي ضعيفا، والصالح طالحا، والصديق عدوا، والشريف غير شريف ...و حين تتراخى قواه العقلية، وتتناثر فضائله الإنسانية، تختلط عله الأمور، فيسب ويشتم، ويضرب[4] .

ليس هذا فحسب بل ربما يتوصل به الأمر إلى ارتكاب جريمة من الجرائم مثل القتل أو الانتحار، لأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده وعليه لفظ (الحمق) فيه مجاز مرسل أريد من ورائه السبب فالعلاقة هنا مسببية كان هذا عن الثنائية المتغايرة الأولى من علاقات المجاز المرسل (السببية، والمسببية) القائمة على الطرد والعكس في البنيتين الخارجية والداخلية وهذا ما سنراه في بقية العلاقات المتغايرة الأخرى فالكل يسير على هذا النحو.

1- ينظر : المصدر السابق، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص : 31 بتصرف .
2- ينظر : تفسير ابن كثير، ج1، ص: 37.
3- ينظر : نفسه، ج1، ص : 37.
4- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان ،ج2، ص : 98.

ثالثا قانون الكلية :

المقصود به أن نطلق لفظة أو كلمة تدل على الكل في التركيب لكن نريد من ورائها الجزء فقط مثل قولنا : شرب ماء النهر.

في حقيقة الأمر هو لم يشرب ماء النهر كله لأن من المستحيل عليه فعل ذلك، والعقل لا يتقبل هذا الأمر إنما المقصود من هذا القول أنه شرب كأسا فقط من ماء النهر، ونحن في هذا الكلام أطلقنا الكل وهو (النهر) وأردنا به الجزء، وهو (شرب القليل منه في كأس) فالعلاقة هنا كلية . ذلك أننا عبرنا بالكل عن الجزء .

من بين الشواهد القرآنية الواردة في هذا الصدد: قوله تعالى : **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾**[1].

في الآيات الكريمة مجاز مرسل علاقته الكلية تم فيه إطلاق لفظ الكل وهو (الأصابع)، وأريد به الجزء وهو الأنامل فقط . فكيف يكون ذلك ؟ من المستحيل أن تدخل كل أصابع اليد في الأذن، لأن الأذن لا تتسع لها إنما قصد الجزء فقط من الأصابع أي الأنامل (رؤوسها) بهدف المبالغة والتأكيد على عناد هؤلاء القوم وإصرارهم على عدم قبول دعوة النبي نوح عليه السلام . لم يرد المجاز المرسل الدال على قرينة الكلية في الجزأين الأخيرين من النص القرآني الذي بين أيدينا إلا في الوضع السالف – سورة نوح – لذلك سنمثل لهذه العلاقة من مواضع أخرى من النص القرآني من باب التوضيح فقط .

من رائع المجاز المرسل قول الله تعالى : **﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾**[2].

و قال أيضا : **﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ...﴾**[3].

و قال عز وجل :**﴿... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...﴾**[4] .

1- نوح : آية (7/5). .
2- آل عمران : آية (167).
3- البقرة : آية (19).
4- البقرة : آية (185).

في الشاهد القرآني الأول مجاز مرسل علاقته الكلية، أطلق الكل وهو لفظ (الأفواه)، وأريد به الجزء وهو اللسان، فالمجاز يكمن في لفظ الأفواه، لأن الأفواه ليست هي التي تقول وتتكلم إنما هذه وظيفة اللسان، وهي الميزة خاصة بالمنافقين، الذين يظهرون بكلامهم وأفعالهم ما يبطنون ضده في قلوبهم وسرائرهم [1].

في الشاهد القرآني الثاني أيضا مجاز مرسل علاقته الكلية يكمن في لفظ الأصابع المقصود به الجزء وهو : رؤوس الأصابع تماما كما ورد في الشاهد القرآني في سورة نوح وعليه كيف يمكن لهؤلاء الناس أن يدخلوا كل أصابعهم في آذانهم ؟ نقول أن الأذن لا تتسع لإدخال إصبع بأكمله إنما الأنامل فقط، وبالتالي عبر بالكل علن الجزء لتكون العلاقة كلية على سبيل المجاز المرسل، قال أبو حيان :في تفسيره : وأراد بالأصابع بعضها لأن الأصبع لا تجعل في الأذن، إنما تجعل فيها الأنملة، لكن هذا من الاتساع، وهو إطلاق كل على بعض، ولأن هؤلاء لفرط ما يهولهم من إزعاج الصواعق كأنهم لا يكتفون بالأنملة، بل لو أمكنهم السد بالأصبع كلها لفعلوا، وعدل عن الاسم الخاص لما يوضع في الأذن إلى الاسم العام، وهو الأصبع لما في ترك لفظ السبابة من حسن أدب القرآن [2]...

تشير الآية الكريمة أيضا إلى أن الرعد والبرق الواقعين في الهيئة المشبه بهما هما رعد وبرق بلغا منتهى القوة الخارقة، ومشيئة الله تعالى وحدها هي التي تمنع قصف الرعد من أن يتلف أسماع كل من يسمعه، وهي وحدها القادرة على منع ومض البرق من إتلاف أبصار كل من نظر إليه هذه المشيئة مثلها مثل رحمته تعالى التي يدخل بها خلق الله إلى الجنة، لأن الأعمال وحدها لا تكفي إلا أن يتغمدنا الله برحمة منه وهذا طبعا أمر يدركه العالم والجاهل من الناس والله أعلم، يقول القرطبي : من الصواعق : أي من أجل الصواعق قال ابن عباس، ومجاهد : إذا اشتد غضب الرعد الذي هو : الملك، طار النار من فيه وهي الصواعق، وكذا قال الخليل، قال : هي الواقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحيانا قطعة نار تحرق ما أتت عليه، وقال أبو زيد : الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد وحكى الخليل عن قوم : الساعقة (بالسين)، وقال أبو بكر النقاش : يقال صاعقة وصعقة وصاقعة بمعنى واحد [3]...

1- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 139.
2- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير ،ج1، ص : 141.
3- ينظر : عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج2/1، ص : 190.

في الشاهد القرآني الثالث أيضا مجاز مرسل علاقته الكلية، بحيث يكمن المجاز في لفظ الشهر، فالمقصود منه ليس الشهر بأكمله، إنما أول الشهر، فليصم جميعه، أي كل الشهر، أطلق الكل (الشهر) وأريد به الجزء .

جاء في تفسير السعدي : في قوله من شهد منكم الشهر فليصمه، هذه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر، ولما كان النسخ للتخيير بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر[1]

ولبيان ذلك يقول جلال الدين السيوطي : أطلق الشهر وهو اسم الثلاثين ليلة وأراد جزءا منه[2] .

جاء في البحر المحيط : فمن شهد منكم الشهر فليصمه، الألف واللام يقصد بها شهر رمضان[3] الذي ناب عنه الضمير المتصل بالفعل يصم، عبر بالكل(الشهر) عن الجزء (أول الشهر أو بعضه كما ورد في بعض التفاسير)، من باب التعظيم [4].

رابعا قانون الجزئية :

يقصد به ذكر الجزء هذه المرة ويراد به الكل، كأن نقول مثلا : بث العدو عيونه في كل مكان [5] .

المقصود من الكلام أن العين جزء من جسم الإنسان، وبالتالي ذكر الجزء (العين) للتعبير عن الكل (الجسم)، لأن العين لا تستطيع أن تقوم بالتنقل من مكان إلى الآخر بطبيعة الحال وهذا هو الجزء الحقيقي من الكلام أو ما يسمى بـ (البنية الأساسية) التي انتقلت إلى البنية المتحولة أي الانتقال من دائرة الحقيقة إلى دائرة المجاز، ولما كانت العين في هذا المثال لا يقصد بها عضوا من أعضاء جسم الإنسان بل قصد بها الإنسان بأكمله الذي يتجسس ليرى ويراقب كل ما يحدث في أي مكان في البلد أو المنطقة فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية وفيه عبرن بالجزء عن الكل .

1- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 186.
2- ينظر : جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص : 38.
3- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج2، ص : 197.
4- ينظر : المصدر نفسه، ج2، ص : 197.بتصرف .
5- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج2، ص: 101.

و أبين من ذلك قوله تعالى : ﴿ ... **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ...** ﴾[1].

جاء في تفسير السعدي : (ومن إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم : اركعوا امتنعوا عن ذلك [2] .

في الآية الكريمة مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأنه ذكر الجزء (الركوع) وأريد به الكل (الصلاة) . فالركوع جزء من الصلاة .

يقول محي الدين الدرويش : وفي قوله : وإذا قيل لهم اركعوا مجاز مرسل علاقته البعضية ؛ لأنه سمى الصلاة اسم جزء من أجزائها، وهو الركوع، وإنما خص الركوع بالذكر مع أن الصلاة تشتمل على أفعال كثيرة، لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود...قال مقاتل : نزلت في ثقيف قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حط عنا الصلاة فإننا لا ننحي إنها مسبة فأبى [3]...

يقول أبو حيان الأندلسي : ومعنى اركعوا : اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه . وقيل : الركوع هنا عبارة عن الصلاة، وخص من أفعالها الركوع، لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود[4] ما يفهم من كلام محي الدين الدرويش وأبي حيان الأندلسي ما أشرنا إليه سابقا، أي أن الركوع يعد جزء من الصلاة أطلق الجزء للتعبير عن الكل من باب المجاز المرسل، ومن روائعه أيضا :

- قال تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾[5].
- و قال: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ...**﴾[6].
- و قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...**﴾[7].

1- المرسلات : آية (48).
2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 866.
3- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 30، ص : 191، وينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير ج 10، ص : 379.
4- ينظر : المصدر نفسه، م 8، ج 30، ص : 191.
5- البقرة : آية (43).
6- البقرة : آية (144).
7- المائدة : آية (6).

في الشاهد القرآني الأول مجاز مرسل علاقته الجزئية، أطلق لفظ الركوع وهو الجزء وأريد بها الصلاة (الكل)، ما يفهم من الآية الكريمة أنه خطاب لبني إسرائيل يحثهم تعالى على أداء الصلاة، اركعوا مع الراكعين من أمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكونوا معهم، وكونوا منهم، هذا كله من باب التأكيد على معنى الصلاة، لأن الصلاة عند اليهود تختلف عن صلاة المسلمين باعتبارها لا ركوع فيها، لذلك قال تعالى : مع الراكعين إشارة إلى صلاة المسلمين بكل أركانها وشروطها والله أعلم .

ذكر أبو حيان الأندلسي أن هناك أكثر من احتمال في هذا المقام ، جاء في البحر المحيط : خطاب لليهود، ويحتمل أن يراد بالركوع : الانقياد والخضوع، ويحتمل أن يراد به : الركوع المعروف في الصلاة، وأمروا بذلك وإن كان الركوع مندرجا في الصلاة التي أمروا بإقامتها، لأنه ركوع في صلاتهم، فنبه بالأمر به، على أن ذلك مطلوب في صلاة المسلمين[1]، في الشاهد القرآني الثاني أيضا مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث أطلق الجزء هو : الوجوه وأريد به الكل هو الجسد ككل الذي يتوجه نحو الكعبة الشريفة، أي توجهوا في صلاتكم أيها المؤمنون نحو الكعبة من جميع جهاتها شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، لا على التعيين، في الشاهد الثالث يكمن في قوله : (وأيديكم إلى المرافق) عبر بالجزء (اليد) أراد به الكل (الذراع) .

ورد المجاز المرسل أيضا في قوله تعالى : **﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ...﴾**[2].

يكمن المجاز في لفظ (الرقاب)، الرقبة المقصود بها النفوس، أطلق الجزء وأريد الكل فهذا مجاز نرسل علاقته الجزئية، جاء في إعراب القرآن الكريم : وفي الرقاب والعلاقة جزئية بذكر الجزء وإرادة الكل[3]، والرقاب هم : المكاتبون يعانون في فك رقابهم، قال : علي واين عباس، والحسن ،و ابن زيد، والشافعي، أو : عبيد يشترون ويعتقون، قاله مجاهد، ومالك، وأبو عبيد، وأبو ثور[4] ...

1- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج1، ص : 292.
2- البقرة : أية (177).
3- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 1، ج1، ص : 227.
4- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج2، ص : 137.

خامسا قانون الماضوية (اعتبار ما كان) :

تسمى بالماضوية، أو اعتبار ما كان من روائع هذا النوع من العلاقات قول الشاعر إيليا أبو ماضي :

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةَ أَنَّهُ طِيـ نٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وعَرْبَدَ[1]

ماذا يقصد الشاعر بلفظ الطين ؟و هل الطين ينسى ؟ في هذا البيت الشعري مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، لأن المقصود من لفظ الطين هو الإنسان، ومن نسي أصله الطيني هو الإنسان، ذلك أن الطين هو أصل نشأة الإنسان . استعمل الشاعر لفظ الطين كرمز أشار به إلى الإنسان وذلك باعتبار ما كان عليه في السابق يقول الدكتور بكري شيخ أمين : العلاقة بين الإنسان والطين علاقة تاريخ ونسب ...أو علاقة ماضوية ...أو علاقة (اعتبار ما كان) لذا فهي – أي الطين – مجاز مرسل[2]، لما كان الطين أصل نشأة الإنسان، ولذلك عنى الشاعر بالطين الإنسان الذي رزقه الله تعالى وأعطاه من المال، والرزق، والنعم التي لا تعد ولا تحصى، ثم بعد ذلك تكبر وتجبر على خلق الله، والشاعر ذكر الإنسان بأصله الحقير عسى أن يتراجع عن تكبره .

وأروع وأبين من هذا كله قول منزل التنزيل : ﴿ **وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** ﴾[3]، ويتامى، ويتمة، ويتائم، وميتمة[4] معناه أن اليتيم من تركه أبواه وهو صغير السن ما زال لم يبلغ سن الرشد بعد، وهذه هي البنية الأساس في الكلام (المعنى الحقيقي) لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل اليتيم الصغير السن له الحق في التصرف في ماله ؟ وهل يستطيع أن يسير هذا المال ؟ نقول لا لأن المقصود من قول الله تعالى ليس هذا اليتيم الذي لم يبلغ سن الرشد إنما اليتيم المقصود هو كبير السن العاقل البالغ سن الرشد والذي كان في ماضيه يتيما لكنه بعد بلوغه وشد عوده لم يعد يلقب باليتيم، وبالتالي هذا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، لذلك سماها علماء اللغة العربية بالماضوية[5] .

1- ينظر : ديوان أبو ماضي ،شاعر المهجر الأكبر، دار العودة، ص : 316 .

2- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 102.

3- النساء : آية (2) .

4- ينظر : المعجم الوسيط، ص : 1108.

5- ينظر : عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص : 151.

من بين الأمثلة الدالة على هذه العبارة أيضا : أن نقول : شربت البن، في هذه الجملة مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان[1]، لأنه ليس من المعقول أن تشرب البن، وهذا هو المعنى المجازي، لأن البنية الحقيقية لهذا التركيب أن تقول شربت القهوة، تم الانتقال من البنية الأساس إلى البنية المتحولة أي المجازية، ولما كانت القهوة في السابق عبارة عن بن فإن هذا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان .

سادسا قانون المستقبلية (اعتبار ما يكون) : هذه العلاقة عكس العلاقة السالفة، إذا كان الأول يستعمل كلمة دالة على الماضي فإنا هذا القانون يستعمل كلمة دالة على المستقبل من روائع هذا النوع قول الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[2]، لكن هل من المعقول أن يحكم النبي نوح عليه السلام على جيل لم يره ولم يعرف عنه شيئا بعد ؟

يقول بكري شيخ أمين : إن الأجيال المتعاقبة التي مرت أمام ناظري النبي نوح عليه السلام، جعلته يحكم على الخلف بمثل ما حكم على السلف، وأن الأطفال سيكونون صورة للرجال، وأن المحيط كله كافر فاجر ...لذلك فهؤلاء المواليد سيكونون في مستقبل أيامهم كفارا فجارا كآبائهم وأجدادهم[3].

يقول محي الدين الدرويش : في قوله تعالى : (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) مجاز مرسل علاقته ما يؤول إليه لأنهم لم يفجروا وقت الولادة، بل بعدها بزمن طويل على كل حال[4]، لأن المجاز ورد في لفظ : كافر، وفاجر يقصد بهما ما سيكون عليه هذا الجيل في المستقبل، وجاء في البحر المحيط : (يدل على أنه لم يعقم أرحام نسائهم، وقال محمد بن كعب والربيع ابن زيد، ولا يظهر كما قلنا، وقد كان قبل ذلك طامعا في إيمانهم عاطفا عليهم ... ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا : وصفهم وهم حالة الولادة بما يصيرون إليه من الفجور والكفر[5]، لذلك دعا عليه السلام على قومه الكافرين مستثنيا منهم المؤمنين الذين استغفر لهم مبتدءا بنفسه ثم لوالديه ...

1- ينظر : بدر الدين بن تريدي، البلاغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت صيداء، د- ط، د- ت، ج1، ص : 355.
2- نوح : آية (27/26).
3- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الحديد علم المعاني، ج2، ص : 104.
4- ينظر : محي الدين الدرويش إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 87.
5- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص : 288.

من روائع هذا القانون (اعتبار ما سيكون عليه) ما ورد في قصة نبي من أنبياء الله المخلصين هو النبي يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿ **إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا** ﴾[1]، الخمر سميت بذلك لأنها مسكر للعقل وخامرة لمقره، وهو عند بعض الناس اسم لكل مسكر وعند بعضهم اسم للمتخذ من العنب والتمر، لما روي عنه صلى الله عليه وسلم : (والخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنبة)، ومنهم من جعلها لغير المطبوخ [2]، من جانب الحقيقة أن الخمر في حد ذاته يشربه صاحبه سائلا فلا يعصر، الجانب المجازي في كلام أحد أصحاب النبي يوسف يكمن في لفظ أعصر، والشيء الذي يعصر هو العنب أي المادة التي يصنع منها الخمر ليصبح في المستقبل على الصورة السائلة التي يجب أن يكون عليها ولما كانت العلاقة بين الخمر والعنب الذي يصنع منه الخمر تدل على زمن المستقبل فإن ما ورد في قوله تعالى مجاز مرسل علاقته المستقبلية أو ما يسميه علماء البلاغة العربية باعتبار ما سيكون

سابعا قانون المحلية: يذكر في هذا اللون المحل، ويراد الحال (بتشديد اللام)، أو يذكر المسكن ويراد به الساكن[3]، قال ابن الرومي : **لَا أَرْكَبُ البَـحْرَ إِنِّي أَخَافُ مِنْهُ المَعَـاطِبَ**

طِينٌ أَنَا وهُوَ مَـاءٌ والطِّينُ فِي المَاءِ ذَائِبُ[4].

هل البحر يركب ؟ وما الشيء المخيف في البحر ؟ نقول : لا، لا يركب البحر إنما السفينة هي التي يركبها الناس في البحر ربما قول ابن الرومي هذا ما هو إلا خوف من السفينة التي ربما قد تغرق في البحر، لأننا نقول عن شخص يخاف ركوب السفينة إلا إذا كان لا يعرف السباحة، أو خوفا من الدوار الذي يسببه الموج أثناء الركوب في السفينة ... يقول الدكتور بكري شيخ أمين : يقصد أنه يخاف ركوب السفينة في البحر، لأن عنده عقدة الخوف من ركوب السفن، فقد تغرق، وهو لم يتعلم من فن السباحة سوى الغوص[5]، ولما كان البحر هو محل تواجد السفن والسفن ما هي إلا حالة فيه فإن هذا مجاز مرسل علاقته المحلية لأنه ذكر المحل وهو البحر ولم يذكر الحالة وهي السفينة .

1- يوسف : آية (36).
2- ينظر : الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص : 299 بتصرف .
3- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 105.
4- ملاحظة : هذان البيتان لابن الرومي، بحثت في الديوان عنهما ولكنني لم أجدهما، ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ج2، ص : 104.
5- ينظر : المرجع نفسه، ج2، ص : 104، وما بعدها.

وأبين من قول الشاعر (ابن الرومي)، ما ورد في النص القرآني الذي بين أيدينا ومنه قال الله تعالى : ﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا** ﴾[1]، في الشاهد القرآني مجاز مرسل واضح يكمن في لفظ السماء، لأن السماء في حقيقة الأمر ليست هي التي ترسل إنما المطر هو الذي يرسل والسماء ما هي إلا المكان أو المحل الذي ينزل ويهطل منه المطر وهذا الأخير (المطر) ما هو إلا حالة، (بتشديد اللام) لذلك هذا مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن الله تعالى ذكر المحل أو المكان وأراد الحالة وهي المطر، يقول محي الدين الدرويش : (في قوله : (يرسل السماء عليكم مدرارا) مجاز مرسل علاقته المحلية، فقد أراد بالسماء المطر، لأن المطر ينزل منها، قال :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءَ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإِنْ كَانُوا غِضَابَا .

والمراد بالبيت : وصف شجاعتهم، لأنهم إذا اجترؤوا على رعي نبات القوم الغضاب، فهم أحرى بأن يجترئوا على غيرهم، وفي البيت أيضا استخدام فقد أطلق السماء، وأعاد عليها الضمير بمعنى النبات ...)[2] .

ورد المجاز المرسل الدال على علاقة المحلية أيضا في قول منزل التنزيل : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ...**﴾[3]، يقصد به أنهم في مكان به الكثير من الأشجار المتنوعة والزاهية البهية وعيون جارية من السلسبيل والرحيق وغيرها[4] ... وفي الشاهد القرآني هذا مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن الله تعالى يقصد من ذلك أن المكان الذي يتواجد فيه عباده المخلصين له، والمتقين يوم القيامة هو الجنة، هذا هو المتفق عليه . لأن هذه المواصفات التي ذكرها المولى عز وجل لا تكون في أي محل آخر سوى الجنة التي وعد بها عباده المتقين يقول محي الدين الدرويش في بيان هذه العلاقة : (في قوله : (إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مجاز مرسل، علاقته المحلية، وهي الجنة، لأن الظلال تمتد، والعيون تجري، والفواكه تنضج فيها)[5] .

1- نوح : آية (11).

2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 82 (ملاحظة : البيت الشعري الذي ورد في هذا المصدر لم أجد قائله).

3- المرسلات : آية (42/41).

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 866.

5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج30، ص : 191.

من بين المواضع التي ورد فيها المجاز المرسل الدال على علاقة المحلية أيضا قول الله تعالى : ﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَه**﴾[1] والنادي هو أهل مجلسه .

يقول السعدي في تفسير : هذا الذي حق عليه العقاب ...و النادي : أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله ليعينوه على ما نزل به[2]، لذلك سيدع الله الزبانية أي : ملائكة العذاب التي تتولى أمره، في هذا الشاهد القرآني مجاز مرسل يكمن في لفظ النادي، لأن النادي في الحقيقة لا يدعى كونه مكان، إنما الذي يدعى هو الأهل أو الأصحاب، وبالتالي ذكر الله تعالى المحل وهو النادي وقصد من ورائه الحال المتمثل في الأهل، فهذا مجاز مرسل علاقته المحلية طالما ذكر المحل وحذف الحال .

يقول محي الدين الدرويش : (... وفي قوله : (فليدع ناديه) مجاز مرسل، المراد : أهل النادي، فالنادي لا يدعى، وإنما يدعى أهله، فأطلق المحل وأريد الحال، فالمجاز مرسل علاقته المحلية والنادي هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم ...)[3].

من بين المواضع أو السور التي ورد فيها المجاز المرسل قوله جل سلطانه : ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾[4].

يكمن المجاز في لفظ عيشة راضية لأن القصد من وراء هذا الكلام جنات النعيم، ولأنه ذكر المحل وأريد الحال، فهذا مجاز مرسل علاقته المحلية . يقول السعدي في تفسير : من رجحت حسناته على سيئاته، فهو في عيشة راضية أي في جنات النعيم [5]، والذي خفت موازينه وثقلت بذلك سيئاته وطغت على حسناته فإن مصيره جهنم لا محال، جاء في إعراب القرآن الكريم وبيانه : (...و في قوله : (فهو في عيشة راضية) مجاز مرسل، لأن الذي يرضى بها الذي يعيش فيها، فهو مجاز مرسل، علاقته المحلية، وقيل : راضية بمعنى مرضية ...)[6]، كانت هذه هي المواضع التي ورد فيها المجاز المرسل الدال على علاقة المحلية في الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم .

1- العلق : آية (17).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص :889.

3- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه ،م8، ج30،ص : 367.

4- القارعة : آية (7/6).

5- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 892.

6- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج 30، ص : 396.

ثامنا قانون الحالية : هذه العلاقة عكس العلاقة السابقة، يذكر فيه الحال ويراد المحل، أو نذكر الساكن ونريد المسكن [1]، كقول المتنبي في هذا البيت الشعري الذي يذم فيه كافور :

إِني نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفَهُمْ عَنِ القُرَى وَعَنْ التِّرْحَالِ مَحْدُودُ[2] .

في البيت الشعري مجاز مرسل يكمن في لفظ نزل، لأن الإنسان لا ينزل في الحقيقة إلا بأرض أو مكان معين أو بيت ما ...و هذا ما قصده المتنبي من وراء لفظ نزل أي بالأرض التي تعيش فيها فئة معينة من الكذابين، فذكر الساكن (الكذابين) وأراد المسكن على سبيل المجاز المرسل الدال على علاقة الحالية، من روائع هذا القانون (الحالية) ما ورد في النص القرآني، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾[3]، يكمن المجاز المرسل الدال على قرينة الحالية في لفظ نعيم، والنعيم محله مكان واحد هو الجنة التي يظفر بها الأبرار ويفوزون بها يوم القيامة، والنعيم حال أهل الجنة فأطلق الحال وأريد به المحل فالعلاقة حالية .

و في قوله تعالى : ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ** ﴾[4]، أيضا مجاز مرسل يكمن في لفظ : تكذيب إذ ليس من المعقول أن يكون الإنسان ويحل في تكذيب لأنه ليس مكان بإمكانه أن يحل فيه فهذا مجاز مرسل علاقته الحالية، لأنه تعالى ذكر الحال وأراد المحل . يقول محي الدين الدرويش : (... مجاز مرسل، علاقته الحالية، لأن التكذيب معنى من المعاني، ولا يحل الإنسان فيه، وإنما يحل في مكانه، فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز أطلق فيه الحال، وأريد المحل، فعلاقته الحالية، وعدل عن يكذبون إلى جعلهم في التكذيب، وأنه لشدتهم أحاط بهم إحاطة البحر بالغريق، والسوار بالمعصم، وفي الوقت نفسه جاء بالتكذيب نكرة للدلالة على تعظيمه، وتهويل أمره[5]، يقول صاحب البحر المحيط : (ولما ذكر أنهم في تكذيب، وأن التكذيب عمهم حتى صار كالوعاء لهم)[6] أي أصبح وكأنه مكانا لهم يحويهم .

1- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان ،ج2 ،ص : 106.
2- ينظر : ديوان المتنبي، ص : 327.
3- الانفطار : آية (13) .
4- البروج : آية (19).
5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج30، ص : 273 وما بعدها .
6- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج 10 ،ص : 447.

تاسعا قانون الآلية :

في هذا اللون نذكر الآلة لكن المراد من هذا الذكر هو أثر هذه الآلة ومفعولها لا بد من الإشارة فقط إلى أن هذا النوع من المجاز لم يرد في الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم لذلك نعرض له من مواضع أخرى وذلك من باب التوضيح من بين الشواهد التي ورد فيها هذا النوع من المجاز:

قول الله تعالى : ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** ﴾[1]، ورد المجاز المرسل في لفظ : لسان، فالمقصود باللسان القول الحسن، أو الذكر الحسن ،يقول الدكتور بكري شيخ أمين : المقصود باللسان الذكر الحسن، لكن لصاحب إعراب القرآن رأي مختلف عن هذا الرأي فهو يرى أن العلاقة في هذا المجاز هي السببية ليست الآلية كما ذكر أنه مجاز من باب إطلاق الجزء على الكل .

يقول محي الدين الدرويش : (...مجاز مرسل، إذ المراد باللسان هنا : الثناء، وذكر اللسان مجاز، لأنه سببه، فالعلاقة هي السببية، وقد تقدم ذلك مرارا، وقيل أنه مجاز من إطلاق الجزء على الكل)[2] .

و من ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ** ﴾[3]، أي على مرأى الناس أجمعين وذكر العين والعين تعتبر آلة للرؤيا والنظر والبصر وهذا مجاز مرسل علاقته الآلية .

وقال تعالى أيضا في موضع آخر : ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾[4]، في هذا الشاهد أيضا مجاز مرسل يكمن في لفظ العين الدالة على آلة الرؤيا والبصر وبالتالي لفظ العين استعمل استعمالا مجازيا

وقال الله تعالى في موضع آخر : ﴿... **قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ...﴾ [5] .

1- الشعراء : آية (84).

2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج 8 ، ص : 421و ما بعدها .

3- الأنبياء : آية (61) .

4- هود : آية (37).

5- البقرة : آية (250).

الكلمة التي استعملت استعمالا مجازيا هي (أقدامنا) والقصد من ورائها ربنا ثبتنا في مكان أو في ميدان الحرب وانصرنا على القوم الكافرين بأن لا تجعل الفرار سبيلنا، أما عن علاقة الأقدام بالثبات في ميدان الحرب كون الأقدام هي آلة ثبات تتيح لهم المشي أثناء الحرب . يقول السعدي في تفسيره : أي قوي قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين، من ها هنا نعلم أن جالوت وجنوده كانوا كفارا، فاستجاب الله لهم ذلك الدعاء بإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، ونصرهم عليهم .1

من خلال هذه الدراسة لفصل المجاز المرسل نستنتج أنه يعد من الوسائل البيانية وأحسنها التي تساهم في إيضاح ودقة المعنى، ظهرت هذه الميزة للمجاز من خلال الحركة التي كانت تؤديها الشواهد التي إعتمدناها بأنواعها : القرآنية، والشعرية، هذه الحركة التي تتمثل في طريقة الانتقال، والعدول، والخروج من البنية الأساسية : (الحقيقة) إلى البنية المجازية (المتحولة أو ما يسميها بعض العلماء بالبنية المنحرفة) .

يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : يقوم أسلوب المجاز على الطرد والعكس في :

1- البنية الخارجية .

2- البنية الداخلية .

بحيث لا تتحقق البنية الداخلية للمجاز إلا إذا تحررت الكلمة من القيد المسلط عليها وذلك بتجاوز عنصر المشابهة .

و ذكر أيضا أن البنية الداخلية تتطلب البنية الخارجية وحتى تستطيع الدخول إليها علاقة تساعدها على تحقيق بنية المجاز المرسل [2]... على كل يبقى المجاز المرسل يحظى بمكانة عالية ودرجة كبيرة مقارنة بعلوم البيان من تشبيه وكناية ...الخ نظرا للإيجاز الذي يمتاز به هذا بالإضافة إلى قوة تأكيد المعنى في النفس .

يقول أحمد الهاشمي : لأنه كدعوى إلى البرهان إذ أنه لا يخلو من المبالغة البديعية التي لها أثر في جعل المجاز رائعا خلابا، نحو العلاقة الكلية للجزئية مبالغة [3]...

1- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 92.

2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 451.

3- ينظر : أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص : 257.

الفـــصل الرابـــع:

بنـــية الاستعـــارة

المبحث الأول : مـــــــــاهية الاســـتعارة .

المبحث الثاني : الأقسام الرئيسية للاستعارة .

المبحث الثالث : الاستعارة باعتبار المـلائم

تعد الاستعارة الضرب الثاني من المجاز اللغوي، تقوم العلاقة فيها بين الدلالتين الحقيقية والمجازية على المشابهة إذ لابد من وجود قرينة سواء كانت ملفوظة أو ملحوظة، تمنع من إرادة المعنى أو الدلالة الأصلية .

المبحث الأول ماهية الاستعارة :

المطلب الأول الاستعارة لغة :

ورد في لسان العرب أن الاستعارة : مأخوذة من : العارية (بالتشديد)، فهي منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار وعيب، والعارة مثل : العارية ...يقول : أعرته الشيء أعيره إعارة ...و في قول ابن مقبل :

فَأْخْلِفْ وأَتْلِفْ إِنَّمَا المَالَ عَارَةٌ وكُلَّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ [1]

نقول : أعار : رفع وحول، ومنه إعارة الثياب والأدوات ...و يقال : استعار سهما من كنانته[2]، يقول النابغة : **وأَنْتَ رَبَيعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سَيْبُهُ وسَيْفٌ أَعيرتْهُ المَنِيَّةُ قَاطِعُ** [3].

وجاء في القاموس المحيط : يقال : اعتوروا الشيء، وتعوروه، وتعاوروه، لأي تداولوه واختلفوا وتناوبوا عليه، نقول : تعاور القوم فلانا إذا تعاونوا عليه بالضرب واحد بعد واحد[4] وجاء في الحديث النبوي الشريف : عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين – أي المترددة بين قطيعين تعيره إلى هذه مرة وإلى هذه مرة)[5] . وجاء في المعجم الوسيط : أعاره الشيء، وعارة : أعطاه إياه عارية (بتشديد الياء) . وعاروه الشيء : أعطاه إياه عارية (بتشديد الياء) وفلانا الشيء : فعل به مثل ما فعل به صاحبه و– الشمس : راقبها [6].

1-ينظر : لسان العرب، مادة (عير).

2-ينظر : نفسه، مادة (عير)، وينظر : الزمخشري، أساس البلاغة ، مادة (عور).

3- ينظر : ديوان النابغة الذبياني، ص : 82.

4ينظر : محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (عور) .

5- ينظر : الإمام مسلم، الجامع الصحيح ، صورت هذه الطبعة تصويرا أمينا، مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، من طبعة أسطنبول المحققة، 1329هـ، ج 8، ص : 125.

6- ينظر : المعجم الوسيط، ج2/1، ص : 667.

المطلب الثاني الاستعارة في اصطلاح علماء البلاغة :

اعتنى علماء البلاغة العربية بالاستعارة وتناولوها في دراساتهم، مبكرا وقدموا لها تعريفات مختلفة ضبطت مفهومها، يقول العلوي في تعريفه للاستعارة : (اعلم أن الاستعارة المجازية مأخوذة من الاستعارة الحقيقية وإنما لقب هذا النوع من المجاز بالاستعارة أخذا لها مما ذكرناه ؛ لأن الواحد منا يستعير من غيره رداء ليلبسه، ومثل هذا لا يقع إلا من شخصين بينهما معرفة، ومعاملة، فتقتضي تلك المعرفة استعارة أحدهما من الآخر فإن لم يكن بينهما معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر من أجل الانقطاع . وهذا الحكم جار في الاستعارة المجازية، فإنك لا تستعير أحد اللفظين للآخر إلا بواسطة التعرف المعنوي ...)[1].

فالاستعارة تعد فن من فنون علم البيان استحوذت على الكثير من دراسات الإعجاز، القرآني، وأخذت حظها الوافي من كتب الأدباء والشعراء لأنها ذات أهمية كبيرة، يقول عبد القادر عبد الجليل : معها تنطق الجمادات، وتتنفس الصخور، وتتحرك الطبيعة الصامتة [2].

لقد تناول الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) وظيفة الاستعارة فقال : إنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة، تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن [3]، وفي تعريفه للاستعارة يقول : الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية[4]، أما السكاكي (ت626 هـ) عرفها بقوله : الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دال على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به [5]، كأن نقول مثلا : في بيتنا بحر، ونحن نقصد بلفظ البحر الرجل العالم .

1- ينظر : العلوي، الطراز، ج1، ص : 198.
2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 455.
3- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص : 32 .
4- ينظر : المصدر نفسه، ص : 35 وما بعدها .
5- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 369.

ما يفهم من كلام العلوي : أن الاستعارة تتمثل في استعمال كلمة بدل من أخرى شريطة أن تكون بينهما علاقة المشابهة، مع ضرورة وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي كونها تفصح عن الغرض الذي يرمي المنشئ إلى تحقيقه، أيا كان نوعها لفظية أو حالية .

يقول البحتري : **وصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ تَنْكَفِي بِهاَ عَلَى أَرْؤُسِ الأَقْرَانِ خَمْسِ سَحَائِبِ**[1].

استعار البحتري في هذا البيت السحائب الخمس لأنامل يمين الممدوح وذكر أن هناك صاعقة هذه الصاعقة من نصل سيف الممدوح ، ثم ذكر أنها على أرؤس الأقران، ليحدد بعدها عددها خمسة مثل عدد الأنامل في اليد الواحدة، يقول مصطفى المراغي : (... وجعل ذلك كله قرينة لمن أراد استعارة السحائب للأنامل، فيتبين للسامع من كل هذا غرض الشاعر ويتضح مقصده[2]).

أما تعريف السكاكي للاستعارة جاء تعريفا شاملا إذا ما قارناه بالتعريفات السابقة له بإضافته شرط نصب القرينة، كما أن تعريفات المحدثين لم تأت بالجديد عما قاله السكاكي في تعريفه للاستعارة، وبالرغم من تطور الدراسات البلاغية الحديثة إلا أن هذا التعريف بقي معتمدا، تقوم بنية الاستعارة على الركائز الآتية :

1- المستعار (اللفظ المنقول) .
2- المستعار له (المشبه) .
3- المستعار منه (المشبه به).
4- القرينة .
5- الجامع (وجه الشبه) .

الأول هو لفظ المشبه به، والثاني هو لفظ المشبه، والثالث هو معنى المشبه به والرابع هو القرينة التي تكون إما لفظية أو معنوية كما ذكر سالفا، والخامس والأخير وجه الشبه ...ما نلاحظه أن هذه العناصر هي نفسها العناصر التي يساهم في تشكيل بنية التشبيه . من خلال حركة هذه الركائز الخمس داخل بنية النص القرآني الذي بين أيدينا تتولد الاستعارة كما سنرى في التحليل [3].

1- ينظر : ديوان البحتري، ص : 356.
2- ينظر : مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص : 645.
3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 459، وما بعدها بتصرف .

المبحث الثاني الأقسام الرئيسية للاستعارة: قسم علماء اللغة العربية وخاصة المتأخرين منهم الاستعارة إلى عدة أنواع وذلك اعتمادا على اعتبارات أهمها :

1- باعتبار الطرفين .

2- باعتبار اللفظ المستعار .

3- باعتبار الملائم .

4- باعتبار الطرفين الجامع . هذا بالإضافة إلى اعتبارات أخرى ...

المطلب الأول الاستعارة التصريحية والمكنية :

أولا:الاستعارة التصريحية (أصلية / تبعية)، تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن هذا النوع من الاستعارة واعتبرها القسم الأول من أقسامها وبين أن المستعار فيه هو نقل شيء ثابت معلوم يمكن الرجوع إليه بدون كلفة[1]، يقول الجرجاني في تعريف الاستعارة : (أن تنقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجربه عليه وتجعله متناولا له تناول الصفة مثلا للموصوف)[2]، هذا النوع يصرح فيه بالمشبه به بلفظ أو جملة لم يستعمل في معناه الحقيقي لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمجازي، من روائعه : قال منزل التنزيل : **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾**[3]، في هذا الشاهد القرآني استعارة تصريحية حيث شبه تعالى الكواكب والنجوم بالمصابيح التي هي مشبه به وتم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية . يقول محي الدين الدرويش : (... استعارة تصريحية، شبه الكواكب والنجوم بمصابيح، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية ...الأصلية ؛ لأن الناس يزينون مساجدهم ودورهم بإثقاب المصابيح، ولكنها مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة[4]، وفي قوله تعالى : **﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾**[5]، هذه استعارة تصريحية، شبه تعالى قوم نوح عليه السلام بالنبات، لأن النبات يدل على الإنشاء فحذف المشبه (القوم) وابقى على المشبه به

1- ينظر : ابن عبد الله شعيب، علم البيان، ص : 144 .
2- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص : 42.
3- الملك : آية (5).
4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ص : 10.
5- نوح : آية (17).

جاء في إعراب القرآن الكريم وبيانه : (...استعارة تصريحية ؛ لأنه شبههم بالنبات، فقد استعار الإنبات للإنشاء كما يقال : زرعك الله للخير، وكانت هذه الاستعارة ذات فائدة [1]...كما وردت الاستعارة التصريحية في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا** ﴾[2]، هذه استعارة تصريحية، صرح فيها بالمشبه به وهو جد ربنا وحذف المشبه وهو الحظ .

يقول محي الدين الدرويش : استعار من الحظ الذي هو : البخت، والدولة ؛ لأن الأغنياء هم المجددون، والمعنى : وصفه بالتعالي عن الصاحبة، والولد ؛ لعظمته، واستغنائه [3]، أي : تعالت عظمته وتقدست أسماؤه[4]، كما ورد في كتب التفاسير، وقال تعالى في سورة أخرى : ﴿ **إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا** ﴾[5]، هذه استعارة تصريحية تكمن في المصدر سبحا من السباحة في الماء للدلالة على قضاء الحوائج وكيفية التصرف في هذا الأمر .

فالسبح مصدر سبح، وقد استعير من السباحة في الماء للتصرف في مناحي العيش وحوائج الناس، أي : إن لك في النهار تصرفا وتقلبا في المهمات، كما يتردد السابح في الماء[6] .. وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا** ﴾[7]، في هذا الشاهد أيضا استعارة تصريحية، وفيها شبه الله تعالى يوم القيامة بالثقل كونه يوم الهول، وبالتالي صرح تعالى بالمشبه به وهو (الثقل)، وحذف المشبه هو يوم الهول الثقيل على الناس أجمعين على سبيل هذا النوع من الاستعارة . جاء في إعراب القرآن : أن هذا الشاهد فيه استعارة تصريحية، فقد استعير الثقل لشدة ذلك اليوم، وهوله من الشيء الثقيل الهابظ لحامله [8]، وعليه الثقل استعير للدلالة على يوم القيامة .

- إنه يوم ثقيل .
- يوم الهول، إنه (المشبه به) وهاتان الصفتان تدوران حوله .

1- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ص : 82.
2- الجن : آية (3).
3- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ص: 91.
4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 852.
5- المزمل : آية (7) .
6- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ص: 113.
7- الإنسان : آية (27).
8- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ، ص:175.

وقال تعالى : ﴿ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا** ﴾[1] ورد هذا الشاهد القرآني في كتب بعض العلماء على أنه مجاز مرسل علاقته استعمال المقيد في المطلق لكن كان منهم من أجاز أن يكون استعارة تصريحية وذلك على أساس أن الله تعالى شبه الماء والمرعى وهو أكل الناس برعي الدواب .

يقول محي الدين الدرويش في هذه الآية الكريمة : ويجوز أن يكون استعارة، حيث شبه أكل الناس برعي الدواب لأن المقصود بلفظ مرعاها : ما يأكله الناس والأنعام، واستعير الرعي للإنسان [2]، وفي السورة نفسها يقول تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** ﴾[3]، استعارة تصريحية استعير لفظ الإرساء للدلالة على أي شيء له ثقل، وعليه صرح تعالى بلفظ المشبه به وهو الإرساء وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، جاء في إعراب القرآن : في قوله : (أيان مرساها) استعارة تصريحية، فقد استعار الإرساء، وهو لا يستعمل إلا فيما له ثقل [4]، وجاء في قول الله عز سلطانه : ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى** ﴾[5]، هذه استعارة تصريحية لأنه تعالى صرح فيها بالمشبه به وهو الضلال وحذف المشبه وهو عدم وجود وغياب الدين أو الشريعة الإسلامية في قلوب الناس .

يقول صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه : استعارة تصريحية، شبه الشريعة بالهدى، وعدم وجودها بالضلال، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به، وهو الضلال [6]، لأن الضلال يقصد به الخروج عن طريق الهدي، والولوج إلى عالم الفساد والخراب، يقول الراغب الأصفهاني في تفسير لفظ الضلال : والضلال : العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية[7]، قال تعالى : ﴿ **مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾[8] .

وردت الاستعارة التصريحية في قوله تعالى : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[9]، في هذا الشاهد القرآني استعارة تصريحية لأنه صرح بلفظ المشبه به وهو النجدين وبالتالي استعار النجدين للدلالة على الخير ونقيضه الشر وحذف المشبه (الخير، والشر) .

1- النازعات : آية (31).
2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 30، ص:216/215.
3- النازعات : آية (42) .
4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 30، ص: 216.
5- الضحى : آية (7) .
6- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 30، ص: 345.
7- ينظر : الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص : 509.
8- الإسراء : آية (15).
9- البلد : آية (10).

ذكر محي الدين الدرويش أن هذه استعارة تصريحية لأنه استعير فيها النجدين للخير والشر، وحذف المشبه وهو الخير والشر، وأبقى المشبه به . فإن قلت : أما تشبيه الخير بالنجد، وهو المرتفع من الطريق، فلا غبار عليه ؛ لأنه ظاهر بخلاف الشر فإنه هبوط، وارتكاس من ذروة الفطرة إلى حضيض الابتذال [1]...

من بين المواضع التي وردت فيه الاستعارة التصريحية، من النص القرآني الذي بين أيدينا قوله تعالى : ﴿ **فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا** ﴾[2]، استعارة تصريحية لأنه صرح بالمشبه به والقدح الدال على النار وحذف المشبه على سبيل هذا النوع من الاستعارة، ولمحي الدين الدرويش رأي في ذلك، يقول موضحا هذه الاستعارة : (في قوله (فالموريات قدحا) استعارة في الخيل تشعل الحرب، فهي استعارة تصريحية ؛ شبه الحرب بالنار المشتعلة، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به[3] .

الموريات يقصد بها الخيل (المشبه الذي لم يصرح به) فمن قوة وصلابة حوافر هذه الخيل تقدح أي تشتعل النار(المشبه به الذي صرح به) في ميدان الحرب، جاء في تفسير السعدي : فالموريات بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار قدحا أي : تقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون [4].

ثانيا : الاستعارة المكنية :

هذا النوع من الاستعارة يذكر فيه المشبه ويحذف المشبه مع ضرورة ترك لازم من لوازمه يعود عليه، وهذا ما يسمى بالاستعارة بالكناية أو المكنى عنها [5]، ويقول شيخ البلاغة العربية الإمام عبد القاهر الجرجاني في تعريف الاستعارة : أن يؤخذ الاسم من حقيقته، ويوضع موضعا لا يبين فيه شيء يشار إليه، فيقال : هذا هو المراد الذي استعير له وجعل خليفة لاسمه ونائبا منابه [6].

1- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ص: 324.
2- العاديات : آية (2)..
3- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ص: 390.
4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 891.
5- ينظر : محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، د- ط، 1955م، ج2، ص : 613.
6- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص : 42 وما بعدها .

و عرف السكاكي الاستعارة المكنية بقوله : هي كما عرفت أن تذكر المشبه، وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة تنصبها، وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئا من لوازم المشبه به المساوية [1].

الاستعارة المكنية في نظر السكاكي هي : كما أشرنا في بداية تعريفها حذف المشبه به وترك صفة من صفاته تدل على أنه هو الركن المحذوف مع البقاء على المشبه الذي يضاف إليه صفات المحذوف (المشبه به)

ومن روائع الأمثلة القرآنية المتعددة : قال الله تعالى : ﴿ **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ** ﴾[2] .

استعارتين مكنيتين تكمن الأولى تشبيه جهنم بالشهيق الذي هو عبارة على الصوت الذي يخرج من القلب من شدة الكمد والأسى والحزن، يقول ابن عبد الله شعيب : (... بجامع الإبداء وما يدخلان في النفوس من رعب [3]، حذف المشبه به وكنى عنه بلازم من لوازمه (الشهيق)، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي إسناد الشهيق للنار .

الاستعارة المكنية الثانية تكمن في تشبيه جهنم بالمغتاظة أو بالإنسان المغيظ الذي يكون معصبا من شدة الغليان فالضمير المستتر في تميز يعود على جهنم حذف المشبه به وأبقى على لازم من لوازمه وترك المشبه على سبيل الاستعارة المكنية .

يقول محي الدين الدرويش : (....استعارة مكنية تبعية، شبه جهنم بالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، وحذف المشبه به، وأبقى شيئا من لوازمه ؛ لأن المغتاظة تتميز وتتقصف غضبا، ويكاد ينفصل بعضها عن بعض لشدة اضطرابها، ويقولون : فلان يتميز غيظا ؛ إذا وصفوه بالإفراط في الغضب[4] ...)

1- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص : 378.

2- الملك : آية (8/7).

3- ينظر : ابن عبد الله شعيب، علم البيان، ص : 149.

4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 29، ص: 10.

قال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾[1]، في هذا الشاهد القرآني استعارتين مكنيتين رائعتين الأولى تتمثل في تشبيه الليل بالإنسان، حذف المشبه به الذي هو الإنسان وكنى عنه بلازم من لوازمه (عسعس) وترك المشبه الذي هو الليل على سبيل الاستعارة المكنية، وفي الصورة البيانية الثانية شبه الصبح بكائن حي يتنفس وحذفه ؛ أي الكائن الحي وترك لازم من لوازمه (التنفس)، وترك أيضا المشبه (الصبح) على سبيل الاستعارة المكنية .

يقول محي الدين الدرويش : استعارة مكنية شبه الليل بإنسان يقبل ويدبر ...كما شبه الصبح بكائن حي يتنفس [2]، وقال تعالى في موضع آخر : ﴿**وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ**﴾[3]، تحتوي الآيات الكريمة على استعارتين رائعتين الأولى : شبه فيها السماء وحالها بالذي يستمع طائعا ربه، وحذف المشبه به وترك لازم من لوازمه والاستماع والإذن وأبقى على المشبه على سبيل الاستعارة المكنية .

وفي الثانية : شبه الله تعالى الأرض لما قال ألقت ما فيها بالمرأة الحامل لأن الأرض لا تقوم بفعل الإلقاء إنما الذي يقوم بذلك هو المشبه به المتمثل في المرأة الحامل – كما ذكرنا – والذي حذف وترك لازم من لوازمه يدل عليه وهو الفعل ألقت وتخلت، وترك المشبه وهو الأرض على سبيل الاستعارة المكنية جاء في إعراب القرآن الكريم وبيانه : الأولى : استعارة مكنية ؛فقد شبه حال السماء في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطواع للأمر، ثم حذف المشبه به واستعير لفظ الإذن والاستماع المستعمل في غايته [4]، وفي الثانية استعارة مكنية، فقد شبهت حال الأرض بحال المرأة الحامل تلقي ما في بطنها عند الشدة والهول، ثم حذف المشبه به، واستعير لفظ الإلقاء[5]، تشير كتب التفاسير لهذه الآيات بأن هذا التعبير مجازي ففي الآية الأولى : الأرض استمعت لأمره تعالى وفي الثانية تلقي الأرض ما في بطنها من الأموات [6]...

1- التكوير : آية (18/17).
2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 30، ص:240 .
3- الانشقاق : آية (4/3/2).
4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 30، ص:262 بتصرف .
5- ينظر : المصدر نفسه، م 8، ج 30، ص : 263 بتصرف .
6- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 876.

وردت الاستعارة المكنية أيضا في قوله تعالى : ﴿ **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ** ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾ [2] .

في الشاهد القرآني الأول استعارة مكنية تكمن في استعارة فعل الصب كدليل على السرعة في ضرب هذا المضروب والسوط هو أداة الضرب لكن حذف المشبه به وهو الماء الذي يصب ليس السوط وكنى عنه بلازم من لوازمه (الصب) على سبيل الاستعارة المكنية . في الشاهد القرآني الثاني أيضا استعارة مكنية حيث شبه نصر المولى عز وجل وكذا فتحه بالإنسان الذي هو مشبه به لأن صفة المجيء خاصة بالإنسان، لذلك حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على لازم من لوازمه وهي فعل المجيء وترك المشبه المزدوج وهو نصر وفتح الله تعالى على سبيل الاستعارة المكنية .

يقول محي الدين الدرويش في الأولى : (استعارة مكنية فقد استعمل الصب، وهو خاص بالماء ؛ لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب) [3].

قال : **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ مُحْصَرَاتٍ كَأَنَّهَا شَآبِيبُ لَيْسَتْ مِنْ سَحَابٍ وَلاَ قَطَرٍ.**

و قال آخر :

صَبَبْنَا عَلَيْهِمْ ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلِ [4].

وقال في الثانية : (استعارة مكنية أيضا تبعية ؛ شبه المقدور، وهو النصر، والفتح، بكائن حي يمشي متوجها من الأزل إلى وقته المحتوم، فشبه الحصول بالمجيء، وحذف المشبه به، وأخذ شيئا من خصائصه وهو المجيء[5]) ، ورد هذا النوع من الاستعارة (المكنية) حوالي ست مرات ككل في الجزأين الأخيرين من النص القرآني الذي نحن بصدد دراسته بينما النوع الأول منها (التصريحية) ورد حوالي عشر مرات .

1- الفجر : آية (13).
2- النصر : آية (1).
3- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج 30، ص:306.
4- ينظر :المصدر نفسه، م 8، ج 30، ص : 436، (ورد البيتان في كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش، ص : 436).
5- ينظر : المصدر نفسه، م 8، ج 30، ص : 263 بتصرف .

هذا عن التقسيم الأولي، مع العلم أن الاستعارة التصريحية نوعين : أصلية وتبعية، تكون أصلية إذا كان المستعار منه جامدا غي مشتق وتكون تبعية إذا كان العكس يقال أنها سميت بذلك لأن جريانها في الأفعال، والأسماء المشتقة، والحروف تابع للاستعارة في المصدر الذي يشتق منه الفعل، أو الصفة [1]...و الاستعارة عموما ترد في مواضع متعددة منها : الفعل، المشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، أسماء الزمان والمكان، اسم التفضيل . اسم الآلة)، الحروف، من بين الشواهد القرآنية الدالة وجود الاستعارة في الفعل :

قال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾[2].

و قال في موضع آخر : ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ** ﴾[3].

و قال تبارك وتعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ** ﴾[4].

و قال أيضا : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى** ﴾[5].

بالنسبة للشاهد القرآني الأول تقدم شرحه، وتبين أنه استعير: الفعل عسعس، والفعل تنفس، والشاهد القرآني الثاني تكمن الاستعارة فيه في الفعل سكت وبالتالي استعير السكوت كدليل على الزوال ذلك أن الإنسان هو الذي يسكت وليس الغضب لذا نقول : زال غضب فلان، ولا يصح أن نقول : سكت غضب فلان قد تجري الاستعارة التصريحية مجرى المكنية لكن لا يجوز أن نجمع بينهما . في الشاهد القرآني الثالث أيضا وردت الاستعارة في الفعل : نسلخ، الليل لا ينسلخ من النهار لذا نقول أنه قصد بالفعل نسلخ أي نخرج منه النهار وهنا حصل انزياح وعدول من الفعل نخرج إلى الفعل نسلخ .يقول عبد القادر عبد الجليل : عول لأنه أبلغ على حقيقة إخراج الشيء مما لابسه، وعسر إخراجه بجامع الظهور من الخفاء[6]... وفي الشاهد القرآني الرابع الاستعارة في الفعل اشتروا الذي ورد كبديل عن الفعل الحقيقي المقصود وهو استبدلوا.

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 469.
2- التكوير : آية (18/17).
3- الأعراف : آية (154).
4- يس : آية (37).
5- البقرة : آية (16).
6- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص :471.

تحدث الاستعارة أيضا في المشتقات المذكورة سالفا من بين الشواهد الدالة على ذلك :

قال منزل التنزيل :﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا...**﴾ [1]، والمرقد يقصد به القبر أي : من بعثنا من قبرنا .

والاستعارة تجري هنا على أن النوم أظهر من الموت، وإن الواحد تتكرر عليه النوم، واليقظة وليس كذالك الموت، والحياة[2]، والاستعارة هنا وردت اسم مكان .

ونقول : أكرموا عزيز القوم [3]، في هذه الاستعارة اللفظ المجازي المستعمل في غير مكانه الأصلي هو : لفظ عزيز بحيث شبه الذل بالعز الذي استعير للدلالة على الذل والاستعارة هنا وردت صفة مشبهة .

وغيرها من المشتقات الأخرى، قد ترد الاستعارة التصريحية التبعية أيضا في الحروف كيف ذلك ؟

تجري الاستعارة في الحرف بإفادته ما يتعلق به من الدلالة داخل منظور النص [4]، من بين ما ورد من الاستعارة القرآنية الدالة على هذا النوع : قال الله تعالى : ﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾ [5]، يقال أنه شبه جذع النخل أو جذوع النخل لتمكنها من المصلوبين بالظروف الحقيقية، ثم استعير لها الحرف (في) تجوزا[6] .

يقول محمد لطفي عبد التواب معلقا على هذا النوع من الاستعارة بالشرح والتفصيل مما ورد عند السابق : (فلفظ (في) موضوع لتلبس الظرف بالمظروف، وهؤلاء لم يكونوا في الجذوع، لأنها لا تصلح أن تكون ظرفا يشتمل عليهم، لكن لما كانت الجذوع متمكنة من المصلوبين تمكن الظرف من المظروف ساغ استعمالها فيها على سبيل الاستعارة، حيث شبه الجذوع المستعلى عليها بالظروف الحقيقية، بجامع التمكن من كل، وتبعا لهذا التشبيه استعيرت (في) من معناها الحقيقي لتلبس الجذوع المستعلى عليها بالمستعلى) [7]، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

1- يس : آية (52).
2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 474.
3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 473.
4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 475.
5- طه : آية (71).
6- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 475.
7- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 131.

ونزيد هذه النقطة وضوحا (الاستعارة التصريحية التبعية) من خلال مجموعة من الشواهد القرآنية في مواضع أخرى من النص القرآني من باب تجنب تكرار الآيات .

قال تعالى : ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ** ﴾[1] .

وردت الاستعارة في لفظ النداء (فعل) حيث شبه النداء في المستقبل بالنداء في زمن الماضي بجامع وقوع هذا الأمر فعلا وتحققه ، يقول صاحب علوم البلاغة : ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل واشتق منه الفعل ينادي وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية[2] .

وقال عز سلطانه : ﴿ ... **يُقِيمُونَ الصَّلاةَ** ﴾[3]، نقول فلان أقام الصلاة بمعنى عدل أركانها، وحافظ على آدائها وعلى أركانها، يقول صاحب الكشاف : إقامة الصلاة بمعنى تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها، من أقام العود : إذ قومه أو الدوام عليها[4] .

الاستعارة في لفظ يقيمون وإقامة الصلاة كما ذكر صاحب الكشاف من التسوية أي تعديل كل أركان الصلاة كما أمر الله تعالى بها عباده على ما هو حقها وأدعى أن المشبه من أفراد المشبه به، واستعير المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، علما أن الإقامة هي إتمام الركوع والوضوء والسجود.

قال تعالى : ﴿ **يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم** ﴾[5]، ذكر صاحب صفوة التفاسير أن المقصود بلفظ الخداع : المكر والاحتيال[6]، نقول : فلان خادع بمعنى ماكر محتال . والخداع من الأفعال المذمومة، وفي الآية الكريمة شبه حالهم مع ربهم في إظهار الإيمان وتبيانه بشكل واضح، ومن جانب آخر إخفاء الكفر، وادعى أن المشبه من أفراد المشبه به، ثم استعير المشبه به للمشبه وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

1- الأعراف : آية (44).
2- ينظر : مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص : 254.
3- البقرة : آية (3).
4- ينظر : أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقوق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص : 129.
5- البقرة : آية (9).
6- ينظر : محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981م، ج3، ص : 34.

نوع آخر من أنواع الاستعارة التصريحية غير التبعية وهي :

الاستعارة التصريحية الأصلية : من بين الأمثلة القرآنية الدالة على هذا النوع من الاستعارة التصريحية مايلي : قال الله تعالى : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾[1] .

و قال في موضع آخر : ﴿ **اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ** ﴾[2] .

في الآية الكريمة الأولى : شبه الدين بالطريق السوي المستقيم وذلك من باب الهدي والإرشاد والتوجيه، يقول محمد لطفي عبد التواب : (... بجامع الهدايا في كل، ثم تنوسى التشبيه، وأدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه، ثم استعير المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية [3] .

في هذه الآية الكريمة وردت استعارتان الأولى تكمن في لفظ : النور، والثانية تكمن في لفظ : الظلمات ففي الآية الأولى شبه الكفر أو الطريق الغير مستقيم (طريق النار) بالظلمات وذلك بجامع التخبط وعدم الإهتداء والإرشاد والتوجيه فلفظ الظلمات استعير للدلالة على الضلال يقول محمد لطفي عبد التواب : (بعد ادعاء أن المشبه قد صار فردا من أفراد المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، وسميت تصريحية، لأن المشبه به مصرح به، وسميت أصلية لأنها في اسم جامد) [4]، وفي الاستعارة الثانية : شبه الهدى، أو طريق جنة الفردوس – أعلى طبقة في الجنة تحت عرش الرحمن مباشرة – بالنور وهذا اللفظ (النور) اسم مصرح به في الآية الكريمة .

يقول محمد لطفي عبد التواب : (... شبه الهدى بالنور بجامع الاهتداء في كل ثم استعير لفظ النور للدلالة على الهدى، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية أيضا)[5]، إن النور الذي ذكره الله تعالى ليس نورا حقيقيا، كذلك الظلمات ليست حقيقية وفيه يقول صاحب علم البيان : إنما المراد إخراجهم من الضلال إلى الإيمان [6] .

1- الفاتحة : آية(7/6).
2- البقرة : آية (257).
3- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 123.
4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 122.
5- ينظر : المرجع نفسه، ص : 122.
6- ينظر : المرجع نفسه، ص : 122.

ثالثا : الاستعارة باعتبار الملائم مطلقة / مجردة / مرشحة

يكمن هذا النوع في النوعين الرئيسيين أي أن هناك : الاستعارة ة التصريحية المطلقة، والتصريحية المجردة، والتصريحية المرشحة، والاستعارة المكنية المطلقة، والمكنية المجردة والمكنية المرشحة .

الاستعارة التصريحية المطلقة / المجردة / المرشحة :

أ / الاستعارة المطلقة :

يقصد بها كل استعارة لم تقترن بشيء يلائم أحد الطرفين (المستعار منه، أو المستعار له) كأن نقول مثلا : عطشي إلى لقائك شديد[1]، الجانب المجازي في هذا الكلام يكمن في لفظ العطش والذي قصد به الشوق والحنين، وبالتالي استعرنا العطش للشوق بجامع اللهفة، أما عن القرينة فهي اللقاء .

ونقول : غرست الجميل فلم يثمر[2]، في هذا المثال استعرنا الغرس لفعل الجميل الطيب يقول محمد لطفي عبد التواب : استعير الغرس لفعل الجميل بجامع ما يترتب على كل من الفائدة، ثم اشتق منه غرس والتي تكون بمعنى، فعل الجميل[3]، وذلك على سبيل الاستعارة التبعية المطلقة في المثال الأول والثاني ومن روائع هذا النوع بيت جميل ورد للمتنبي يقول فيه :

يَا بَدْرُ يَا بَدْرُ يَا عَمَامَةٌ يَاَ لَيْتَ الثَّرَى يَلِ حَمَامَ يَلِ رَجُلَ[4] .

في هذا الشاهد الشعري المشبه هو الممدوح، بينما المشبه به متعدد هو : البدر، والبحر، والعمامة ... والمتأمل في الشاهد يجد أن هذه الاستعارة خالية مما يلائم كلا من المشبه ومن جاء إطلاقها وأبين من ذلك كله الشواهد القرآنية الأكثر وضوحا والأكثر دقة كون النص القرآني يمتاز ببنية خاصة إذا ما قورن ببنيات النصوص الشعرية، ومن بين الشواهد القرآنية الدالة على الاستعارة التصريحية المطلقة :

1- ينظر :المرجع السابق، : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 135.
2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 135.
3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 135.
4- ينظر : ديوان المتنبي، ص : 92.

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ** ﴾[1]، في هذه الآية زوال العهد بفك طاقات الحبل وذلك بجامع عدم النفع في أي شيء كان لا على التعيين وبذلك استعير نقض العهد وهو المشبه به للمشبه وهو البطلان والزوال واشتق منه الفعل ينقضون الوارد في الآية الكريمة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة، بحيث تحتوي هذه الآية على وصف للفاسقين المقصود بهم اليهود .

ويقول تعالى في موضع آخر : ﴿ **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ** ﴾[2]، تكمن الاستعارة في لفظ يموج الدال على الاضطراب الذي ينتج من الحيرة لتوضيح هذه الاستعارة التصريحية المطلقة يقول محمد لطفي عبد التواب :

فكلمة يموج استعارة للاضطراب الناشئ عن الحيرة بجامع ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب في كل منهما، والقرينة إسناد الفعل إلى الضمير العائد على : بعضهم، ولم تقترن بما يلائم المستعار منه أو المستعار له . وسميت مطلقة، لأنها أطلقت عما يقويها وعما يضعفها من ملائمات أحد الطرفين[3] .

ب/ : الاستعارة المجردة :

عرفها العلماء بأنها تقترن بمعنى من المعاني الذي يلائم المشبه، وليس لها شواهد من مأثور العرب ولذا اخترع لها البيانيون أمثلة منها : لسان الحال الراهنة دل على هذا، وأظفار المنية العامة أمت نحو فلان فلفظ الراهنة هنا ملائم للمشبه وهو الحال، وكذلك العامة ملائم للمشبه وهو المنية، لعل السبب في عدم وجود شواهد لها في مأثور العرب أن أسلوب الاستعارة المكنية أقوى في اقتضاء البلاغة من التصريحية [4]

1- البقرة : آية (27).
2- الكهف : آية (99).
3- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 135
4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 140 بتصرف .

ذكر الدكتور محمد لطفي عبد التواب أيضا أن السبب في ذلك أن المحاسن والصور التي تحدث للمعاني بسببها آفق وأبهى وأعجب وأروع، والتجريد يوهن هذه الأبلغية ويضعف من قوتها يقول هذا ويجب أن تعلم أن كل استعارة تبعية ترد إلى استعارة مكنية، عن طريق نقل الاستعارة من موطنها إلى قرينتها مع مراعاة أن التبعية الآن لا موضع لها لأنها ستصير قرينة للمكنية، لتصبح بعدها مستعملة في حقيقتها [1]...

من بين روائعها قول منزل التنزيل :

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾[2].

في هذا الشاهد القرآني – ورد في صفحات سالفة من البحث – شبه الماء بالإنسان ثم حذف المشبه به وكنى عنه بلازم من لوازمه والفعل طغى لأن الماء في الحقيقة لا يطغى إنما هذه الصفة خاصة بالإنسان فقط، ما نلاحظه في الآية الكريمة أنه تم إثبات الطغيان للماء فهذا تخييل وهو في الوقت نفسه قرينة الاستعارة المكنية .

من بين الأمثلة أيضا نقول : لا تتفكهوا بأعراض الناس فشر الخلق الغيبة، هذه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه التكلم في أعراض الناس بالتفكه وذلك بجامع بعض النفوس التي قد تميل إلى كل، ثم اشتق من التفكه الفعل تفكه أي التكلم، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية، وهي أعراض الناس [3].

1- ينظر : المرجع السابق، محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 140

2- الحاقة : آية (11)

3- ينظر : عبد العزيز عبد العتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص : 187و ما بعدها .

إن المتأمل في هذه الاستعارة يرى أن سبب تسميتها بالاستعارة المجردة هو ذكر ما يلائم المشبه الذي هو: أعراض الناس ألا وهو : فشر الخلق الغيبة .

ج/ الاستعارة المرشحة :

وهي التي تقترن بما يلائم المستعار منه، يقول عبد العزيز عتيق في تعريفه لهذا النوع من الاستعارة : هي ما ذكر معها ملائم المشبه به، أي المستعار منه [1]، ويقول مصطفى لطفي عبد التواب : هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه [2].

من ورائع هذا النوع من الاستعارة : قال تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ** ﴾[3]، تكمن الاستعارة كما ورد سالفا في لفظ : اشتروا بحيث استعير هذا اللفظ للاختيار أي اختاروا الضلالة على الهدى وذلك بجامع الفائدة أما القرينة التي منعت من إرادة المعنى الأصلي هي : الضلالة .

يقول محمد لطفي عبد التواب في التعليق على هذا النوع من الاستعارة : (... شبه إيثار الباطل على الحق، واختياره دونه بالاشتراء بجامع استبدال شيء مرغوب عنه بشيء مرغوب فيه ثم استعير الاشتراء للاختيار، والقرينة هي استحالة تعلق الاشتراء الحقيقي بالضلال والهدى)[4]، ثم يواصل كلامه فيقول: (... وبذلك تكون الاستعارة قد تمت إلا أنها قد قرنت بعد ذلك بشيء يلائم المستعار منه (الاشتراء) وذلك في قوله : " فما ربحت تجارتهم " ...) [5]، لأنه في الحقيقة الربح والتجارة يعتبران من ملائمات الاشتراء الحقيقي وبالتالي هذا ترشيحا للاستعارة وفيه يقول صاحب علم البيان : فكان ذلك ترشيحا للاستعارة لأنه تقوية لها وتأكيد للغرض الذي من أجله كانت [6]...

1- ينظر : المرجع السابق، عبد العزيز عبد العتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص : 186.
2- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 136.
3- البقرة : آية (16).
4- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 137/136.
5- ينظر : المرجع نفسه، ص : 137.
6- ينظر : المرجع نفسه، ص : 137.

رابعا الاستعارة التمثيلية :

ذكرنا في بداية هذا الفصل أن هناك نوعين رئيسيين من الاستعارة هما : الاستعارة التصريحية، والاستعارة المكنية كما أننا لاحظنا أن هذين النوعين (التصريحية / المكنية) وردا في المفرد.

أي كلها وقعت في لفظ مفرد سواء كان اسما، أو فعلا، أو حرفا ...لكن الاستعارة لا تتوقف عند هذا الأمر أو تنحصر في لفظ مفرد فقط بل قد تكون في التركيب .

وذلك بأن تكون هيئة منتزعة من عدة أمور في كلا الطرفين وفي الجامع بينهما، وتسمى حينئذ استعارة تمثيلية[1] .

يقول علماء البلاغة العربية في تعريفهم للاستعارة التمثيلية : اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[2] .

من روائعه :

قال تعالى : ﴿ **وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ** ﴾[3].

﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا** ﴾[4].

﴿ **وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾[5].

1- ينظر : المرجع السابق، محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص141.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص141.

3- آل عمران : آية (187)..

4- الحج : آية (2).

5- الزمر : آية (67).

الشاهد في قوله : أن الذين أوتوا الكتاب تخلوا عن هذا الميثاق وأهملوه وبالتالي شبهت هيئة الذي أخذ عليهم الميثاق أهملوه هو الآخر ولم يهتموا به بهيئة الذي كان بحوزته شيء ليس له قيمة وذلك كله بجامع إهمال من ليس له قيمة .

يقول صاحب علم البيان في تحليل الشاهد الأول :

وحقيقة الكلام : فتركوا الميثاق، ولم يعتدوا به إهمالا لأمره وتهوينا من شأنه، وإجراؤها هكذا : شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق فأهملوه، ولم يراعوه بهيئة من كان معه شيء لا يهمه ولا قيمة له عنده فطرحه وراء ظهره، والجامع بينهما : الهيئة الحاصلة من شيء يهمل احتقارا لشأنه، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد تناسي التشبيه وادعاء الاتحاد على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئا وراء الظهور حقيقة [1] ...

في الشاهد القرآني الثاني :

تم تشبيه الأحوال في يوم الآخرة بما فيها من تهويل وخوف ورعب فالمرء في ذاك اليوم من شدة الهول ينسى كل شيء عزيز عليه من مال وولد ...الخ نقول شبه هذه الأحوال بحال المرأة المرضعة التي بدورها تذهل عن رضيعها، وبالمرأة الحامل التي هي الأخرى تنسى حملها .

لتوضيح هذه الاستعارة يقول الدكتور محمد لطفي عبد التواب :

شبهت أحوال الآخرة وما فيها من أحوال، وشدة تنسى المرء أعز ما لديه بهيئة المرضعة التي تذهل عن رضيعها، وذات الحمل التي تنسى حملها، ثم استعير الموضوع المركب للمشبه به للمشبه، استعارة تمثيلية [2] .

1- ينظر :المرجع السابق، محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 141.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 141.

في الشاهد القرآني الثالث أيضا استعارتين تمثيليتين رائعتين :

الأولى :

تكمن في تشبيه الأرض التي لا يتصرف فيها ولا يحكمها إلا الله تعالى بحال الشيء إذا كان في يد صاحبه الذي يحق له أن يتحكم كيف يشاء واستعير الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

والثانية :

شبه السموات التي تطيع الله تعالى في كل شيء وتأتمر بأوامره بالشيء المطوى في يد إنسان قادر عليه في أي وقت شاء طواه ... وبالتالي استعير المشبه به للمشبه وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية .

من بين الاستعارات التمثيلية الشائعة عند العرب قديما قولهم :

إنك تبتغي الصيد في عريسة الأسد .

مالي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى .

و تقول أيضا : أحشفا وسوء كيلة [1].

في المثال الأول :

يقال هذا المثال عادة للإنسان الذي يحاول أن يحقق شيئا ولا يستطيع فعل ذلك بحيث شبهت حاله بحال الإنسان الذي يريد أن يصطاد صيده وهو في بيت الأسد .

1- ينظر :المرجع السابق، محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 141 وما بعدها .

يقول صاحب علم البيان :

(ومن الاستعارات التمثيلية ما يشيع بين الناس ويدور على ألسنتهم ، من ذلك : أن تقول لإنسان يحاول أمرا لا قيل له به ولا يستطيع تحقيقه هذا المثال ... شبهت هيئته بهيئة من يريد الصيد في بيت الأسد ثم استعرت الهيئة الموضوعة للمشبه به للمشبه بعد التناسي والاتحاد على سبيل الاستعارة التمثيلية [1]) .

في المثال الثاني :

تم فيه تشبيه حالة الإنسان المتردد في فعل شيء ما أراد أن يحققه بحال من أراد الذهاب إلى مكان ماء فتردد هو الآخر في الذهاب لذلك نراه مرة يقدم رجلا ومرة يؤخر رجلا .

قال صاحب علم البيان في شرح هذا المثال :

(في هذا المثال شبهت هيئة المتردد في أمره بين الإقدام والإحجام، بهيئة رجل قام ليتوجه إلى جهة فتردد في الذهاب فتارة يقدم رجلا وتارة يعدل عن الذهاب فيؤخرها، والجامع بينهم الهيئة الحاصلة من إقدام تارة، وإحجام أخرى ثم استعرت المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد التناسي والادعاء على سبيل الاستعارة التمثيلية [2]).

في المثال الثالث :

في هذا المثال استعارة تمثيلية ، يضرب عادة عند العرب : للرجل الذي يظلم من وجهين دون تعيين نوع الظلم، والأصل فيه أن رجلا باع لرجل تمرا وكان هذا التمر من الجهة الأولى حشفا ومن الجهة الثانية ناقصا في الميزان هذا هو أصل المثل .

1- ينظر : السابق، محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 141 وما بعدها

2- ينظر : المصدر نفسه، ص : 141 وما بعدها.

يقول الدكتور محمد لطفي عبد التواب معلقا على هذا المثال :

(فهذا يضرب لمن يظلم من وجهين أيا كان هذا الظلم، وأصله أن رجلا اشترى تمرا من آخر فإذا هو حشف وناقص الكيل فقال المشتري ذلك – المثال –، شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل باع آخر تمرا حشفا، وكان مع ذلك يطاف المكيال، والجامع الهيئة الحاصلة من ظلم مزدوج، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه، استعارة تمثيلية والقرينة حالية، لأن حالة المقول فيه المثل تغاير ما يدل عليه اللفظ وضعا [1]).

هذا من جهة، وقبل أن نتطرق للاستعارة التمثيلية في الجزأين الأخيرين من النص القرآني لا بد من توضيح نقطة كنا قد اشرنا إليها سابقا وهي أن الاستعارة التصريحية والمكنية تأتي في اللفظ المفرد وهو النوع الرئيسي للاستعارة أي (تصريحية / مكنية)، وهذه النقطة لا تهمنا في هذا الموضع لأنها أخذت حظها من الشرح سالفا بقدر ما يهمنا الاستعارة التمثيلية التي تكون في المركب لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا سمي هذا النوع من الاستعارة بالتمثيلية ؟

للإجابة على هذا السؤال يقول الدكتور محمد لطفي عبد التواب :

(وقد سميت الاستعارة في المركب تمثيلية لجريان التشبيه فيه بين الهيئات المركبة من متعدد، أو تنويها بعظم شأنها، كأن غيرها لا تمثيل فيه، ولذا كانت محط أنظار البلغاء وموضع عنايتها وتقديرهم، والقرآن الكريم وهو أعلا طبقات البلاغة قد أكثر منها ... وغير ذلك كثير[2]) .

1- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق ، ص : 143 .

2- ينظر :المرجع نفسه، ص : 142و ما بعدها .

ثم يفصل أكثر فيقول : (وإ ذا شاعت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها سميت مثلا فالأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية، والمثل يراعى فيه المعنى الذي ورد فيه أولا، فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع مذكرا أو مؤنثا، من غير تغيير في أصل العبارة لأنه استعارة تمثيلية، والاستعارة يجب أن يكون لفظ المشبه به المستعمل في المشبه كما رأيت في مثال المتردد السابق فقد ورد في شخص معين ثم فشا استعماله حتى صار مثلا يضرب في كل متحير في أمره، مفردا كان أو غيره مذكرا أو مؤنثا فينطق به كما ورد، ولذلك يقال لمن فرط في تحصيل شيء زمن إمكان تحصيله، ثم طلبه في زمن يتعذر فيه تحصيله – يقال له : " الصيف ضيعت اللبن " وذلك بكسر تاء الفاعل، كما ورد في أصل استعماله، فقد روي أن امرأة شابة كانت تحت شيخ طاعن ذي ثروة، فطلبت إليه الطلاق لضعفه وكبره، وكان ذلك صيفا فأجابها إلى ما طلبت وتزوجت بعده بشاب فقير وقد احتاجت للبن فذهبت [1]) .

في فصل الشتاء إلى زوجها الأول ذاك الشيخ الكبير الذي طلبت الطلاق منه، ولكنه لم يجب عليها وقال لها هذا القول المأثور : الصيف ضيعت اللبن [2] .

و من روائع الاستعارة التمثيلية قول منزل التنزيل :

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

في هذا الشاهد القرآني استعارة تمثيلية تكمن في المؤمن والكافر كون المؤمن هو الذي يسير في طريق مستقيم وسوي بينما الإنسان الكافر هو الذي لا يهتدي إلى طريق المؤمن .

1- ينظر : المرجع السابق، محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق ، ص : 143 .

2- ينظر :المرجع نفسه، ص : 143.

3- الملك : آية (22).

يقول محي الدين الدرويش :

(... وفي قوله تعالى : ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** [1] ﴾ استعارة تمثيلية، ومثل للمؤمن والكافر، فالكافر أعمى لا يهتدي إلى الطريق، بل يمشي متعسفا، فلا يزال يتعثر، وينكب على وجهه، والمؤمن صحيح البصر، يمشي في طريق واضحة مستقيمة، سالما من العثور والخرور على وجهه . وهكذا تتجلى طريقة القرآن في التجسيد)[2].

يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة وبيان صفة كل من المؤمن والكافر :

(أي : أي الرجلين أهدى ؟

من كان تائها في الضلال غارقا في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلا، والباطل حقا ؟ ومن كان عالما بالحق، مؤثرا له، عاملا به يمشي على الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله ؟ فبجرد النظر إلى حال هذين الرجلين، يعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال [3]، وردت الاستعارة التمثيلية أيضا في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ...** ﴾[4].

في هذا الشاهد القرآني أيضا استعارة تمثيلية تكمن في : أن الأصل في الكلام يقال للإنسان الذي إذا أراد فعل أي عمل أو أي شيء لا بد له من أن يشمر على ساقيه خاصة إذا كان هذا العمل صعب جدا وفيه نوع من المشقة .

1- الملك : آية (22).

2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج 29، ص : 18 .

3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 839.

4- القلم : آية (42).

لتوضيح ذلك يقول صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه :

(في قوله : " يوم يكشف عن ساق " استعارة تمثيلية، وأصل الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق ؛ لأن من وقع في شيء يحتاج إلى الجد يشمر عن ساقه، فاستعير الساق، والكشف عنها لشدة الأمر ...)[1] .

وجاء في تفسير السعدي :

(أي إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل و[والزلازل] والأهوال، ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده، ومجازاتهم، فكشف عن ساقه الكريمة، التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله[2] ...) الخ .

وجاء في البحر المحيط :

(... " يوم يكشف عن ساق " وعلى هذا القول الناصب ليوم فليأتوا، وقيل اذكر، وقيل التقدير : يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت، وحذف للتهويل العظيم بما يكون فيه من الحوادث ...جاء في الحديث من قوله : " فيكشف لهم عن ساق " محمول أيضا على الشدة في ذلك اليوم، وهو مجاز شائع في لسان العرب ...)[3].

و قال تعالى في موضع آخر : ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾[4].

في هذا الشاهد القرآني أيضا استعارة تمثيلية يقول السعدي في تفسيره : (... أن الله حملهم " في الجارية "، وهي السفينة في أصلاب آبائهم وأمهاتهم، الذين نجاهم الله فاحمدوا [5].

1- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج 29، ص : 39.
2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص :842 وما بعدها .
3- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص : 246و ما بعدها .
4- الحاقة : آية (11).
5- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص :844 .

الله واشكروا الذي نجاكم حين أهلك الطاعنين، واعتبروا بآياته الدالة على توحيده ولهذا [1]...)

الآية الكريمة وردت فيها استعارة مكنية كنا قد شرحناها من قبل لكن هناك من عدها استعارة تمثيلية من باب استعارة المعقول للمحسوس كمحي الدين الدرويش في كتابه إعراب القرآن الكريم وبيانه وفيه يقول :

(وفي قوله " إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية " استعارة تمثيلية، وهي من باب : استعارة المعقول للمحسوس للاشتراك في أمر معقول، وهي الاستعارة المركبة من الكثيف واللطيف، فالمستعار الطغي، وهو الاستعلاء المنكر، والمستعار منه كل مستعمل، متكبر، متجبر، مضمر والمستعار له : الماء، والطغي معقول، والماء محسوس، والمستعار منه محسوس)[2] .

وقال في سورة أخرى :

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾[3] .

في هذه الآية الكريمة استعارة تمثيلية تكمن في شدة الكرب في الدنيا والآخرة، الدنيا اعتبار آخر يوم منها والآخرة باعتبار أول يوم منه ونتيجة لالتقاء هذا بذاك قال تعالى " والتفت الساق بالساق " .

يقول صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه :

(وفي قوله " والتفت الساق بالساق " استعارة تمثيلية لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها، وشدة كرب الآخرة في أول يوم منها ؛ لأنهما يومان قد التفا ببعضهما، واختلطا بالكرب، كما تلتف الساق على الساق، كما يقال : شمرت الحرب عن ساق، استعارة لشدتها، وقيل : التفافهما لشدة المرض ؛ لأنه يقبض، ويبسط، ويكرب هذه على هذه ...)[4]، وفي هذه الآية الكريمة أيضا التجنيس الناقص كما يسميه علماء البلاغة العربية بجناس التبديل وهذا يعد من قبيل روائع القرآن الكريم ؛ أي اجتماع الصورة البيانية مع محسن بديعي في موضع واحد .

1- ينظر :المصدر السابق، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص : 844.
2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج 29، ص : 50 .
3- القيامة : آية (29).
4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج 29، ص : 155.

من روائع الاستعارة التمثيلية أيضا قول الله تبارك اسمه وتعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[1].

بمعنى أن الله يمهل الإنسان الذي عصاه ويعطيه فرصة للتوبة لكنه إذا لم يتب ويرجع إلى الطريق السوي المستقيم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

يقول السعدي في تفسير :

(... " إن ربك لبالمرصاد " لمن عصاه، يمهله الله قليلا ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر ...)[2] .

وبالتالي الله تعالى يريد من الإنسان الطاعة والامتثال لأوامره جاء في البحر المحيط :

(... كأنه قال : إن الله تعالى لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة، وهو مرصد للعاصي ؛ فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها[3]).

ويقول محي الدين الدرويش في توضيح هذه الاستعارة :

(وفي قوله : "إن ربك لبالمرصاد" استعارة تمثيلية، شبه كونه تعالى حافظا لأعمال العباد مراقبا عليها، ومجازيا على ما دق، وجل منها، بحيث لا ينجو منه بحال من قعد على الطريق مترصدا لمن يسلكها ؛ ليأخذه، فيوقع به ما يريد، ثم أطلق لفظ أحدهما على الآخر)[4]، يتحكم الله في عباده وأعمالهم فهو الذي يمهل لعل الناس يهتدوا بأوامره، وهو وحده القادر على كل شيء، يحفظ أعمال عباده ويراقبها لكنه تعالى يكون مترصدا لكل عبد خرج عن طاعته.

1- الفجر : آية (14)..

2- ينظر :عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 883.

3- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير ج10، ص : 473.

4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج30، ص : 307.

وفي موضع آخر يقول منزل التنزيل :

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾[1] .

جاء في تفسير السعدي :

(... " ولا يخاف عقباها " أي : تبعتها . وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه ؟)[2] .

جاء في البحر المحيط :

(... وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه، والعقبى : خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه، وهذا فيه بعد لطول الفصل بين الحال وصاحبها)[3]، الضمير في الفعل (يخاف) يعود على الكافر الطاغي .

يقول محي الدين الدرويش :

(وفي قوله " ولا يخاف عقباها " استعارة تمثيلية، على اعتبار أن الضمير في يخاف غز وجل، وهو الظاهر، أي : أنه سبحانه لا يخاف عاقبتها، كما تخاف الملوك عاقبة أفعالها، والمقصود من الاستعارة : إهانتهم، وإذلالهم ...)[4] .

الضمير المستتر في الفعل يخاف من جهة أخرى قيل أنه ربما يكون عائدا على الرسول صلى الله عليه وسلم، جاء في إعراب القرآن الكريم وبيانه لتوضيح ذلك : (... ويجوز أن يعود الضمير على الرسول، أي : أنه لا يخاف عاقبة إنذارهم لهم، وتبقى الاستعارة، وقال السدي، ومقاتل، والزجاج، وأبو علي : الواو واو الحال، والضمير في يخاف عائد على أشقاها، أي : انبعث لعقرها، وهو يخاف عقبى فعله ؛ لكفره وطغيانه، والعقبى خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه ...)[5] .

1- الشمس : آية (15).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 885.

3- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير ج10، ص : 490.

4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج30، ص : 332.

5- ينظر : المصدر نفسه، م 8، ج30، ص : 332.

ومن روائعها أيضا قول الله تعالى :

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ، الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾[1] .

ما يفهم من الآيتين الكريمتين أي : الذنب الذي أثقل يقول السعدي في تفسير :

(... " ووضعنا عنك وزرك " أي : ذنبك " الذي أنقض " أي : أثقل " ظهرك " ...)[2] .

من الجانب البلاغي ذكر علماء التفسير- في توجيه هاتين الآيتين – أبو حيان الأندلسي الغرناطي في البحر المحيط، ومحي الدين الدرويش في إعراب القرآن الكريم وبيانه، أنها كناية وهناك من قال أنها استعارة تمثيلية وكناية في نفس الوقت، أما الأول ذكر : أن الآية كناية بينما ذكر صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه أنها استعارة تمثيلية، وكناية في الوقت نفسه .

و جاء في البحر المحيط :

(... " ووضعنا عنك وزرك " : كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس، عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتقاء ذلك، كما يقول القائل : رفعت عنك مشقة الزيارة، لمن لم يصدر منه زيارة، على طريق المبالغة في انتقاء الزيارة منه . وقال أهل اللغة : أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريرا من شدة الحمل ...)[3] .

و جاء في إعراب القرآن الكريم وبيانه :

(و قوله " ووضعنا عنك وزرك، الذي انقض ظهرك" استعارة تمثيلية، والمراد منها: عصمته صلى الله عليه وسلم من الوزر حيث لا وزر، فشبه حاله، وهو ينوء تحت ما يتخيله وزرا وليس بوزر بحال من[4])

1- الشرح : آية (3/2).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 885.

3- ينظر : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص :500.

4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج30، ص : 355.

آداه الحمل الثقيل، وبرج به الجهد، والحر اللافح، فهو يمشي مجهودا مكدودا، يكاد يسقط من ثقل ما ينوء بحمله [1]).

و يقول في تفسيره عن الكناية : (... وضع الوزر كناية عن عصمته، وتطهيره صلى الله عليه وسلم من دنس الأوزار ونقول في إجراء هذه الاستعارة : شبه حاله بحال من آده الحمل، وكلله العرق، وبرح به الجهد، حتى إذا انحط عنه الحمل تنفس الصعداء، وانزاحت عنه الكروب والأهوال، بجامع أن كلا منهما مجهود مكروب ...)[2] .

1- ينظر : المصدر السابق، محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 8، ج30، ص : 355.

2- ينظر : المصدر نفسه، م 8، ج30، ص : 355.

الفرق بين التشبيه والاستعارة :

من خلال دراستنا لصورتي الاستعارة والتشبيه وجدنا أنهما يختلفان عن بعضهما في نقاط نوجزها في مايلي[1] :

1/ يقوم التشبيه على ركنين أساسين هما : المشبه والمشبه به نحو قولنا : زيد أسد فالركن الأول هو زيد والثاني هو الأسد .

الاستعارة تقوم بالأساس على المشبه به فقط، أما المشبه فتنوسي وأهمل، بدليل أننا نتحدث عنه بلفظ المشبه به في الاستعارة التصريحية، أو بصفات المشبه به ولوازمه – المحذوف – في الاستعارة المكنية، فالفواصل أزيلت بين الطرفين، والحواجز قد كسرت بينهما .

2/ يكون الغرض من التشبيه إلحاق ناقص بكامل، في حين أن الاستعارة دعوى الاتحاد بينهما، والمشبه عين المشبه به بل فرد من أفراده ...

3/ يعد التشبيه أساس الاستعارة وهي مبنية عليه، فهي أخص منه فكل استعارة تصلح أن تكون تشبيها وليس كل تشبيه يصلح أن يكون استعارة .

3/ في التشبيه يحسن أن يكون ظاهرا بينما في الاستعارة التصريحية فيحسن أن يكون غير ظاهر ولهذا قال البلاغيون فيه لو كان في الكلام ما يدل على المشبه كان تشبيها لا استعارة .

ذكر علماء البلاغة العربية أن هناك صورة من صور التشبيه التبست بالاستعارة في أذهان بعضهم وهي صورة التشبيه البليغ فكل تشبيه حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه يعد استعارة قال ذلك أبو هلال العسكري، والغانمي، والآمدي وغيرهم ...

1- ينظر : محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 144و ما بعدها بتصرف.

عارضت مجموعة من علماء البلاغة العربية أمثال عبد القاهر الجرجاني والزمخشري، والسكاكي هذه الفكرة وعدوا هذا النوع من باب التشبيه المضمر وقد استدلوا على ذلك بمايلي :

1/ الأسماء في دلالتها على مدلولها منزلة، منزلة الهيئات في دلالتها على ما تدل عليه من الأحوال ...الخ، فلو قلت مثلا : محمد أسد نكون قد نفينا عنه ما يدل على أنه أسد لأن الذاتين، لا يكونان ذاتا واحدة ومنه لا تحصل المبالغة المقصودة من الاستعارة فلا تكون الإعارة متحققة [1].

2/ المعنى اللغوي من الاستعارة يقصد به : أن يحصل للمستعير من المنافع مثل ما كان حاصلا للمعير منها مثال : لو قلنا خالد أسد المقصود من هذا القول الإخبار عن خالد بكونه أسد لا غير لكن لو قلت : رأيت الأسد فإنك تقصد الحيوان في حد ذاته .

3/ لا يمكن تحقيق التشبيه إلا بوجود طرفين عكس الاستعارة التي تفهم مطلقا لو قلنا : زيد الأسد، وجاءني الأسد يدخل القول الأول ضمن التشبيه، والقول الثاني ضمن الاستعارة لأنه يفهم مطلقا .

4/ المشبه به إذا استعمل في معنى المشبه يكون استعارة أما إذا استعملناه في المعنى الحقيقي الأصلي فإن ذلك يعد تشبيها [2].

هناك أنواع أخرى من الاستعارة وهي : الاستعارة العامية والاستعارة الخاصية، والاستعارة الفاضلة، والاستعارة الهابطة والعنادية والوفاقية [3] .

من خلال الشواهد التي اعتمدناها في هذا الفصل، وفي فصل التشبيه اتضح أن بنية الاستعارة تعتمد على التشبيه إلى درجة أن علماء البلاغة العربية سموها كما أشرنا سالفا بالتشبيه البليغ .

1- ينظر : السابق، محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، ص : 144و ما بعدها بتصرف.

2- نظر :المرجع نفسه، ص : 145 وما بعدها .

3-ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 482. تطرق صاحب الكتاب إلى هذه الأنواع من الاستعارة بالشرح بطريقة المعادلات الرياضية .

البـــاب الثاني:

البنـــية التـــركيـــبية للـــنص القـــرآني

الفصـــــل الأول : ثنائيتا الخبر والإنشاء

الفصـــل الثاني : ثنائيتا المسند والمسند إليه

الفـصل الثـالث : ثنائيتا الفعل ومتعلقاته

الفـصل الرابـع : ثنائيتا الفصل والوصل

تمـــــــهيد : قديما كانت البلاغة العربية كتلة واحدة لا تفرق بيت علومها الثلاثة : المعاني، والبيان والبديع وهذا ما نراه مسطورا في كتب القدماء الذين كان لهم الفضل في دراستها ومع تطور الدراسات البلاغية ودفع عجلتها نحو الأمام أخذت البلاغة اتجاه التخصص واعتمدت مبدأ الاستقلالية بالنسبة لكل علم، وظل الأمر كذلك حتى القرن الخامس هجري مع ظهور شيخ البلاغة العلامة الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) الذي استطاع أن يؤصل نظرية علم المعاني في كتابه دلائل الإعجاز، ونظرية علم البيان في كتابه أسرار البلاغة أما علم البديع فيرجع الفضل فيه إلى ابن المعتز.

بعد هذا التقسيم أصبح للبلاغة ثلاثة علوم أولها علم المعاني الذي يعنى بالصياغة وأحوالها وموقع الكلمة المفردة، المنفردة وما يتعلق بها من تعريف وتنكير، وتقديم، وتأخير، وحذف وذكر، ثم ما يتعلق بالجمل من قصر وطول، وفصل، ووصل، وغير ذلك مما له صلة بأحوال التراكيب. وثانيها علم البيان الذي يعنى بدراسة الصور البيانية وثالثها علم البديع الذي يعنى بألوان التزيين والتجميل [1].

لقد استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يستفيد من ملاحظات ودراسات سابقيه فتسلم مسألة الإعجاز القرآني ونظمه، أطال الكلام فيها لينتهي في الأخير إلى أن النظم هو توخي معاني النحو وهذه تشتمل على الخبر وأركان الجملة (المسند والمسند إليه)[2]، والعجيب أنه لم يحدث بعد الجرجاني تغييرا في علمي المعاني والبيان ذلك أن جهود الباحثين البلاغيين بعده انحصرت في جمع قواعد علوم البلاغة التي وضعها، وفي ترتيب أبوابها، واختصارها [3]، وقد تحدث الزمخشري (538هـ) في كشافه عن علمي المعاني والبيان فقال : "و لا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد يلغ علمين مختصين بالقرآن ؛و هما : علم المعاني وعلم البيان [4] ".

1- ينظر : محمد حسين أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة تحليلية لعلم المعاني، منشورات جامعة قار يونس، ط، 1: 1399هـ /1979م، ص :43.

2- ينظر: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار العدل الجديد، القاهرة المنصورة، ط1 : 1427هـ/ 2006م، ج 2، ص : 82 .

3- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، د-ط، د-ت، ص :26 .

4- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د-ط، 1986م، ج2، ص: 250.

لم يتطرق الزمخشري في حديثه عن علمي المعاني والبيان إلى تحديد الهدف منهما بوضوح لكنه تحدث عن البلاغة القرآنية عموما من حيث تأثيرها على النفوس فنحى منحى الجرجاني في تفسير القرآن خاصة فيما يتعلق بموضوعات علم المعاني دون أن يجد القارئ نسقا واحدا يجمع بين رأييهما .

وكذلك بالنسبة لفخر الدين الرازي(606هـ) كونه استخدم هو الآخر هذين المصطلحين دون شرح دلالة كل منهما [1]، لأنه من الأوائل الذين اتجهوا إلى التلخيص ثم بدأ علم المعاني يتضح بجلاء عند سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (626هـ) في كتابه المفتاح الذي قسمه إلى أربعة أقسام : قسم لعلم الصرف، وآخر لعلم النحو وآخر خاصا بعلوم البلاغة (معاني، بيان، بديع) وقسما خصصه لعلم الشعر . واستخلص قوانين علم المعاني فقعد لها بطريقة صارمة .

يقول السكاكي في تعريف علم المعاني :" هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره [2] ...الخ، إن المقصود بتراكيب الكلام في قول السكاكي تراكيب البلغاء الذين يشهد لهم بالفصاحة والبلاغة المطلقة أما المقصود بالإفادة الفهم ممن يملكون فطرة سليمة ويتمتعون بحس أدبي نقاد، وذلاقة اللسان يبدو أن هذا التعريف لعلم المعاني يمتاز بنوع من الغموض والعسر لذلك كثرت شروح المفتاح حتى أصبح ذلك وكأنه أمرا ملزوما على الدارسين لبلاغة السكاكي الذين تبنوا فكرة شرح موضوعات المفتاح، حصر السكاكي موضوعات القسم الثالث من كتابه خاصة فيما يتعلق بعلم المعاني على النحو الآتي : قانون الخبر، وقانون الطلب ضمن هذا القانون (الطلب) تطرق السكاكي إلى بعض الأغراض البلاغية بالشرح والتحليل كالنفي، والإنكار، والتعجب ذلك أن قانون الطلب قد يخرج أحيانا عن الغرض الأصلي له ويتجاوزه إلى أغراض أخرى، وعلى هذا النحو يكون علم المعاني قد أخذ حقه ونال حظا وافرا من الدراسات البلاغية حتى أصبح أثره واضحا في بلاغة الكلام من خلال مخاطبة كل واحد على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللغة والأدب .

1- ينظر : حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، دراسة جمالية بلاغية نقدية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د-ط، 2005م ، ص :24.

2- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 121.

فلا يجوز أن يخاطب العامي بما ينبغي أن يخاطب به الأديب، فعكس الأمر هنا بلا داع فيه إخلال بما تتطلبه بلاغة المعنى، لانعدام الملاءمة بين الكلام ومقامه [1]، لتوضيح ذلك يقول صاحب الأغاني :(قال أحمد بن خلاد : حدثني أبي قال : قلت لبشار إنك لتجئ بالشيء الهجين المتفاوت[2]، قال : وما ذاك ؟ قال : قلت : بينما تقول شعرا يثير النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضْرِيَة هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوِ تُمْطِرُ الدِّمَـــا [3]

تقول : **رَبـــــَـــــابَةٌ رَبـــَـــةٌ البَيْتِ تـــَـــــصُبُّ الخـَــــلَّ فِي الزّيْـتِ**

لهَـا عَشـْــــــرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيـكٌ حَسـَـــــــنُ الـصَّوْتِ

فقال بشار : لكل وجه وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض، فهذا عندها من قولي أحسن من "قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل " عندك [4]... فالبلاغة العربية تعتمد على أسلوب الإيجاز الذي يقتضي ضرورة السرعة في الفهم وعلى مدى قدرتنا في استيعاب دلالة المعاني الكامنة وراء الألفاظ، إن التعامل مع البلاغة العربية يقود الدارس لها إلى الكشف عن المعنى المستتر ؛ أي الوصول إلى المعنى المجازي . وبهذا فهو ينتقل من بنية جمالية إلى بنية جمالية أخرى ...و لعل هذا كله يجعله ينأى بعيدا عن الرؤية النقدية القديمة، ومن ثم لا يقع في تبعة وتقليد كل ما يأتي من الغرب .

1- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص : 38.

2- ينظر : أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف : لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط6 : 1404هـ / 1983م، ج3، ص : 156.

3- ينظر : ديوان بشار بن برد، لناشره، ومقدمه، وشارحه، ومكمله، حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة : محمد الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس، علق عليه، ووقف على طبعه : محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف، والترجمة، والنشر : القاهرة، د- ط، 1373هـ / 1952م، ج4، ص : 163.

4- ينظر : أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج 3، ص : 156.

" فالتأمل النقدي الجمالي لأي أسلوب بلاغي في كلام العرب يتيح للناقد القوة على الغوص في جوهر الأسلوب اللغوي البلاغي ؛ ومن ثم إدراك الجوهر المشرق والمثير في النص الذي يعالجه ...أيا كانت طبيعته التركيبية [1]".

بناءا على ما سبق سنقدم دراسة تحليلية للكشف عن تقنية البنية التركيبية للنص القرآني في هذا الباب باعتبارها تستند على طرفي ثنائية اللغة والكلام، (لأن الكلام – قاعدة علم المعاني – يمثل اللغة في حركتها التنفيذية الرشيقة، وذلك لاحتوائه على خواص العناصر القادرة على التمدد الإجرائي للفن التعبيري، فالكلام هو منطقة عمل اللغة داخل المرسلة اللسانية والاجتماعية الكلام مادة محددة يمكن قياسها ومتابعة حركة جزئياتها، وكشف طوالع صفاتها، واستيعابها فهو – الكلام – يتميز بالكم المحسوب على أساس عوامل البناء والقدرة، والتنامي، والانحدار، والعادية، والمثالية، والجزئية، والكلية[2] ..) .الخ

وعلى العموم اتفق علماء البلاغة في تحديد الثنائيات التي يجب أن تندرج تحت علم المعاني ثمانية نذكرها على التوالي : ثنائيتي الأسلوب الخبري، والأسلوب الإنشائي، ثنائيتي المسند إليه، والمسند، ثنائيتي الفعل ومتعلقاته، ثنائيتي الفصل والوصل .

1- ينظر : حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة جمالية بلاغية نقدية، ص :27.

2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1 : 1422هـ / 2002م، ص: 225 وما بعدها .

الفصـــــل الأول:

ثنائيتا الخبـــر والإنشاء

المبحث الأول : وظائف الأســلوب الخبري

المبحث الثاني : أنـواع الأســـلوب الخبري

المبحث الثالث : مستويات الأسلوب الإنشائي

الإنشـــاء غير الطلبي

الإنشـــاء الطـلبي

الأسلوب الخبري:

تمهيد : المعروف عن اللغة العربية أنها لا تخرج عن مستويين اثنين هما : المستوى الخبري والمستوى الإنشائي، إذ يمكن للبلاغي أن يتناولهما من حيث أنهما فنا صياغيا داخل محتوى نص لساني تؤشره بيانات قرائنية، وعلاقات أواصرية بين مركبات الوحدات الكلامية [1].

يقول ابن الأثير في أدب الكاتب : (والكلام أربعة : أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة . ثلاثة لا يدخلها الصدق، والكذب، وهي الأمر، والاستخبار، والرغبة، وواحد يدخله الصدق، والكذب وهو الخبر)[2]، وجاء في الصاحبي : (وهي عند بعض أهل العلم عشرة : خبر، واستخبار، وأمر، ونهي ودعاء، وطلب، وعرض، وتخصيص، وتمنٍّ، وتعجب أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر منه أنه إعلام، تقول : أخبرته، أخبره، والخبر هو العلم)[3]، ورد هذا القول في باب معاني الكلام .

فالخبر أو الأسلوب الخبري قول يحتمل الصدق والكذب، ويمكن أن نقول لقائله : (إنه صادق فيه أو كاذب)[4]، عكس الأسلوب الإنشائي هذا الأخير الذي لا نستطيع القول لقائله بأنه صادق أو كاذب، وعليه فالخبر هو : نسبة شيء إلى آخر، أي تعلق الطرفين ببعضهما البعض وذلك على سبيل الحكم على صدق الخبر وكذبه الذي يتوقف على مطابقة الواقع أو عدم مطابقته له فلو قلنا : الريح تعصف، هذا الخبر قد يحتمل الصدق وقد يحتمل الكذب يكون صادقا إذا خرجنا من البيت وتأكدنا من صحة القول، ويكون كاذبا إذا لم نجد شيئا من ذلك، ولذلك دائما نرجع إلى معيار الصدق والكذب للحكم على الخبر وعلى مدى مطابقته للواقع .

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص:233.

2- ينظر : أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد المدرس في قسم التخصص كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر دط، دت، ج 1 ، ص : 49و ما بعدها .

3- ينظر : أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج، منشورات : محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1418هـ/ 1997م، ص : 133.

4- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغة، ص: 234.

ما يهمنا هنا – ما المقصود بالصدق ؟

- وما المقصود بالكذب ؟

الشائع أن الأخبار الصادقة المقطوع بصدقها والتي لا تحتمل الكذب هي : أخبار الله سبحانه وتعالى، والحقائق العلمية أما الأخبار الكاذبة المقطوع بكذبها ولا تحتمل صدقا، أخبار الذين يدعون النبوة، وكل خبر يخالف نظام الكون أو الحقيقة العلمية [1].

لكن هناك من المعتزلة من يرى أن الخبر من حيث صدقه وكذبه يقع في أقسام ثلاثة :

- الخبر الصادق
- الخبر الكاذب
- الخبر غير الصادق وغير الكاذب

أما الأول لا بد من أن يطابق الواقع ما دام صادقا، وأما الثاني لا يطابق الواقع فهو عكس الأول والثالث والأخير يقع في أربعة أنواع نذكرها على التوالي :

- الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غبر مطابق.
- الخبر المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا .
- الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق .
- الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا [2].

يرى الدارسون لهذه الأنواع الأربعة أنها مرتبطة بالواقع أو بالاعتقاد لذلك يغلب عليها (الطابع الذهني المحض، والتجريد، والتصور العقلي، والبناء المنطقي الاستدلالي، في التقسيم، والتصنيف، والحصر، وغلبة روح الفلسفة، وعلم الكلام، وكلها تحاول الابتعاد عن التذوق الفني الجمالي عند المنشئ، أو المتلقي) [3].

1- ينظر : عمر عبد الهادي عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، دط، دت، ص:162.

2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغة، ص : 235 .

3- ينظر : المرجع نفسه، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغة، ص :235 .

المبحث الأول وظائف الأسلوب الخبري :

المطلب الأول : فائدة الخبر:

اختلف البلاغيون في تقسيم أغراض الخبر منهم من حصرها في قسمين اثنين : الفائدة، ولازم الفائدة ومنهم من عد المدح والفخر والاستعطاف والاسترحام وإظهار الحسرة ...و غيرها من الأغراض التي تفهم من سياق الكلام من الأغراض الأساسية للخبر، إذا أردنا أن نخبر إنسانا بخبر ما يتطلب الأمر شكلين إما أن يكون الإنسان الذي نخاطبه عالما بالخبر أو يكون جاهلا له، أما الطرف الأول – الفائدة تدعو إلى استحضار المتلقي داخل سياق النص ؛ لأنه يمثل القطب المركزي الذي يدور حوله الخبر، ولا بد من إفادته حكما مخصوصا [1]، كقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] البنية اللغوية تتكون من أربع جمل : تبارك الذي، بيده الملك، وهو (على كل شيء قدير)، على كل شيء قدير .

قد يكون المخاطب هنا إنسانا جاهلا بهذا الخبر لا يدرك أنها المانعة المنجية من عذاب القبر وبدايتها تمجيدا لله تعالى يقول ابن كثير :(يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك، أي : هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل، لقهره وحكمته وعدله [3]) قال تعالى : ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[4]، البنية اللغوية تتكون من ثلاث جمل، فطاف عليها طائف، طائف من ربك، وهم نائمون، والفائدة من هذا الخبر والتي يجهلها المتلقي تلك الآفة السماوية التي أصابت خير جنتهم نتيجة للذنوب التي ارتكبوها يقول ابن كثير: (مثل ضربة الله لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة وهو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة [5]).

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 236 .

2- الملك : آية (1).

3- ينظر : ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ج 4، ص:225/224.

4- القلم: آية (20).

5- ينظر : ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص: 232.

قال تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، البنية اللغوية تتكون من جملتين : تعرج الملائكة والروح إليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وتكمن فائدة هذا الخبر في صعود الملائكة في المعارج التي جعلها الله لهم مع جبريل عليه السلام الملقب بالروح جاء في تفسير القرطبي : (أي عروج الملائكة إلى المكان الذي هو محلهم في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة [2]).

قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[3]، البنية اللغوية هنا تتكون من جملتين : وجعل القمر فيهن نورا، وجعل الشمس فيهن سراجا، بينما تتجلى فائدة الخبر هنا في أن الله جعل القمر في سماء هذه الدنيا والشمس كانت بمثابة المصباح الذي يستدل أهل الأرض في حياتهم اليومية قال ابن كثير : (فاوت بينهما في الاستنارة ، فجعل كلا منهما أنموذجا على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وفتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر، ليدل على مضي الشهور والأعوام [4]) .

قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾[5]، تتكون البنية اللغوية من جملتين : يوم ترجف الأرض والجبال، وكانت الجبال كثيبا مهيلا أما الفائدة من الخبر هنا أن اليوم الذي تزلزل فيه الأرض تتحول الجبال الصماء إلى كثبان رملية وفيه يزيدنا ابن كثير تفسيرا فيقول : (ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعا صفصفا)[6].

1- المعارج : آية (4) .

2- ينظر : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، خرج أحاديثه : أحمد بن شعبان بن أحمد، محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة : الأحباس، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 1 : 1425هـ / 2004، ج18، ص : 197.

3- نوح : (16).

4- ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص : 348.

5- المزمل : آية (14) .

6- ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص: 357.

قال الله تعالى : ﴿**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا** ﴾[1]، البنية اللغوية تتكون من ثلاث جمل : رب السموات والأرض، وما بينهما الرحمن، لا يملكون منه خطابا أما فائدة الخبر تكمن في عظمة الخالق وجلاله، فهو رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما قال ابن كثير :(أنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى : (لا يملكون منه خطابا)، أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه) [2].

قال تعالى : ﴿**رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا** ﴾[3]، البنية اللغوية هنا تتكون من خمس جمل : رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها، وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، أما الفائدة من الخبر تظهر في جعل السماء عالية في البناء بعيدة الفناء كما جعل الله تعالى فيها الكواكب لتضيء ليلها المظلم، يقول ابن كثير : (جعل ليلها مظلما أسود حالكا، ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا [4])، فالله تعالى أظلم ليل هذه السماء وأضاء نهارها وأخرج منها الماء والمرعى وفجر الأنهار وخلق الجبال والرمال وغيرها ...

في موضع أخر من النص القرآني قال تعالى : ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَن جَاءهُ الْأَعْمَى** ﴾[5]' البنية اللغوية تتكون من ثلاث جمل : عبس، وتولى، أن جاءه الأعمى وفائدة الأسلوب الخبري تكمن في الموقف الذي جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وابن أم مكتوم هذا الرجل الأعمى الذي قدم ذات يوم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب رجلا آخر وبينما أصر ابن أم مكتوم على إلحاحه عبس الرسول الكريم في وجهه .

1- النبأ : آية (37).

2- ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص:380.

3- النازعات : آية (31/30/29/28).

4- ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص:382.

5- عبس : آية (2/1) .

قال تعالى : ﴿**إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ**﴾[1]، تتكون البنية اللغوية في الآية الكريمة من جملتين هما : إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت وفائدة الأسلوب الخبري تتجلى في انشقاق السماء بأمر الله سبحانه وتعالى وكذلك الأمر بالنسبة لتساقط الكواكب جاء في تفسير القرطبي : (و قيل : تفطرت لهيبة الله تعالى) [2].

وعن الكواكب جاء فيه : تساقطت ؛ نثرت الشيء أنثره نثرا فانتثر، والاسم النثار، والنثار بالضم : ما تناثر من الشيء [3]...

وقال تعالى : ﴿**وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾[4]، البنية اللغوية هنا تتكون من جملتين هما : واليوم الموعود، وشاهد ومشهود أما فائدة الخبر في هاتين الآيتين حصل فيها نوع من الاختلاف كما ورد في كتب التفاسير فاليوم الموعود هو يوم القيامة الذي وعد الله به عباده إنه اليوم الذي يلتقي فيه بهم ليحاسبوا على أعمالهم، واليوم الشاهد هو يوم الجمعة هذا اليوم العظيم الذي ذخره الله للبشر كافة، واليوم المشهود هو يوم عرفة.

وفيه يقول ابن كثير : (اختلف المفسرون في ذلك، وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد ابن عمرو الغزّي، حدثنا عبيد الله — يعني ابن موسى — حدثنا موسى ابن عبيدة عن أيوب ابن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري، عن عبد الله ابن رافع، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليوم الموعود): يوم القيامة، وشاهد : يوم الجمعة، وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة ...و مشهود : يوم عرفة) [5].

1- الانفطار: آية (2/1) .

2- ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ج19، ص: 174.

3- ينظر : المصدر نفسه، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ج19، ص: 174.

4- البروج : آية (3/2).

5- ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص: 402.

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [1]، تتكون البنية اللغوية من جملتين هما : إنا أعطيناك الكوثر، أعطيناك الكوثر أما الفائدة من هذا الأسلوب الخبري تكمن في خطاب الله الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم، فالله أعطاه نهر في الجنة يسمى الكوثر فيه خير كثير للأمة الإسلامية .

جاء في تفسير ابن كثير : (قال الإمام أحمد : حدثنا محمد ابن فضيل، عن المختار ابن فلفل، عن أنس بن مالك قال : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة، فرفع رأسه متبسما، إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنه أنزلت عليّ آنفا سورة . فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم :(إنا أعطيناك الكوثر) ...هو نهر أعطانيه ربي – عز وجل – في الجنة)[2].

وقال تعالى :﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ** ﴾[3]، البنية اللغوية تتكون من أربع جمل : تبت يدا أبي لهب، وتب، ما أغنى عنه ماله، وما كسب، أما الفائدة الجليلة من الخبر هنا تأكيد ضلال، وخسران وخيبة عمل أحد أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أبو لهب، وتكرار لفظ تب إنما هو تأكيد لضلال حال أبي لهب وهنا إشارة عن مكانة ماله وولده الغالية وكسبه .

جاء في تفسير القرطبي : (ومعنى تبت : خسرت ؛ قاله قتادة . وقيل : خابت ؛ قاله ابن عباس . وقيل ضلت ؛ قاله عطاء . وقيل هلكت ؛ قاله ابن جبير . وقال يمان بن رئاب : صفرت من كل خير[4]).

الملاحظ في هذا المطلب وأثناء دراستنا له وجدنا أن الأسلوب الخبري المعبر عن فائدة الخبر ورد في الكثير من مواضع النص القرآني، وفي العديد من السور القرآنية فكان حظه أوفر من حظ الطرف الثاني المعبر عن لازم الفائدة خصوصا ومن الأسلوب الإنشائي عموما كما سنرى في صفحات أخرى من هذا البحث .

1- الكوثر : آية (1) .

2- ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص: 458.

3- المسد : آية (2/1).

4- ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج 20، ص:166.

المطلب الثاني : لازم الفائدة :

تحدثنا في الصفحات السابقة عن فائدة الخبر كطرف أول في شبكة الأسلوب الخبري، وفي هذا المطلب سنتطرق إلى دراسة الطرف الثاني المتعلق بلازم الفائدة، الذي لا يحدث إلا إذا كان المتلقي يعرف طبيعة الخبر لذا يجب أن يكون على علم سابق به .

وبالتالي نحن لا نفيده جديدا، إنما الغاية من ذلك أن نعرفه بأننا نعلم الخبر ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾[1]، البنية اللغوية هنا تتكون من جملتين هما : قال يا قوم، إني لكم نذير مبين .

من جهة أخرى يدرك قوم النبي نوح بأنه رسول مبعوث لهم من عند الله لينذرهم فكل من النبي نوح عليه السلام وقومه يعرف بذلك إلا أن قومه تصدوا له وأنكروا رسالته .

يقول تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴾[2]، البنية اللغوية تتكون من ثلاث جمل : قال رب إني دعوت قومي، إني دعوت قومي ليلا ونهارا، دعوت قومي ليلا ونهارا .

وظيفة الأسلوب الخبري تؤشر مع لازم الفائدة فالله سبحانه وتعالى أرسل النبي نوح عليه السلام إلى قومه، ودعاهم بالليل والنهار وجه قوله لله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية فهو يدرك حال نوح ورد قومه عليه الذين ظلوا في حالة فرار كلما دعاهم لعبادة وطاعة الله .

وقال تعالى : ﴿**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا**﴾ [3]، البنية اللغوية تتكون من جملتين: ثم إني دعوتهم جهارا، دعوتهم جهارا، أما وظيفة الأسلوب الخبري هنا أيضا تؤشر مع لازم الفائدة، لأن الخبر صادر من النبي نوح – عليه السلام – لله تعالى الذي يعلم بالخبر المتضمن إعلان الدعوة جهرة بين الناس .

1- نوح : آية (2) .
2- نوح : آية (5).
3- نوح : آية (8) .

وفي موضع آخر من السورة نفسها يقول تعالى : ﴿**قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا** ﴾[1].

البنية اللغوية تتكون من أربع جمل : قال نوح رب إنهم عصوني، إنهم عصوني، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا، لم يزده ماله وولده إلا خسارا .

الأسلوب الخبري هنا وظيفته تؤشر مع لازم الفائدة كما هو واضح فمن الطبيعي جدا أن يكون المخاطِب – النبي نوح عليه السلام – والمخاطُب أو المتلقي – الله تعالى – على دراية تامة بقصة هذا القوم .

قال ابن كثير : (يقول تعالى مخبرا عن نوح ...أنه انتهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى : أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ...)[2].

ومن الأمثلة الدالة على وظيفة لازم الفائدة قوله تعالى دائما في نفس السورة : ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا**﴾[3].

البنية اللغوية هنا تتكون من جملة واحدة مثلما ورد في الآية الكريمة : ومكروا مكرا كبارا . في هذا الموضع أيضا كل من المخاطب، والمتلقي على علم بهذا المكر الكبير العظيم .

قال القرطبي في تفسيره : (تحريشهم سفلتهم على قتل نوح، وقيل هو تعزيرهم الناس بما أتوا من الدنيا والولد ؛ حتى قالت الضعفة : لولا أنهم على الحق لما أتوا هذه النعم)[4].

1- نوح : آية (21).

2- ينظر : ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج4، ص: 348.

3- نوح : آية (22).

4- ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج18، ص: 214.

قال تعالى : ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [1].

البنية اللغوية تتكون من ثلاث جمل : وأنا منا الصالحون، ومنا دون ذلك، كنا طرائق قددا، إقرار الجن بأمرهم هذا يعلمه الله، وعليه وظيفة الأسلوب الخبري تؤشر مع لازم الفائدة، وكلام الجن هنا يقودنا إلى الحديث عن طبقات الجن فمنهم الصالحين، ومنهم المؤمنين الغير الصالحين ومنهم الكافرين.

يقول القرطبي : (لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين : منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء ... وقال السدي في قول الله تعالى : (طرائق قددا) قال : في الجن مثلكم قدرية، ومرجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسنية [2]...) هذا القول يؤكد لنا أن الجن مخلوق مثله مثل الإنسان، يشبهه في كثير من الأمور، وهو الوحيد دون تأكيد الذي يتميز مثله بالعقل دون غيره من المخلوقات الأخرى التي تشاركهما في الأرض .

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [3]، البنية اللغوية تتكون من ثلاث جمل : قل إنما أدعو ربي، ولا أشرك به أحدا، أدعوا ربي .

هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لكفار قريش الذين قالوا له :(إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك [4]...) الرسالة هنا موجهة من الرسول عليه الصلاة والسلام إلى كفار قريش، وعليه كل من المخاطب والمتلقي على علم بهذا الأمر فوظيفة الأسلوب الخبري تؤشر مع لازم الفائدة .

كانت هذه بعض الأمثلة أردنا من خلالها توضيح ثنائيتي الفائدة، ولازم الفائدة للأسلوب الخبري الذي شغل حيزا كبيرا في النص القرآني لكن علماء البلاغة العربية لم يكتفوا بهذه الوظائف، وسجلوا وظائف أخرى، اختلفت وجهات النظر فيها منهم من رأى: بأنها يجب أن تدرج ضمن ثنائية

---

1 - الجن : آية (11).

2 - ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج19، ص: 12.

3- الجن : آية (20).

4- ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج19، ص: 19.

الفائدة، ولازم الفائدة، ومنهم من يرى : بأنها وظائف مستقلة عن الثنائية في خلاياها وحتى في عناصرها، خاصة إذا درسنا، وتعمقنا في البنية التركيبية للنص المراد تحليله فإننا نستطيع أن نكتشف ذلك بسهولة ويسر، على كل لا يهمنا هنا هذا الجدل يقدر ما يهمنا البحث عن هذه الأساليب الخبرية المتنوعة الأغراض لنتعرف أكثر على بنية النص القرآني، ومن بين الأمثلة الواردة في هذا الصدد :

الأسلوب الخبري	الغرض منه
قال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1].	تعظيم وتمجيدا لمكانة الله عز وجل.
قال تعالى :﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾[2].	وعيد من الله تعالى للشياطين .
قال تعالى : ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[3].	وعيد للكافرين من الله .
قال تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [4].	التحسر وإظهار الندم لما آل إليه حالهم أي الكافرون .
قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [5].	وعـــيد
قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[6].	قدرة الله تعالى .
قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ**﴾ [7].	إظهار الخوف من العذاب القريب والحزن الذي تملكهم حينها .

7/1- الملك : أية (1) وما بعدها .

قال تعالى : ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1].	النـــهي .
قال تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [2].	النـــهي .
قال تعالى : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾[3].	وعـــيد .
قال تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾[4].	اعتراف يتخلله تحسر وندم .
قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾[5].	استعطـاف .
قال تعالى : ﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [6].	رجاء واستعطاف .
قال تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [7].	وعيـــد .
قال تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ ،مَا الْحَاقَّةُ ﴾[8].	ترهيب من يوم القيامة العظيم .
قال تعالى : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[9].	إظهار ضعف حال هؤلاء القوم.
قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [10].	تذكير بالمراتب لأن قول أو كلام الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقارن بكلام الشعراء والكهنة .

- 1/ 7 – القلم : آية (8) وما بعدها .
- 10/8– الحاقة : آية (1) وما بعدها .

قال تعالى : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[1].	دعاء على الكافرين .
قال تعالى : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [2].	الدعـــاء
قال تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[3].	وعـــيد
قال تعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[4].	وعيـــد
قال تعالى : ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [5].	وعيـــد .
قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[6].	الوعـــظ
قال تعالى : ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [7].	مدح حال أهل الجـــنة

1- نوح : آية (26).
2 - نوح : آية (28).
3 - الجن :آية (23).
4 - المزمل : آية (5).
5 - المدثر : آية (17).
6 - المدثر : آية (38).
7 - الإنسان : آية (21).

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1].	وعيـــد
قال تعالى : ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [2].	تذكيـــر وتنبيه
قال تعالى :﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾[3].	تحذير وتحسر
و قال تعالى أيضا : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾[4].	النصح والإرشاد
قال تعالى : ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[5].	وعيـــد
قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [6]	ترهـــيب
قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّين﴾[7].	ترهـــيب
قال تعالى : ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[8].	وعيـــد
قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[9].	ترهيـــب

1- المرسلات : آية (15).
2- المرسلات : آية (16).
3- النبأ : آية (40).
4- النازعات : آية (26).
5- النازعات : آية (39).
6- المطففين : آية (1).
7- المطففين : آية (10).
8- المسد : آية (3).
9- الهمزة : آية (1).

من خلال هذه الأمثلة لاحظنا أن النص القرآني غني بالأساليب الخبرية التي تدور في ثنائية الفائدة ولازم الفائدة، لإنتاج دلالات متميزة وصياغات فنية رائعة ممتعة، ومقنعة بالحجج، والأدلة والبراهين في الوقت نفسه .

وخلاصة القول أن الأسلوب الخبري ليس له إلا غرضان أساسيان هما : فائدة الخبر، ولازم الفائدة هذا المتفق عليه عموما بين علماء البلاغة، وهذان الغرضان يحملان العديد من المعاني، مثل : التحسر، إظهار الضعف، الوعيد، الاستعطاف، الترهيب، التذكير بالمراتب التحذير، النصح، والإرشاد، المدح، والرجاء، وإظهار الخوف، والدعاء على من خالف الله تعالى وأوامره ...و غيرها من المعاني مثلما هو وارد في الأمثلة السابقة .

وأخرى لوظائف أسلوبية مثل : تحريك الهمة، كقوله تعالى : ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[1]، بمعنى أن الذين أحسنوا عبادة الله تعالى، على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عبادة الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي وحتى الفعلي، ومن بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجه البر، والإحسان هكذا يقول السعدي [2].

هؤلاء الذين أحسنوا جزاهم الله بالحسنى وهي الجنة الكاملة في حسنها زيادة على ذلك رؤية وجه الله تعالى والسماع إليه، والفوز برضاه، والسرور بقربه وهذا يحرك الهمة .

يقول الدكتور بكري شيخ أمين معلقا على بعض الآراء البلاغية التي اتفقت في أن الخبر له أغراض أخرى إضافة إلى فائدة الخبر ولازم فائدته : (و نخالفهم في هذا التقسيم، ونقول ليس للخبر إلا غرضان اثنان أساسيان : فائدة الخبر، ولازم الفائدة ...يحملان في الوقت ذاته معاني شتى ؛ قد يكون منها :" إظهار الضعف "، "و الاسترحام والاستعطاف "[3]...)

1- يونس : آية (26).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تفسير السعدي، ص : 339.

3- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار المعارف للملايين، بيروت لبنان، ط1: 1979م، ط3: 1992م، ج1، ص: 60

المطلب الأول : مؤكدات الخبر تشتمل اللغة العربية على العديد من الأدوات التي تعمل على تأكيد المعنى في تركيب معين هذه الأدوات هي : إن، لا الابتداء، أما الشرطية، السين، قد التحقيقية، القسم، ضمير الفصل، نون التوكيد الخفيفة، نون التوكيد الثقيلة، الحروف الزائدة، أحرف التنبيه.

إنّ (همزة كسر مع تشديد النون) : من الحروف الناسخة التي تدخل على المبتدأ تنصبه فيسمى اسمها وترفع الثاني ويسمى خبرها والوظيفة التي تحملها أنها تؤكد محتوى الجملة أي مضمونها أو الخبر فلو قلنا مثلا : إن الضباب كثيف كأننا نقول الضباب كثيف مرتين للتأكيد في حين أنه إذا دخلت لام التوكيد المزحلقة على الخبر كقولنا : إن الضباب لكثيف في هذه الحالة كأننا نكرر عبارة الضباب كثيف ثلاث مرات وهذا ما يسميه أهل البلاغة العربية بالإيجاز والاقتصاد لأن البلاغة هي في الأصل إيجاز، من الأمثلة الواردة في النص القرآني :

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [1]، إن واسمها، واللام المزحلقة، وشبه الجملة على خلق خبر للناسخ إن، وعظيم نعت مجرور مثل الموصوف[2]، وقال تعالى : ﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ**﴾ [3]، الواو تعرب بحسب ما قبلها إن ناسخة والهاء ضمير متصل في محل نصب اسم إن ولام التوكيد المزحلقة والحق خبر إن مرفوع وهو مضاف واليقين مضاف إليه مجرور .

أما الشرطيـــة : الفائدة منها توكيد وتقوية الحكم نحو قولنا : خالد مسافر إذا أردنا توكيد هذا الخبر وتقويته وأنه بصدد السفر قلنا : أما خالد فمسافر، كقوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾ [4]، وأما هنا حرف شرط وتفصيل وتوكيد أيضا فالذي يريد الهناء والفوز بحياة بالجنة لا بد له من أن يعمل جاهدا على ترجيح حسناته على سيئاته ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ، ثقلت موازينه، فعل وفاعل، فهو : الفاء عاطفة والضمير هو مبتدأ وشبه الجملة : في عيشة خبره، راضية صفة .

1- القلم : آية (4).

2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير : للطباعة والنشر والتوزيع، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، بيروت، ط11، 1432هـ/ 2011م، م8، ج 29، ص: 23 بتصرف .

3- الحاقة : آية (51).

4- القارعة : آية (7/6).

وقال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾[1]، وقوله تعالى أيضا : ﴿**وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [2]، في الآيات الأولى كي يضمن الإنسان اليسرى لا بد له من العطاء الوفير، ومجانبة المعاصي، والتزام الطاعة، والتصديق بالحسنى، وشريطة الثانية عكس الأولى .

السيـــن هذا الحرف يختص بالدخول على الفعل المضارع ليجعل زمنه المستقبل، يقول الدكتور بكري شيخ أمين : والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ؛ ووجه ذلك أنها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول ودخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتثبيته وتوكيد معناه [3]، وردت السين في قوله تعالى : ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ [4]، أكدت السين هنا حصول فعل الوعيد – يصلى – الذي دخلت عليه كما أفادت تثبيت معناه بأنه حاصل لا محالة حتى ولو تأخر الأمر إلى أجل بعيد .

ســـوف : من روائع ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[5]

﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[6]

قــد التحقيق: تختلف وظيفة الأداة قد حسب دخولها على الفعل، إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التحقيق من حصول الفعل نحو قوله تعالى : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾[7]، فهي في مثل هذه الجملة تفيد توكيد مضمون الخطاب ؛ أي أن الفلاح وليد الطهر، والرقاء، والزكاة، والخيبة وليدة من أخفى نفسه الكريمة، وقمعها، ودنى بها نحو العيوب، قد تدخل على الفعل المضارع لتفيد التوقع كقولنا مثلا : قد ينزل اليوم المطر، وقد تفيد التقليل لكنها لا تكون من أدوات التحقيق . (غير عاملة) .

1- الليل : آية (7/6/5).
2- الليل : آية (10/9/8).
3- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 63.
4- المسد : آية (3/2/1).
5- الضحى : آية (5).
6- التكاثر : آية (4/3)
7- الشمس : آية (10/9).

ضمير الفصل : يكون الضمير عادة ضمير رفع متحرك يؤتى به للفصل بين الخبر والنعت كأن نقول مثلا : محمد هو الصادق لو قلنا : محمد الصادق تكون محمد المبتدأ، والصادق تعرب خبرا عن محمد ويكون صفة له لكن وجود ضمير الفصل- هو- يتعين أن تعرب الصادق خبرا عن المبتدأ هو وليس صفة له والجملة الاسمية – هو الصادق المتكونة من المبتدأ والخبر – في محل رفع خبر للمبتدأ محمد .

قال تعالى : ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[1]، الجملة ككل لا محل لها من الإعراب لأنها تعليل لما قبلها [2]، ضمير الفصل هنا يعرب مبتدأ وأعلم خبر له وقبلها النسخ إن واسمها كاف الخطاب والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن، وهو ضمير الفصل الثاني مبتدأ وأعلم خبر له وبالمهتدين متعلقان بأعلم .

- **القســـم:** المعروف أن أحرف القسم هي : الواو، والتاء، والباء، أما الواو فهي مختصة بالدخول على الأسماء الظاهرة فقط ، بينما الباء من الحروف البارزة في القسم فهي الأصل لأنها لا تختص بالدخول على الأسماء الظاهرة فقط بل حتى على الضمائر، وأما التاء تختص بالدخول على لفظ الجلالة – الله – وحده هذا من جهة المقسم أما الحروف التي تدخل على المقسم به هي : اللام، إلا، ما، لا إذا كان مثبتا أي المقسم به تدخل عليه اللام، وإلا، أما إذا كان منفيا تدخل عليه ما، ولا .

يؤكد علماء البلاغة العربية أن القسم إذا ورد على أي صورة من هذه الصور أفاد التأكيد لأن المقسم يشعرنا بذلك القسم أنه أمر مؤكد لا مجال للمناقشة فيه ومن الأمثلة الوردة في النص القرآني التي تدل على القسم قوله تعالى : ﴿**وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾[3] .

أقسم الله تعالى هنا بالعصر الذي هو اليوم والليلة والواو حرف قسم وجر في الوقت نفسه كما نلاحظ دخول اللام على المقسم به لأن المقسم به مؤكد غير منفي وهو مجرور بالواو والجملة حافلة بأدوات التوكيد (القسم، إن، اللام).

1- القلم : آية (7).

2- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م2، ج29، ص: 24.

3- العصر : آية (2/1).

يقول صاحب التبيان في أقسام القرآن : (فقد تضمن الإقسام ثبوت الجزاء، ومستحق الجزاء، وذلك يتضمن إثبات الرسالة والقرآن والمعاد، وهو سبحانه يقسم على هذه الأمور الثلاثة، ويقررها أبلغ التقرير، لحاجة النفوس إلى معرفتها، والإيمان بها، وأمر رسوله أن يقسم عليها)[1] .

من روائع القسم قوله تعالى : **﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ،وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ،وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا ،وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**[2]، القسم في الآيات الكريمة كان بالخالق والمخلوق، بالخالق الذي ألهما فجورها وتقواها وقبل ذلك سواها، وأقسم بالسماء والأرض ...

يقول ابن القيم الجوزية : (... وقد تضمن القسم الإقسام بالخالق والمخلوق، فأقسم بالسماء وبانيها والأرض وطاحيها، والنفس ومسويها . وقد قيل : إن (ما) مصدرية فيكون الإقسام فعله تعالى، فيكون قد أقسم بالمصنوع الدال عليه، وبصنعته الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده، ولما كانت حركة الشمس والقمر، والليل والنهار أمرا يشهد الناس حدوثه شيئا فشيئا، ويعلمون أن الحادث لابد له من محدث، كان العلم بذلك منزلا منزلة ذكر المحدث له لفظا ...)[3]، من الروائع قوله تعالى : **﴿وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ،وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ،وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ...﴾**[4].

في السورة الكريمة أقسم الله تعالى بالفجر وليال عشر والسؤال الذي ورد في السورة اختلف المفسرون في جوابه منهم من قال أن جوابه قوله تعالى : **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾** [5]، وابن القيم ذكر أن هذا ضعيف لوجهين (أحدهما : طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه بجمل كثيرة وثانيها : في قوله : تعالى (إن ربك لبالمرصاد) ذكر لتقرير عقوبة الله الأمم المذكورة عاد، وثمود، وفرعون ...و لا يرى هو تعلقه بذلك دون القسم [6]...)

1- ينظر : شمس الدين بن أبي عبيد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، علق عليه وصححه : فؤاد أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1418هـ / 1998م، ص : 35.

2- الشمس : آية (1) وما بعدها .

3- ينظر : ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص : 38.

4- الفجر : آية (1) وما بعدها .

5- الفجر : آية (14) .

6- ينظر : ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص : 44 بتصرف .

نونا التوكيـــــد :

المقصود بهما : نون التوكيد الثقيلة وهي النون المشددة ونون التوكيد الخفيفة هي النون الغير مشددة، تدخل كل من نون التوكيد الثقيلة والخفيفة على الفعل المضارع ولكن بشروط معينة، وعلى فعل الأمر جوازا فقط من الأمثلة الدالة على ذلك قوله تعالى : **﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾**[1].

- **الحروف الزائدة :**

وهي : إن، وأن الساكنتين، ما، ولا، حرفا الجر : من والباء بحيث تدخل هذه الحروف لزيادة تأكيد المعنى، إذا جاءت إن بعد نفي أكدت معنى حرف النفي في الكلام، وأن تأتي لتؤكد اللام بعد لما، بينما الحرف ما يزاد في الكلام تأكيد للمعنى، والأداة لا، تزاد مؤكدة ملغاة نحو قوله تعالى : **﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** [2]، لا هنا زائدة للتأكيد إذ المعنى : أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوامة، ومن تأتي لزيادة لتأكيد عموم ما بعدها إذا كانت مسبوقة بنفي، أو نهي أو استفهام نحو قوله تعالى : **﴿ مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾**[3]، وقوله أيضا : **﴿هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾** [4] .

وأما الباء تزيد من تأكيد المعنى الذي يليها نحو قوله تعالى : **﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾** [5].

- **لام الابتـــداء :**

فائدتها تكمن في زيادة مضمون الكلام تدخل على المبتدأ، وعلى الخبر وكذلك على الفعل المضارع الواقع خبرا للناسخ إنّ ومن الأمثلة الدالة قوله تعالى : **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [6].

1- القلم : آية (17).
2- القيامة : آية (2/1).
3- الملك : آية (3).
4- الملك : آية (3).
5- الغاشية : آية (22/21).
6- القلم : آية (4).

حروف التنبيه : وله حرفان هما : ألا، وأما الأولى تأتي للتنبيه كما تحمل وظيفة التحقيق لما بعدها من هذا المنطلق أصبحت وظيفتها التأكيد يقول الله تعالى : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [1]، والحرف أما للاستفتاح يحمل نفس دلالة ألا في وظيفة التحقيق لكن موضعه خلاف ألا بحيث يكثر وروده قبل القسم خاصة، بغية تنبيه المتلقي [2].

قد يصادف القارئ نوع من التراكيب يخلو من المؤكدات تماما، لكن طبيعة هذا التركيب يقوده إلى شيء آخر هو وجود التأكيد من خلال طبيعته كأن نقول مثلا : أنتما تؤمنا بالله المضمون هنا يعدل مرتين قولنا : تؤمنا أنتما بالله، لذلك يعد الباحثون البلاغيون هذا النوع من أشكال التأكيد لأن البنية التركيبية لهذا القول توضح أن الضمير المنفصل أنتما هو المبتدأ، والجملة الفعلية المتكونة من الفعل والفاعل الذي ورد ضميرا مستترا للفعل تؤمنان في محل رفع خبر للمبتدأ أنتما .

بمعنى آخر أن التكرار نوع من التأكيد وفي هذا التركيب تكرر الضمير المنفصل أنتما مرتين الأول ورد ظاهرا، والثاني ورد مستترا متعلقا بالفعل تؤمنان، وكذلك الأمر بالنسبة للفعل تؤمنان جاء ظاهرا وبصيغة زمن المضارع مرة، ومرة جاء بصورة الخبر المؤول .

(لكن عموما تبقى مؤكدات الخبر تطمح إلى توفير درجة كثافة متوازنة للتركيب في نطاق بعيدا كل البعد عن معياري التشتت والتجريد، مع العلم أن المؤكدات تختلف وتتفاوت في درجاتها التوكيدية صعودا، وهبوطا داخل بنية النص .

و تحسم، كل هذا قدرة المبدع في حال استخدامها داخل الخطاب، الذي يحمل مستويين هما :

- مستوى التعبير – الذي يمثل البنية السطحية
- مستوى المضمون – الذي يمثل البنية العميقة) [3].

1- الملك : آية (14).

2- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص :69.

3- ينظر عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 256 بتصرف .

المطلب الثاني : توزيع الأسلوب الخبري

البحث في هذا المطلب يعتمد على دراسة الأسلوب الخبري من حيث المؤكدات وكذا مراعاة الحال الخارجية للمتلقي الذي لقي عناية كبيرة من طرف علماء البلاغة العربية . لذلك هم يرون أن المتلقي إذا كان خالي الذهن ويفتقر إلى عنصر الحكم على أحد الطرفين بإمكانه الاستغناء عن المؤكدات كأن نقول مثلا : زارني أخي .

وإن كان المتلقي أو المخاطب مترددا في إسناد أحد الطرفين إلى الآخر في النسبة حسن في هذه الحالة تقوية الخبر بمؤكد مثل : لزيد قائم [1]، وقد لا يستطيع المتلقي أن يستقبل النص أصلا ذلك أنه في دائرة ضيقة الحدود، تجعل عملية الاختراق مشوبة بنوع من العجز، والقصور[2]، وبناء على موقف المتلقي هذا قسم أهل البلاغة العربية الأسلوب الخبري إلى ثلاثة أنواع هي : الأسلوب الخبري الابتدائي الذي يخلو من أدوات التوكيد، والأسلوب الخبري الطلبي المؤكد بأداة واحدة، والأسلوب الخبري الإنكاري المؤكد بأكثر من أداة، ورد الأسلوب الخبري بركائزه الثلاثة السالفة الذكر في كثير من مواضع النص القرآني ومن الأمثلة الدالة على ذلك :

الأسلوب الخبري	الصـــيغة	النـــــوع
قال تعالى : **﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾** [3].	الحروف الزائدة : ما، وحرف الجر: من .	إنكاري
قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾**[4].	قد التحقيق ونون التوكيد الثقيلة .	إنكاري
قال تعالى **﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾**[5].	اللام، ولا .	إنكاري

1- ينظر : محمد حسين أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص: 62.
2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 243.
3- الملك : آية (3).
4- الملك : آية (5).
5- القيامة : آية (2/1).

قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].	إن ولام الابتداء.	إنكاري .
قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].	حرف التنبيه ألا وضمير الفصل هو	إنكاري .
قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾[3].	خالي من المؤكدات	ابتدائي .
قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ﴾[4].	خالي من المؤكدات	ابتدائي
قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [5].	إن /أن مرتين /من	إنكاري.
قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾[6].	أنّ مؤكد واحد .	طلبي.
قال تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [7].	إنّ مؤكد واحد	طلبي.
قال تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾[8].	السين	طلبي

1- القلم : آية (4).
2- الملك : آية (14).
3- الحاقة : آية (14).
4- المعارج : آية (8).
5- نوح : آية (1).
6- الجن : آية (4).
7- المزمل : آية (7).
8- المدثر : آية (17).

والأمثلة الواردة هنا كثيرة جدا تتراوح بين الأسلوب الخبري الابتدائي، والإنكاري، والطلبي ولكن قد يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر عندما يستوجب الموقف لونا آخر من الإخبار كما يتطلب الأمر أسلوبا تعبيريا خاصا .

قد يتطلب الأمر أن يقف المنشئ أمام متلقي ينكر حقيقة من الحقائق، وهو بذلك يخالف نظرة الناس له ولتكن مثلا هذه الحقيقة : أن القرآن الكريم كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو آخر الكتب السماوية، فالناس جميعا يعرفون كتاب الله ورسوله الكريم وإن كان لكل طائفة منهم الكتاب الذي تؤمن به ومع ذلك ينكر هذا المتلقي تقبل الفكرة أساسا ربما لظلاله ومحدودية الدائرة الإدراكية .

قد يحتاج الآمر هنا من الناحية البلاغية، إلى وجوب تقديم أسلوب خبري يضم مجموعة من المؤكدات بكل أنواعها لإزالة هذه الفكرة المنكرة للحقيقة ليصبح المنشئ هنا تقليدي لكنه يكون في الوقت نفسه بعيدا كل البعد عن ذلك المبدع المجتهد الذي يجب أن يتمتع بالبلاغة الرائعة، والفصاحة العالية ليواجه الإنكار بأسلوب خبري قوي، لكنه لو فكر قليلا في الكتب السماوية عموما ونصوصها، وفي الكتاب المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خصوصا يجد أن الأمر لا يحتاج إلى كل المؤكدات، والأمثلة كثيرة ومتنوعة منها ما يجري خلاف الظاهر فيعتبر انحراف يتوزع داخل البنية وخارجها ؛ لأن المتلقي يفرض على هيئة صياغة النص هندسة بنائية معينة، توفر له المناخ اللازم، لكي يكون مستعدا للتعايش مع ركني الإقناع، والإمتاع[1]، ومنها ما يجري حسب مقتضى الظاهر لكن لكل منها مقام ومقال .

يقول الدكتور بكري شيخ أمين : (والذكي الأريب هو القادر على وضع كل شيء في مكانه اللائق والمناسب، وهو الذي يغوص في أعماق نفس الإنسان الذي يخاطبه، فيفهم ما يعتلج فيها، ويدور في حناياها، وحينئذ يختار الكلمة المناسبة لهذا الإنسان . وذلك مقتضى الحال) [2].

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص: 250.

2- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص: 74.

المبحث الأول : مستويات الأسلوب الإنشائي

المطلب الأول : الإنشاء غير الطلبي ذكرنا في المبحث السابق أن أهل البلاغة قسموا الكلام إلى قسمين : قسم يحتمل الصدق والكذب وهو الخبر وقسم لا يحتمل الصدق والكذب وهو ما يسمى عندهم بالإنشاء، هذا ما عبر عنه البلاغيون بالوجود الخارجي للكلام قبل النطق به فيسمون ذلك بالأسلوب الخبري، أما الإنشاء يخلو من الوجود الخارجي .

فالواقع الخارجي بالنسبة للأساليب الإنشائية هو الواقع القائم في نفوس المتلقين مع التمني، والأمر والنهي، والاستفهام، والنداء، والمدح، والذم، والعقود، والقسم، والتعجب، والرجاء، والمقاربة، أو عدم قيامه في نفوسهم [1]، ما يفهم من هذا القول أنه لا وجود للقصد المطابق للواقع في الأسلوب الإنشائي . ويظهر الأسلوب الإنشائي في مستويين :

- **مستوى الإنشاء غير الطلبي** : وهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب [2]، يجري هذا النوع في عدة أساليب هي : المدح، الذم، القسم، والتعجب، والرجاء، صيغ العقود .

أساليب المدح والذم : مثل نعم، وبئس، وحبذا، ولا حبذا كأن نقول مثلا : نعم المدرس معلم اللغة العربية للمدح ، وبئس الولد عمر للذم ، وضمن هذه الأساليب تدخل ما تسمى بالأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم أيضا مثل : الفعل طاب للمدح، والفعل خاب للذم، وما شابههما، ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى : **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾**[3]، وقوله أيضا : **﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾** [4].

الآية الأولى للمدح لأن فيها تطهير للنفس الكريمة من الذنوب، والثانية للذم لأن فيها خفاء وقمع للنفس وتدنيس بالرذائل .

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 257.

2- ينظر: محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، دار الفكر، ط1 : 1428هـ/ 2007م، ص: 139.

3- الشمس : آية (9).

4- الشمس : آية (10).

أسلوب التعجب : يقصد به تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره من على أضرابه [1]، يكون هذا الأسلوب بصيغتي : ما أفعله، وأفعل به، والصيغتان قياسيتان من الأمثلة الدالة على أسلوب التعجب قوله تعالى : ﴿ **قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾[2]، جاء بصيغة ما أفعله .

أساليب القسم :

ذكرنا في الصفحات السابقة أن أحرف القسم هي : الواو، الباء، والتاء فنقول : والله، أو بالله أو تالله وقد يكون بغير تلك الأحرف، ورد أسلوب القسم بأنواع عديدة في النص القرآني من ذلك قوله تعالى : ﴿**وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾[3]، وقوله أيضا : ﴿**وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [4]، وقال : ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ**﴾ [5]، من خلال هذه النماذج أقسم الله سبحانه وتعالى في السورة الأولى بالضحى والليل، وفي الثانية أقسم بالعصر وفي السورة الثالثة أقسم بالتين والزيتون .

- **أساليب العقود** :

تكون هذه الأساليب عادة مصحوبة بالفعل الماضي مثل الفعل : اشترى، باع، وهب، قبل أعتق وغيرها كقولنا : اشتريت هذا البيت، بعتك هذه السيارة، وهبتني قيمة من المال ...

- **أساليب الرجاء :**

المعروف أن الرجاء يكون بحرف واحد هو لعل الذي بمعنى ظن، وبمعنى كي ، وبثلاثة من الأفعال هي : الفعل عسى، والفعل اخلولق، والفعل حرى . ومن الأمثلة القرآنية التي تدل على أسلوب الرجاء، قال الله تعالى : ﴿**عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**﴾[6].

1- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص77.
2- عبس : آية (17).
3- الضحى : آية (2/1).
4- العصر : آية (2/1).
5- التين : آية (2/1).
6- القلم : آية (32).

المقصود من وراء هذا القول أن هؤلاء القوم الظالمين رجوا الله أن يبدلهم خيرا منها وأحسن، شريطة أنهم سيرغبون إلى الله بإلحاح كبير عليه في الدنيا يبقى الآن إن كانوا صادقين على ما قالوا لا شك أن الله أبدلهم في الدنيا خيرا منها يقول السعدي في تفسيره : من دعا الله صادقا، ورغب إليه، ورجاه، أعطاه سؤله [1].

المطلب الثاني : الإنشاء الطلبي هذا النوع، يعرف بأنه كل ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويقع في خمس أساليب:

أولا الاستفهام : يعد الاستفهام نوع من أنواع الإنشاء الطلبي ويقصد به طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، بأداة خاصة وله العديد من الأدوات منها الهمزة، وهل . أما الهمزة يسمونها معرفة المفرد تصورا، إذا طلب بها معرفة المفرد، وتسمى معرفة النسبة تصديقا إذا طلب بها معرفة النسبة وهناك نقاط اختلاف بين الأداتين[2] :

أولا : تكون الهمزة للتصديق وللتصور، وهل تختص بالتصديق فقط .

ثانيا : لا تخل هل على النفي نحو قولنا : هل لم تنجح؟ بينما الهمزة يمكن لها ذلك مثال : ألم تنجح؟

ثالثا : لا يجوز أن تدخل "هل "على المضارع الخالص للحال وإنما تختص بالمضارع المستقبل نحو : هل تعود ؟ بخلاف الهمزة نحو : أتزنه قائما ؟

رابعا : لا تدخل "هل" على الشرط ولا على إن نحو هل إن ذاكرت أنجح ؟ وهل إنك مسافر ؟ ولا على حرف العطف نحو : هل فيأتي الولد ؟ بخلاف الهمزة يمكنها ذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ**﴾[3]

خامسا : يجوز أن تدخل أداة الاستفهام على الجملة الاسمية وعلى الجملة الفعلية ، قد يسجل الاستفهام ألوان دلالية كثيرة ومتعددة نذكر منها الآتي :

1- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص: 842.

2- ينظر : ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق : مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 2005م ص : 333.

3- يوسف : آية (90).

أسلوب الاستفـــهام	دلالتـــه
قال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ؟ ﴾[1].	الإنكـــار
قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟ ﴾[2].	التقـــرير
قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ؟ ﴾[3].	تذكير وتنبيه إلى عظمة الخالق عز وجل
قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ؟ ﴾ [4].	تنبيه على عظم خلق هذه السموات
قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ؟﴾ [5]	تعجيز عن معرفة اليوم الموعود
قال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ، بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟﴾ [6].	تعظيم قدرة الله تعالى
قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ؟﴾[7].	للتقرير والتقريب .
قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى ؟ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ؟﴾[8].	النهـــي

1- القيامة : آية (36).
2- الانشراح : آية (1).
3- الملك : آية (3).
4- نوح : آية (15).
5- الجن : لآية (25).
6- القيامة : آية (6/5/4/3).
7- الإنسان : آية (1).
8- العلق : آية (12/11/10/9).

ثانيا الأمر :

ورد الأمر في العديد من الدراسات البلاغية على أنه طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، أي أن الآمر يرى نفسه أعلى وأرقى من الذي يخاطبه، يقول السيوطي في تعريف الأمر : طلب فعل غير كف وصيغته أفعل وليفعل وهي حقيقة في الإيجاب [1]...

يجري الأمر على أربعة أساليب هي : فعل الأمر، فعل المضارع المقرون بلام الأمر اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر .

- **فـــعل الأمـــــر:**

نحو : أدرس، اذهب، اعمل ومن أمثلتة في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ** ﴾[2]، وقال تعالى أيضا : ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [3]، ورد الأمر في النص القرآني في العديد من المواضع .

- **المضارع المقترن بلام الأمر** : نحو قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ،الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾[4] وقوله : ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَه، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**﴾ [5].
- **اسم فعل الأمـــر** : ومنه عليكم التي بمعنى ألزموا، رويدك، آمين، صه ، بله التي بمعنى دع لم يرد هذا النوع في الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم .
- **المصدر النائب عن فعل الأمر**:ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾ [6]، وأصل الكلام سبح في الليل طويلا .

1- ينظر : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص: 197.

2- القلم : آية (48).

3- الحاقة : آية (24).

4- قريش : آية (4/3).

5- العلق : آية (18/17).

6- المزمل : آية (7).

قد يخرج الأمر عن المعنى الحقيقي له، أي طلب الأمر يكون من الأعلى نحو الأدنى وذلك على وجه اللزوم والوجوب، فيدل أسلوب الأمر على معان ودلالات أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال من بين هذه المعاني :

1- الدعـــاء :

يكون الطلب هنا على سبيل تقديم العون والاستغاثة والتضرع لله تعالى والشكوى له والعفو والرحمة وما جرى مجرى ذلك، (يسميه البعض المسألة من بينهم ابن فارس، وهو بكل صيغة للأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه درجة وشأنا) [1]، ومن الأمثلة القرآنية الدالة على الدعاء قوله جل ثناؤه : ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾ [2] هذا دعاء من النبي نوح عليه السلام خاطب فيه الله تعالى الأعلى منزلة وشأنا منه يطلب فيه المغفرة له ولوالديه ولكل مؤمن ومؤمنة .

2- الالتمـــاس :

يكون فيه الطلب من الند إلى الند كأن يكون من الأخ إلى أخيه أو من الصديق إلى الصديق.ورد هذا النوع في مواضع أخرى من النص القرآني غير النص الذي بين أيدينا .

3- النصـــح :

يحمل الطلب هنا في مضمونه نوع من الإرشاد، والنصيحة، والموعظة من ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[3]، فالنصيحة تكمن في الرجوع إلى الله تعالى الذي أسدى على كل النفوس من إحسانه وكرمه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، هذا الخطاب المتضمن معنى النصيحة موجه (للروح يوم القيامة وفي حال الموت أيضا)[4].

1- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص : 83 .
2- نوح : آية (28).
3- الفجر : آية (30/29/28/27).
4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص: 884.

4 – التهديد :

الطلب في هذا المقام ليس فيه لا استعلاء، ولا إلزام بل يحمل في طياته نوع من القوة والتهديد والوعيد أيضا كان يقول مثلا المعلم لتلميذه : أهمل واجباتك وسوف نرى، ومثاله قاله تعالى : **﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [1]، ينبئ كلام الله عز وجل عن قوته وجبروته مخاطبا عباده ومبينا لهم أنه يعلم سرهم وجهرهم، وأنه يتوعد المنافقين منهم .

5–التخيير :

يقصد به وضع المخاطب بين أمرين للتخيير بينهما، مثال ذلك الآية السابقة الذكر قال تعالى : **﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[2]، حملت هذه الآية الكريمة كما أسلفنا الذكر نوع من القوة والتهديد وفي نفس الوقت خير الله تعالى هؤلاء الطائفة من العباد بين السر والجهر . يحتوي أسلوب الأمر كذلك على العديد من المعاني الأخرى مثل : التمني، والتعجيز، والإباحة، والتحقير، والتسوية، ولابد من الإشارة فقط إلى أن هذه المعاني لم ترد في الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم، ولكنها وردت بكثرة في بقية الأجزاء ، نذكر منها قصد توضيح الفكرة قوله تعالى : **﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾**[3]، أباح الله سبحانه وتعالى لعباده في هذه الآية الكريمة الأكل والشرب حتى يتبين لهم – في حال الصيام – الخيط الأبيض من الأسود ؛ أي إلى غاية طلوع الفجر.

وقوله أيضا جل ثناؤه : **﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾**[4]، كلامه عز وجل واضح لا يحتاج إلى تفسير إذ ليس في مقدور العباد، ولا باستطاعتهم ولو كانوا بلغاء وفصحاء أن يأتوا بسورة من مثل كلام الله تعالى ولا حتى بآية منه، ذلك أن القرآن الكريم هذب ذوقهم أسكت فصحاءهم، وأخرص بلغاءهم خاصة ما تعلق بقضية الإعجاز القرآني ... وبالتالي الأمر هنا خرج من معناه الحقيقي إلى معنى آخر قصد التعجيز .

1- الملك : آية (13).
2- الملك : آية (13).
3- البقرة : آية (187).
4- البقرة : آية (23).

ثالثا النهي : يرى البلاغيون أن أسلوب النهي هو : طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، من صيغه المضارع المقترن بلا الناهية كقوله تعالى : ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾[1]، قد يخرج النهي عن معناه الحقيقي هو الآخر مثله مثل بقية الأساليب الأخرى إلى دلالات مجازية تطرحها سياقات النصوص وذلك بالاستعانة بالقرائن التي تصاحب التركيب، وهذه الدلالات المجازية هي التي تجعل الأسلوب ينتقل من صفة التقريرية – التي تتحجم في عملية الفهم والإفهام – إلى فضاءات تتوافر فيها نوع من موسيقى الحركة، والتوازن العميق، والثراء الخصب، والابتكار القائم على الطاقة الاستيعابية ... تأتي وظائف النهي ضمن صياغات تتناسب فيها العلاقات طردا وعكسا [2] .

من بين هذه الوظائف الدعاء نحو قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾[3]، خرج النهي من معناه الحقيقي إلى دلالة أخرى لا يفهم منها نهيا لله تعالى بعدم تركه وإبقائه لأي كافر، بقدر ما هو رجاء، وتوسل من النبي نوح عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل . كذلك نفس الأمر بالنسبة لقوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا**﴾ [4]، هذا دعاء من النبي نوح عليه السلام على قومه لتمردهم وكفرهم بالله تعالى وعلى عنادهم المستمر.

أما في قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[5]، خرج النهي هنا من معناه الحقيقي إلى دلالة أخرى هي الإنكار ؛ أي أنكروا عبادة منزّل التنزيل المحكم عز وجل وآلوا إلى عبادة آلهة كان آباؤهم يعبدونها من قبل، من بين الدلالات التي قد يخرج إليها النهي أيضا النصح، والإرشاد، والتوبيخ، والتحقير، والتمني، والتيئيس، وهذا بالإضافة إلى وجود دلالات مجازية أخرى : كالمواساة والاستعطاف، والتهديد، وغيرها وكلها تعين القرائن المتنوعة على إخراجها من خلال السياق أو التركيب.

1- القيامة : آية (17/16).
2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 263.
3- نوح : آية (26).
4- نوح : آية (24).
5- نوح : آية (23).

رابعا النداء : هو طلب القدوم أو هو طلب إقبال المدعو على الداعي وذلك بأحد الحروف المخصصة التي تنوب عن الفعل أدعو[1] وأحرف النداء ثمانية هي : الهمزة، وأي، يا، أيا، هيا، آ، آي وا، تقسم هذه الأدوات إلى نوعين هما:

نداء القريب : تستعمل فيه أداة الهمزة، **وآي** وذلك نحو قولنا مثلا : أخالد جئت مع أخيك .

نداء البعيد : تستعمل فيه بقية الأدوات الستة نحو قولنا : يأيها المجتهد العلم سلاحك .

من أمثلة النداء في النص القرآني قول منزل التنزيل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[2] نداء من الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم، يقصد به يا أيها المتلفف بثيابه . وقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ [3]، نداء أيضا موجه من الله تعالى إلى المتغشي بثيابه عليه الصلاة والسلام، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴾[4]، نداء من المولى عز وجل إلى النفس المؤمنة بالرجوع إليه لكسب رضاه .

قد يخرج أسلوب النداء هو الآخر عن معناه الأصلي إلى دلالات أخرى بغية المدح أو المبالغة في الذم، أو إظهار التحسر، أو الزجر، أو إظهار الندبة والاستغاثة، أو إظهار التعجب، أو التحقير...الخ، وعن طريق هذا العدول يتم الانتقال من البنية الأصلية إلى بنية أخرى أكثر كثافة وتوازنا، ومن أمثلة ما ورد في النص القرآني قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾[5]، هذا نداء موجه من النبي نوح عليه السلام إلى قومه الذين أنكروا عبادة الله تعالى يحمل في ثناياه نوع من التحذير والإنذار وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [6]، هذا النداء من الله تعالى إلى عبده الفقير يحمل في مضمونه عتاب من الخالق جل ثناؤه للإنسان الجاحد لنعم المولى المقصر في حقه ولا يكاد يستخدم حرف النداء مع الرب، بل ينادي مجردا من حرف النداء ولعل

1- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص: 125.
2- المزمل : آية (2/1).
3- المدثر : آية (2/1).
4- الفجر : آية (28/27).
5- نوح : آية (2).
6- الانفطار : آية (6).

في ذلك تعبيرا عن شعور الداعي بقربه من ربه[1] ونحو ذلك نجده في سورة نوح في عدة مواضع منها قوله تعالى :﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾ [2]و في موضع آخر قال تعالى : ﴿ **أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** ﴾[3]، نداء من الله تعالى إلى الإنسان يحمل في ثناياه وعيد وتذكير بيوم التلاقي – القيامة – بين الله وعبده الذي يتقرب إليه بالخير أو يبتعد عنه بالشر فيجازى على عمله .

خامسا التمني : والنوع الخامس والأخير من أقسام الإنشاء الطلبي التمني : وهو توقع أمر قريب إلى النفس، حبيب لميلها، والتمني يطرق أبواب المستحيلات الحياتية، والترجي لا يكون إلا في الممكنات [4]، وأدواته التي يحصل بها هي: هل، ولو التي غايتها البلاغية تكون للعزة والندرة، وكذلك لعل ليكون الغرض البلاغي من هذه الأدوات (هو إبراز المتمني الشيء المستحيل في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به والشوق إليه)[5] .

ومن أمثلة التمني الواردة في النص القرآني قوله تعالى : ﴿**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ [6] هذا تمني واضح تضمن الحرف المشبه بالفعل يحمل معنى التحسر على ما فات نفسه وعلى ما فرط في جنب الله ومن أمثلة التمني أيضا قال منزل التنزيل : ﴿ **إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا** ﴾[7]، تحسر وندم من الكافرين على أنفسهم وعلى أعمالهم في هذا التمني، لذلك يتمنون الموت من شدة هذا الندم ، قد تكون الأداة ليت مفرغة كليا فقط لبنية أسلوب التمني، لذلك تفرض بعض السياقات الخروج والانزياح عنها إلى أدوات غيرها عليه لابد من أن يتم توجيه دلالة هذه الأدوات نحو الغرض المقصود مثل الحرف هل، هو من حروف الاستفهام لكي تكون للتمني لابد من شحنها بدلالة قوية بحيث تستطيع هذه الأداة تحويل البنية

1- ينظر : أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م، ص : 130.
2- نوح : آية (28).
3- الانشقاق : آية (6).
4- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 265.
5- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص: 123.
6- الفجر : آية (24).
7- النبأ : آية (40).

الخارجية لتقتنص الدلالة المراد تحقيقها، وبالتالي تتخلص من وظيفتها الأصلية (الاستفهام)، لتندمج في أسلوب التمني، وتحدث دلالة أخرى وتعديلات في البنية السطحية، كذلك الأمر نفسه بالنسبة لبقية الأدوات الأخرى، هذا فيما يخص بنية التمني أما بالنسبة للبنيات الأخرى مثل بنية الأمر، وبنية الاستفهام فإن حركة التحول الدلالي تسير في اتجاهين متناقضين أما الأولى فإنها تسير من البنية العميقة إلى البنية السطحية، يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل :(أما بنية الأمر – فإنها بنية توليدية، لا تعرف الالتزام بأصل المعنى، وإنما تتجاوز كل الإمكانات من أجل حاصل إنتاجي، سجله أهل اللغة والبلاغة في مواضع بلغت أكثر من خمسة وعشرين موضعا وظيفيا [1]...) والعكس بالنسبة للاستفهام حركة التحول الدلالي تسير من البنية السطحية إلى البنية العميقة، فكل أداة من أدوات الاستفهام تحمل دلالة مركزية محورية تدور حولها مثل :

1- كم : نسأل بها عن العدد.

2- متى : للزمان .

3- أين : للمكان .

4- ما : الالتماس .

5- من : للجنس .

6- كيف : للحال .

7- أي : للتمييز بين الأشياء، نقول : أي معطف لبست ؟

8- أيان : للمستقبل .

9- تكون بمعنى كيف، وأين أما الهمزة تطرح من خلال البناء الصناعي للشكل الخارجي، بحيث أنها إذا دخلت على الفعل أفادت الشك في محيط دائرته [2]، نحو قولنا : أكسرت الزجاج ؟ أما دخولها على الاسم تفيد الشك حول محوره التركيبي نحو: أمحمد جلب الكتاب ؟ فيما يخص أسلوب النداء قد لا تظهر الأداة على مستوى البنية السطحية من ذلك قوله تعالى في قصة يوسف : ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾[3]، حيث تقدم البنية الأساس (الحدث + الزمان) بشكل مباشر أدعو، وقد تظهر مسجلة بعدا دلاليا يتناسب طردا، أو مع حركتها داخل محتوى السياق [4].

1- ينظر : عيد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 275.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 273 وما بعدها، بتصرف .

3- يوسف : آية (29).

4- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 276.

الفصل الثاني :

ثنائيتا المسند إليه والمسند

المبحث الأول : الحذف والذكر الإسنـادي

المبحث الثاني : التقديم والتأخير الإسنادي

المبحث الثالث : التعريف والتنكير الإسنادي

يتفق جل النحاة في أن العناصر الأساسية في الجملة هي المسند، والمسند إليه ؛ أي الفعل والفاعل في الجملة الفعلية والمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية وهذين الركنين يمثل أحدهما المحور الثابت وهو المسند إليه بينما المسند يمثل المحور المتغير في الجملة .

المسند إليه :(الفاعل / المبتدأ) : هو الذات التي تمثل الأقوى في الثبوت، وهو عمود التركيب الفقري[1]، أما الفاعل هو اسم صريح أو مؤول به، يسند إليه الفعل، أو مؤول به، أو مقدم عليه بالأصالة : واقعا منه، أو قائما به [2]، من بين المواضع التي يقع فيها : فاعل الفعل التام مثل قول الله تعالى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾[3]، أبي لهب تقرأ بفتح الهاء، وإسكانها [4]، المسند إليه هو يدا لأنه فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى للفعل الماضي تب، من مواضعه أيضا نائب الفاعل نحو قول الله تعالى : ﴿ **وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾ [5]، الواو للعطف، وجمع فعل ماض مبني للمجهول الشمس نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره ...و قد يكون المسند إليه أيضا فاعلا لشبه الفعل نحو قولنا : أجائح أنت ؟ (فاعل سد مسد الخبر)و أما المسند إليه في الجملة الاسمية وهو المبتدأ يعرفه النحاة بأنه اسم أو بمنزلته، مجرد من العوامل اللفظية أو بمنزلته، مخبر عنه أو وصف رافع لمكتفى به [6]، وله هو الآخر عدة مواضع هي : المبتدأ الذي له خبر مثل قول الله تعالى : ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى** ﴾[7]، وقد يكون ما أصله مبتدأ ؛ أي أسماء النواسخ كان وأخواتها، وإن وأخواتها نحو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾[8] .

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 277.

2- ينظر : جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ضبطه على المخطوط وصححه : يوسف الشيخ محمد البقاعي، وبهامش القطر كتاب بلوغ الغايات في إعراب الشواهد والآيات، تأليف : بركات يوسف هبود ، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان، د- ط، 1424هـ / 2003م، ص: 239و ما بعدها .

3- المسد : آية (1).

4- ينظر : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، يعرض لأهم وجوه القراءات ويعرب جميع آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د- ط، 1431هـ 1432هـ / 2010م، ج2، ص: 515.

5- القيامة : آية (9).

6- ينظر : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د- ت / د- ط ، ج1، ص: 165.

7- الضحى : آية (4).

8- البينة : آية (7).

المسند إليه هو اسم الموصول الذين وهو اسم إن وصلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وخبر إن جملة أولئك هم خير البرية، من مواضعه أيضا قد يأتي المفعول الأول للأفعال التي تنصب مفعولين يكون الأصل فيهما مبتدأ وخبر كظن وأخواتها نحو ظننت الأمر سهلا، وكذلك يأتي المفعول الثاني للأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل مثل الفعل أرى وأخواته .

المسند : (الفعل/ الخبر): هو المحكوم به أو المخبر به [1]، له عدة مواضع من بينها أنه يأتي فعل تام نحو : دخل القاضي ويأتي اسم فعل نحو هيهات وغيرها، ويأتي أيضا مبتدأ ليس له خبر نحو : أقائم أنت ؟ أقائم هو المسند إليه وهو مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره والضمير المنفصل أنت مسند يعرب فاعل مرفوع بضمة ظاهرة في آخره وبذلك سد مسد الخبر فاستغنى المبتدأ عن خبره، من مواضعه أيضا قد يأتي المسند خبرا لمبتدأ نحو السماء صافية، صافية مسند وهو خبر للمبتدأ السماء مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، كما يأتي خبرا للناسخ كان وأخواتها وإن وأخواتها، والمفعول الثاني للأفعال التي تنصب مفعولين مثل الفعل : وجد وظن، ويأتي المفعول الثالث للأفعال التي تنصب ثلاث مفاعيل كالفعل أرى وأخواتها ويأتي مصدرا ينوب عن فعل الأمر، ذكر النحاة أن ما زاد عن هذين العنصرين يسمى بالفضلة، قد يحدث في الجملة سواء كانت فعلية أو اسمية أو ظرفية تحولات بنائية ضمن مجموعة من السياقات مثل : الذكر والحذف، التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير الهدف منها تحقيق ثنائيتي الإقناع والإمتاع

المبحث الأول الحذف والذكر الإسنادي : يقول شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني معرفا الحذف : (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما يكون بيانا إذا لم تبن[2]، القصد من كلام الجرجاني حسن وجمال العبارة والإيجاز في الكلام والوضوح التام في المعاني حتى ينتعش ذهن المتلقي ليتمكن من إثبات ذاته في عملية الإيصال بينه وبين المنشئ

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص : 279.

2- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 120.

والحذف من جهة النحويين لا يعنون بأي نوع من أنواع الحذف إلا ما اقتضته صناعة الإعراب بحيث يكون المذكور من أجزاء الكلام يستدعي المحذوف ويحتاج إليه [1]، أما من جهة البلاغيين تناولوه ضمن مباحث هذا الباب في السياقات التي يرد فيها، من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف، ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يسقط أحدها اعتمادا على دلالة القرائن المقالية أو الحالية [2]، ولهذا نجد الحذف يدور حول ثلاث محاور رئيسية هي :

حذف أحد أطراف التركيب فقط .

حذف التركيب ككل .

حذف أكثر من تركيب واحد .

هناك نوع آخر من الحذف يسمى حذف بعض عناصر الوحدة اللغوية في مصطلح النحويين يدعى الترخيم أما الأسلوبيين درسوا هذا النوع، واستخلصوا وظائفه بناءا على الانتقال من البنية الأساس، إلى البنية المولدة العميقة ضمن التركيب مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾ [3]، الياء محذوفة في الفعل يسري مع أنه لم يسبق بحرف جزم من الناحية النحوية، وهذا ما يسمى بالعدول أو الانزياح لأن الليل في الواقع لا يسري، حذفت الياء من غير علة إشارة إلى عدم سريانه، وقال تعالى : ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [4]، حذفت الياء هنا في الفعل صلي أيضا غير المسبوق بأداة جزم وهو التفات من التكلم إلى الغيبة [5]، حدث عدول في البنية الأساس لان لفظ لربك متعلق بالفعل صل، ونتيجة لذا التقريب والتعلق بين الرب والصلاة حذفت الياء من غير علة ، كما تجدر الإشارة أيضا إلى عدول آخر في الآية الكريمة، تم فيه حذف لنا لأن الأساس في البنية : فصل لنا لكنه انزاح عن ذلك لأن في لفظ الرب حثا على فعل المأمور به ومن يربيك يستحق العبادة [6] .

1- ينظر : إبراهيم عبد الله رفيدة، الحذف في الأساليب العربية، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، د- ت، ص: 21.
2- ينظر : محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر / لونجمان، ط1 : 1994، ص: 313.
3- الفجر : آية (4).
4- الكوثر : آية (2).
5- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج30، ص: 429.
6- ينظر : المصدر نفسه، م8، ج30، ص: 429 بتصرف .

والكثير من الآيات حدث فيها عدول، بحيث يرجع الأسلوبيون الأسباب إلى أمور كثيرة أهمها أن العدول ربما يكون للهول، والقلق، المناسبة الإيقاعية، صيانة الشرف، والعرض ...

المطلب الأول : سياقات حذف المسند إليه (المبتدأ) : يحقق أسلوب الحذف سمة بارزة في اللغة العربية تسمى الإيجاز أو الاختصار[1]، ولذلك يعد من العناصر التحويلية التي تسجل في البنية غرضا ما، يرى الحموي أن الحذف يختلف بين أهل البديع، وأهل علم المعاني، وهو : أن يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف الهجاء ، أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف، والتعسف [2]، حدد البلاغيون سياقات الحذف في وجهين الأولى : القرائن الدالة على وجود العنصر المحذوف والثانية السياق الذي يترجح فيه الحذف على الذكر ومن بين سياقات الحذف إذا كان المسند إليه مبتدأ .

الاحتراز عن العبث : يكون الحذف بكثرة عادة في جواب الاستفهام كقول الله تعالى : **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ﴾** [3]، حذف المبتدأ لأن أصل الكلام : هي نار حامية، ونار خبر مرفوع لمبتدأ محذوف – هو الضمير المنفصل هي – احترازا عن العبث فنار الآخرة شديدة الحرارة على نار الدنيا بسبعين مرة كما ذكر .

من الأمثلة أيضا قوله تعالى : **﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾**[4]، حذف المسند إليه – المبتدأ – الذي جاء عبارة عن ضمير منفصل ؛ هي لأن تقدير الكلام هو : هي نار الله الموقدة ، والحذف هنا لنفس السبب كما ورد في الكثير من المواضع في النص القرآني، قد يحذف المسند إليه أيضا بعد الفاء المقترنة بالجمل الاسمية الواقعة جوابا للشرط، وبعد القول وقد يكثر الحذف أثناء القطع والاستئناف خصوصا في الأبيات الشعرية بمعنى أن المنشئ يبدأ يسير في الكلام عن موضوع ما، ثم يقطعه بحديثه عن شيء أخر .

1- ينظر : رابح بومعزة، دراسات نحوية الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص : 41.

2- ينظر : ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق : عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال بيروت لبنان، ط2، 1991، ج1، ص: 439.

3- القارعة : آية (11/10).

4- الهمزة : آية (6).

ضيق المقام عن إطالة الكلام: يرد هذا النوع من السياق في الأمور التي يكثر فيها الحديث عن الحروب، والكوارث بأنواعها وكذلك حتى في المواقف الحرجة، وفي حالات أخرى كالمرض ؛ فبحكم المرض لا يستطيع المريض أن يتكلم مطولا فيجب عليه الإيجاز والاختصار، وفي الأمور التي تنبئ عن وجود خطر إذ الهدف من ذلك الخوف من فوات الفرصة، ومن الأمثلة الواردة في هذا الصدد: غريق فالمقصود هذا غريق حذف المسند إليه وهو المبتدأ المتمثل في اسم الإشارة هذا ...

تسير الإنكار عند الحاجة: من الطبيعي جدا أن يضطر المنشئ في بعض الأحيان إلى إنكار بعض الأمور، من ذلك أنني : قد أفضي بسر لصديقة أثق بها عن أحد ما يهوى مهنة السرقة فأقول : سرق المتاع إذ القصد هو أو خالد سرق المتاع أو بالاسم فلان سرق المتاع وكلينا يعرف من هو وتحسبا لعدم فضحه أمام الناس أنكرت اسمه، في النص القرآني وردت أمثلة من هذا النوع من حيث البنية السطحية أي فعل +مفعول به لكنها لا تفسر من باب الإنكار، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا** ﴾[1] أي هو أغطش ليلها، وهو أخرج ضحاها وما من مخلوق يستطيع أن ينكر أن الله هو الذي أظلم الليل، وهو الذي أنارها وأضاءها بالشمس .

إتباع الاستعمال العام الوارد عن العرب: شاعت بعض الأقوال عن العرب كانت تتداولها فيما بينها، لإنشاء معاني مقصودة، إما للمدح أو للذم كأن تقول مثلا : رمية من غير رام [2]، حيث حذف المسند إليه وهو الضمير المنفصل هي لأن القصد هنا، هي رمية من غير رامٍ وتقول أيضا في المدح : نعم الرفيق خالد في هذا الموضع أيضا تم حذف المسند إليه هو فالمقصود : نعم الرفيق هو خالد كذلك في التعويذة شاع عن العرب قولهم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم – بضم الميم في الرجيم – لإنشاء الذم، (النعت المقطوع) فالمقصود هو الرجيم، وتقول أيضا : الحمد لله أهل الحمد – بضم اللام في أهل – قصد إنشاء المدح، والكلام تقديره الحمد لله هو أهل الحمد وغيرها من الأقوال ...و يتم أيضا حذف المسند إليه إذا كان مبتدأ قصد تكثير الفائدة، وعلى العموم، في النص القرآني الذي بين أيدينا لم يكن حظ حذف المسند إليه – المبتدأ– وافرا بقدر ما هو موجود بكثرة في الأجراء الأخرى من القرآن الكريم .

1- النازعات : آية (29).

2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 286.

المطلب الثاني : سياقات حذف المسند إليه (الفاعل) :

تختلف المواضع التي يتم فيها حذف المسند إليه إذا كان فاعلا عن المواضع التي يتم فيها حذف المسند إليه إذا كان مبتدأ، وكثيرة هي الأغراض التي تفرض على المتكلم حذف الفاعل سواء كانت هذه الأغراض لفظية أو معنوية من بين مواضع حذف الفاعل :

كون الفاعل معلوما :

كون الفاعل معلوم، لا يحتاج المنشئ إلى ذكره للمتلقي نحو قول الله تعالى : ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ...** ﴾ [1]، يدرك المتلقي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي قام بفعل الجمع واللف بالنسبة للشمس ، والتغيير والسقوط بالنسبة للنجوم، وتحويل وتسيير الجبال عن أماكنها، وهو الذي قام بفعل التعطيل عن نفائس الأموال، وهو الذي جمع الوحوش يوم القيامة، وهو الذي أوقد البحار نارا ..لأن تقدير الكلام وإذا كور الله الشمس، وإذا كدر الله النجوم، وإذا سير الله الجبال، وإذا عطل الله العشار، وإذا حشر الله الوحوش، وإذا سجر الله البحار.

وكذلك في قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ** ﴾[2]، المتلقي يدرك أيضا في هذا الموضع أن الله هو الذي وحد البحار ككل في بحر واحد، وهو الذي أخرج الموتى من القبور ... وعليه تقدير الكلام إذا فجر الله البحار، وإذا بعثر الله القبور ورد هذا النوع بكثرة في النص القرآني وفي العديد من السور القرآنية، لأن القارئ للنص القرآني والدارس له، حتى وإن لم يذكر الفاعل يدرك تمام الإدراك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي قام بهذه الأفعال لأنها أفعال خارجة عن مقدور أي فاعل آخر .

1- التكوير: آية (6/5/4/3/2/1).

2- الانفطار : آية (4/3).

كون الفاعل مجـهولا :

كون الفاعل في هذا الموضع مجهولا للمخاطب، أو المتلقي بحيث لا يحدد المنشئ فاعلا ما للمتلقي فلا يعرف كلا منهما ؛ أي المنشئ، والمتلقي الذات الفاعلة كأن نقول مثلا : سرق متاعي [1]، ليس في الأمر وضوحا إذا قلنا : سرق السارق متاعي بل يبقى فيه نوع من الإبهام، ذلك أن الفاعل يبقى مجهول حتى لو أضفنا ألفاظا أخرى قصد إزالة الغموض وهذا ما يسمى بعدم الفائدة من ذكره .

الرغبة في تعظيم الفاعل :

يحذف الفاعل لشأنه ومكانته بأن لا يجري اسمه على لسان الناس أو أن لا يقترن اسمه بالمفعول به إذا كان لا يليق به أو بأي عنصر آخر.

قال تعالى : ﴿، **وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**﴾[2] . الفعل ألقي ذكر مرتين من دون فاعل، وقد يكون الفاعل هم خزنتها، والغرض هو تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه أو تنزيها لهؤلاء (الطارحين) عن ذكرهم في هذا السياق سياق ما تحدثه جهنم من صوت قوي، وما هي عليه من غيظ وغضب، وقال تعالى في موضع آخر : ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا**﴾[3]، تنزيه لذكر اسمه سبحانه وتعالى مع هذه الصفات التي لا تتصل بشكر الخير والصبر على المكروه .

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 287.

2- الملك، آية (8/7/6).

3- المعارج، آية (19) .

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾ [1]، في قوله تعالى تم حذف اسم الجلالة – الله – تعظيما لمكانته تعالى، وتحسبا لذلك نرى أنه من غير اللائق ذكر اسم الله تعالى بل لا يجب أن يقترن اسم منزل التنزيل بالماء المقصود به مني الرجل الذي يخرج من صلبه ويستدعي الغسل كونه نجاسة .

يقول السعدي في تفسيره : (وهو المني الذي يحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي ثدياها، ويحتمل أن المراد : المني الدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبه، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق، والذي يحس (به) ويشاهد دفقه هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب فإنها تستعمل في الرجل فلو أريدت الأنثى لقال : (من بين الصلب والثديين) ونحو ذلك) [2]...

الرغبة في تحقير الفاعل : هذه المرة يصون المتكلم ويحفظ لسانه من أن يذكر اسم الفاعل تحقيرا له كأن نقول في شخص يرضى لنفسه السب والشتم ولا يبالي بذلك : يسب ويشتم ولا يغضب، وقد يكون الحذف لأغراض أخرى كالخوف من الفاعل، أو خوفا عليه من الناس ؛ فلا يذكره كأن نقول مثلا : ضرب فلان لا نقول : ضرب فلان فلانا بتعيين الاسم إما خوفا من الذي قام بفعل الضرب، أو خشية عليه من الناس إذا تعرفوا عليه فإنه سيعاقب لا محالة.

كما قد يكون سبب الحذف رغبة من المتكلم في الإبهام، كما قد يكون سبب الحذف لعدم تحقق غرض معين في التركيب بذكر الفاعل والكثير من الدواعي المعنوية، وقد يحذف لأغراض لفظية يكون القصد منها الإيجاز في العبارة نحو قوله تعالى : ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [3]، تتكون هذه الجملة في الظاهر من الفعل زار والمفعول به المقابر، وتم حذف الفاعل قصد الإيجاز والاختصار لأن تقدير الكلام هو : حتى زرتم أنتم المقابر لتكون البنية الظاهرة متكونة من (فعل + فاعل + مفعولا به) كما قد يكون الحذف بغية الحفاظ على الوزن في التركيب يكون عادة في الشعر .

1- الطارق : آية (6/5).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 879.

3- التكاثر : آية (2) .

المطلب الثالث : سياقات حذف المسند (الخبر / الفعل): أما عن المسند : الخبر / الفعل كما توجد أسباب ودواعي لحذف المسند إليه (المبتدأ / والفاعل) توجد أسباب أيضا لحذف الخبر والفعل لكن قبل أن نذكر هذه الأسباب نشير إلى نقطة مفادها أن حذف الخبر والفعل لم يشغل حيزا كبيرا في النص القرآني الذي بين أدينا ؛ أي الجزأين الأخيرين بقدر ما شغل في بقية الأجزاء الأخرى ومن أهم الأسباب والدواعي التي تؤدي إلى حذفهما

الاحتراز من العبث : ورد الحذف في قوله تعالى : **﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾** [1]، في هذه الآية الكريمة تم حذف المسند (الفعل) – الذي يسند من المفروض للضمير المنفصل أنتم لأن أنتم تعرب فاعل مرفوع لفعل محذوف – بدليل أن الأداة لو تدخل إلا على الأفعال، وقال ابن عاشور : (إذا أوقعوا الاسم بعدها (لو) في الكلام وأخروا الفعل عنه فإنما يفعلون ذلك لقصد بليغ إما لقصد التقوى والتأكيد، وإما للانتقال من التقوى للاختصاص[2]) .

إتباع الاستعمال الوارد عن العرب : الشائع خاصة بعد إذا الفجائية نحو قولنا : دخلت البيت فإذا الضيف، وتقدير الكلام دخلت البيت فإذا الضيف حضر، بعد جواب الاستفهام : كأن نقول : ماذا في يدك ؟ فالجواب يكون هدية ، فهدية مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره والخبر محذوف والسبب الابتعاد عن العبث، والقصد أيضا إلى الإيجاز لأن أصل الكلام : في يدي هدية .

وقوع المسند في جواب سؤال محقق أو مقدر : مثاله ما ورد في قول الله تعالى : **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾**[3] تم حذف المسند (الفعل)، ذلك أن التقدير: ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن الله، يقول الدكتور بكري شيخ أمين : (و السؤال ورد صراحة في قوله تعالى : **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾**) [4].

1- الإسراء : آية (100).

2- ينظر : محمد ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د–ط، 1985م، ج6، ص : 22

3- لقمان : آية (25).

4- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 152.

هناك أغراض أخرى للحذف مثل ضيق المقام مرده قد يكون بسبب توجع أو بسبب المحافظة على الوزن خصوصا في الشعر بالإضافة إلى الحذف الذي يكون سببه صون اللسان عن ذكر المسند أو صون ذكره عن اللسان وكلها أغراض يشترك فيها المسند إليه مع المسند .

المطلب الرابع : سياقات ذكر المسند إليه (المبتدأ / الفاعل): الأساس في الجملة كما أسلفنا الذكر، أن يكون المسند إليه حاضرا، ولا يمكن العدول والانزياح عن سياق الكلام لكن علماء البلاغة العربية سجلوا الدواعي التي تفرض على المتكلم ذكر المسند إليه خاصة إذا كان مبتدأ : **زيادة التقرير والإيضاح :** يكون عادة بتكرار المسند إليه – المبتدأ – كأن نقول مثلا : المهم أن تدرس، المهم أن تثابر، المهم أن تنجح لكي نزيد من وضوح الفكرة أكثر كررنا المسند إليه المتمثل في لفظ المهم ثلاث مرات، لأن المهم : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره وأن أداة نصب وتدرس فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، وفاعله ضميرا مستترا تقديره الضمير المنفصل أنت والجملة الفعلية في محل رفع خبر متعلق بالمبتدأ المهم ويقاس على هذا الإعراب في الجملتين الباقيتين .

ومن أمثلة النص القرآني قول الله تعالى : **﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾** [1]، نلاحظ تكرار المسند إليه – المبتدأ – وهو الضمير المنفصل هم، ففي الآية الأولى هم ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ وعن صلاتهم جار ومجرور والجملة الفعلية ساهون المتكونة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر للمبتدأ هم، في الآية الثانية ورد المبتدأ ضميرا منفصلا مكررا – هم – والخبر المتعلق به جاء أيضا جملة فعلية متكونة من الفعل والفاعل هذا التكرار في الآيات الكريمة كان بغرض الوضوح والتقرير والتأكيد، وقال تعالى في موضع آخر : **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾**[2]، للزيادة من قوة

1 – الماعون : آية (7/6/5).

2– القلم : آية (7).

التقرير، وقوة الوضوح أكثر تم تكرار مزدوج هذه المرة للمسند إليه – المبتدأ – والمسند – الخبر – لأن المبتدأ ورد مرتين فجاء ضميرا منفصلا مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ – هو – والخبر المتعلق به هو– أعلم – ورد هو الآخر مرتين لنفس السبب، والأمثلة التي وردت في القرآن الكريم كانت كثيرة جدا .

قلة الثقة بالقرينة : أو ما يسمى بضعف التعويل والاعتماد على القرينة في هذا الغرض يجب أن يكون ذكر المسند إليه من باب الاحتياط فقط، لأن فهم السامع من اللفظ أقرب من فهمه من القرينة، إما لخفائها أو لعدم الوثوق بنباهة السامع [1]، مثلا : إذا نقل أحدنا خبرا لصديقه، وسئل هذا الصديق من طرف آخر ماذا قال لك فلان ؟ قد يجيب الصديق ويحذف المسند إليه فيقول : قال لي : كذا، وقد يجيب ولا يحذف المسند إليه فيقول : فلان قال لي: كذا وكذا .

إن ذكر المسند إليه في هذا المقام، يقول عبد العزيز عتيق أبلغ لضعف التعويل على قرينة السؤال في حالة الحذف، لأن بعض السامعين مثلا يجوز عليه الغفلة عن السماع للقرينة، كما يجوز عليه عدم التنبه للفهم منها، ولو كان الفهم منها واضحا في نفسه [2] من الأمثلة الواردة في النص القرآني : قوله تعالى : **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾** [3] المسند إليه مذكور هنا وهو ويل وشبه الجملة المتعلق بالجار والمجرور والمضاف إليه لكل همزة في محل رفع خبر للمبتدأ ويل لو حذفنا المبتدأ – ويل – وقلنا لكل همزة لمزة فقط لدخل الإبهام على النص والمتلقي لا يستطيع فهم أي شيء والسبب قلة الثقة بالقرينة وقال تعالى : **﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** [4] في الآية الكريمة تم ذكر المسند إليه، هو ليلة القدر، بينما الخبر هو خير والجار والمجرور والمضاف إليه متعلق بالخبر لو حذفنا المبتدأ واكتفينا بذكر الخبر وما يتعلق به فقط – خير من ألف شهر لدخل الإبهام أيضا في هذا المقام وعسر على المتلقي فهم معنى الآية .

قال جلا وعلا : **﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** [5]، بنية الجملة هي (خبر + مبتدأ +

1- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص: 144.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 145.

3- الهمزة : آية (1).

4- القدر : آية (3).

5- القدر : آية (5).

جار ومجرور متعلق بالخبر) وعليه سلام هي خبر مقدم مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره وهي ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، حتى حرف غاية وجر مطلع اسم مجرور بحتى وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره وهو مضاف والفجر مضاف إليه مجرور مثله وشبه الجملة متعلق بالخبر المقدم سلام، لو حذفنا المبتدأ المتمثل في الضمير المنفصل الذي يحيل إلى ليله القدر وقلنا : سلام حتى مطلع الفجر تصبح الآية غامضة لا مجال للوضوح فيها والمتلقي لا يستطيع أن يفهم المقصود الصحيح للآية الكريمة .

من السياقات التي ورد فيها الذكر أيضا قوله تعالى : ﴿**النَّجْمُ الثَّاقِبُ** ﴾[1] فالبنية السطحية للجملة تتكون من مسند إليه + مسند لكن عدم ذكر المبتدأ يدخل الإبهام على الجملة .

التحقير والتعظيم :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ [2]، ذكر المسند إليه هنا لتعظيم المولى جلا ثناؤه، وقال أيضا : ﴿**وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾[3]، تتكون بنية هذه الآية من الناسخ إن والمسند إليه المتمثل في اسم إن وهو الإنسان ومن المسند وهو لفي خسر الذكر هنا يفيد التحقير بحيث أقسم المولى تعالى بالعصر الذي يقصد به الليل والنهار ليؤكد أن حالة الإنسان في خسارة ضد الربح .

جاء في تفسير السعدي : (قد يكون خسارا مطلقا كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا الذي اتصف بصفات أربعة هي أن يؤمن بما أمره الله به، وأن يعمل صالحا، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر[4]).

1- الطارق : آية (3).

2- الإخلاص : آية (2).

3- العصر : آية (2/1).

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص: 893.

التـــهويل : قال الله تعالى : ﴿ **نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ [1] ذكر المسند إليه – المبتدأ – للتهويل والتخويف لأن النار شديدة الحرارة بكم مرة على نار الدنيا .

الرغبة في طول الكلام :

كالحوار الذي جرى بين الله ونبيه موسى عليه السلام، قال تعالى : ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى، قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى** ﴾[2] .

ما نلاحظه في الآيات الكريمة أنها تمتاز بإطالة الكلام خاصة القول الذي صدر من النبي موسى عليه السلام لأنه في حضرة المولى سبحانه وتعالى، ثم كانت العصا آية بعد أن تحولت من قانونها الطبيعي إلى القانون الإلهي [3]، سياقات أخرى ذكر فيها المسند إليه لأغراض مختلفة نذكر منها من باب التوضيح فقط :

التركيب	نوع المسند إليه	الغرض والداعي من ذكره
قال تعالى : ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ [4]	جاء فاعلا ،الملائكة والروح، واسم للناسخ كان هو ،مقداره ،	التخويف من يوم الوعيد

1- القارعة : آية (11).

2- طه : آية (21/17).

3 - ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 288.

4- المعارج : آية (4).

قال تعالى : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [1]	اسم الحرف الناسخ إن هو ، عذاب ،	التأكيد
قال تعالى :﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [2]	جاء فاعلا ، نوح ،	التلذذ بذكر اسم النبي نوح عليه السلام لأن لفظ نوح ورد أكثر من مرة في السورة ككل
قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [3]	اسما للفعل الناقص كان ، رجال ،	تحقير للعبد الذي كان يعبد الجن هذا الأخير الذي ازداد تكبرا
قال تعالى : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [4]	جاء مبتدأ ،رب المشرق،	تعظيم اسم المولى جلا ثناؤه
قال تعالى : ﴿... يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [5]	جاء فاعلا لفظ الجلالة ،الله ،	تعظيم لفظ الجلالة الله
قال تعالى : ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾[6]	جاء فاعلا ،الإنسان ،	التحقير لأن الإنسان تعمد الكذب والفجور

1- المعارج : آية (28).
2- نوح : آية (21).
3- الجن : آية (6).
4- المزمل : (9).
5- المدثر : (31).
6- القيامة : آية (5).

المطلب الخامس : سياقات ذكر المسند (الخبر / الفعل) :

إن الأصل في المسند أن يكون حاضرا داخل بنية النص لأنه يعتبر من العناصر العمدة التي لا يمكن الاستغناء، عنها إلا لأغراض محددة عند البلاغيين سواء كان خبرا أو فعلا هو الآخر وقد سجل له أهل البلاغة العربية أغراضا لذكره من بينها:

ضعف الاعتماد على القرينة : كأن نقول مثلا : البنون عمود الحياة السامع أو المتلقي ربما لا يستطيع أن يفهم صفة البنون لو لم نذكرها له – عمود الحياة – لأنه ربما يفهم أن البنون شقاء في الدنيا أو يفهم أنهم سعادة أو أنهم أحسن من المال أو أنهم أحسن من الصحة والعقل معا كل حسب فهمه، لاختلاف هذه التفاسير ذكر المسند.

زيادة التقرير والإيضاح : قد يسأل القاضي أحد ما في المحكمة من فعل تلك الجريمة الشنعاء يجيبه زيد هو الذي فعل تلك الجريمة الشنعاء[1]، كل ذلك لإبعاد الغموض واللبس .

الرد على المخاطب : ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** [2] فالجواب عن السؤال كان ردا عن المخاطب ويتضمن نوعا من التأكيد .

المسند (الفعل): يدل الفعل على أزمنة ثلاثة هي الماضي والمضارع والأمر فالفعل يفيد التجدد والاستمرار والحدوث مثال ذلك قوله تعالى : **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾**[3]، خلق الإنسان تم في زمن مضى ثم بعد خلقه رده الله أسفل سافلين والفعل رد أيضا تم في زمن مضى إلا أنه يدل على التجديد، لانتقال الفكرة من الخلق إلى الرد ثم تم استثناء فئة من الناس الذين آمنوا وعملوا الفعل الحسن .

1- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ص : 153.
2- يس : آية (79/78).
3- التين : آية (6/5/4).

وقال الله تعالى : ﴿**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ، كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا، كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا**﴾ [1]، الأفعال : ابتلى، قدر، يقول، أهانن، تكرمون، تحضون، تأكلون، تحبون دكت أضفت حركة زمنية رائعة جدا على الآيات الكريمة فأفادت التجدد والحدوث مرة بعد الأخرى بين زمني الماضي والمضارع .

وقال جلا ثناؤه : ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ،عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ، تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ**﴾[2] أفادت الأفعال الآتية : أتاك، تصلى، تسقى، يسمن، يغني التجدد والاستمرار لأنها مقيدة بزمن فالفعل تصلى فيه تجدد معنى الجزاء والمصير، والفعل يسمن فيه تجدد السمن من الهزال، والفعل يغني فيه تجدد لعمل سد الجوع . وقال الله تعالى : ﴿ **إِ ذَا السَّمَاء انشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ...** ﴾[3] أفادت كل الأفعال الواردة في الآيات الكريمة معنى التجدد والاستمرار والزمن لأنها مقيدة بهذا الأخير، فالفعل انشق فيه حدوث لعمل الانفطار والانتثار والخسف بالنسبة للشمس والقمر، والفعل أذن فيه حدوث لعمل الإستماع والإصغاء والفعل مد فيه حدوث لعمل الاتساع والامتداد، وكذلك بالنسبة لبقية الأفعال الأخرى مثل : ألقت، وتخلت، وأذنت وحقت ...الخ . لنقرأ الشاهد القرآني قال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ...**﴾[4]، إن الأفعال التي وردت في الآيات الكريمة أفادت هي الأخرى معنى التجدد، والاستمرار، والحدوث كونها مرتبطة بزمن يختلف من فعل إلى آخر بين المضارع والماضي . وقال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[5]، الفعل يلد، والفعل يولد دلت هذه الأفعال على زمن المضارع الأول في الحاضر والثاني في المستقبل وقد بينت الأفعال تجدد حدوث

1- الفجر: آية (21/16).
2- الغاشية : آية (7/1).
3- الانشقاق : آية (5/1).
4- المطففين : آية (3/1).
5- الإخلاص .

فعل – يلد – بالنفي لله تعالى لأنها تعبر عن كمال المولى في كل الأمور استحوذ المسند – الفعل – حيزا كبيرا على مساحة النص القرآني كونه ليس اسما مقترنا بالثبوت والاستقرار فهو كما أسلفنا الذكر مقيد بزمن يختلف بين الماضي والحاضر والمستقبل مما يجعله يكسب النص حركة ممتازة في بنيتة الداخلية .

المسند (الاسم): يدل على الاستقرار والثبوت ويخلو تماما من الزمن فإذا قلنا مثلا : البيت جميل فإننا نقصد من وراء هذا الكلام أن صفة هذا البيت هي الجمال وهذه الصفة طبعا غير مسموح لها بالتغيير لا في فصول الأربعة ولا حتى بين الحين والآخر ولتوضيح ذلك أكثر نقرأ الشواهد القرآنية الآتية : 1 – قال تعالى : **﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ،أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾** [1]، 2 – وقال تعالى : **﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾** [2]، 3 – وقال تعالى : **﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾**.[3]

4 – وقال تعالى : **﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾** [4]، 5 – وقال أيضا : **﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾**[5].

من خلال الشواهد نلاحظ أن الأسماء الآتية : قلوب ، أبصارها، الله، ويل ، صلاتهم، نار كتب، كلها أسماء تدل على الاستقرار والثبوت لأنها غير مقيدة بزمن ما، ففي الشاهد الأول : القصد من كلام الله تعالى أن صفة القلوب هي واجفة هذه الصفة ليست متغيرة لا بين الفترات الصباحية، ولا في المساء، ولا بين الساعة وأختها بل هي صفة مستقرة لا مجال للتغيير فيها، كذلك نفس الشيء بالنسبة لصفة الصمود الخاصة بالله جلا ثناؤه هذه الصفة هي الأخرى ثابتة غير متحولة تدل على الاستقرار لا على الاستمرار المرتبط بزمن ما، وصفة الويل الخاصة بالمصلين الذين يسهون عن الصلاة، وصفة النار وغيرها من الصفات التي تبين قيمة المسند الاسمي (الخبر) يقول الدكتور عبد العزيز عتيق : إفادة أن المسند فعل أو اسم : فإن كان فعلا فهو يدل بأصل وضعه على التجدد والحدوث مقيدا بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار . وإن كان اسما فهو يفيد بأصل وضعه كذلك الثبوت من غير دلالة على الزمان [6].

1- النازعات : آية (9/8).
2- الإخلاص : آية (2).
3- الماعون : آية (5/4).
4- الهمزة : آية (6).
5- البينة : آية (3).
6- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص : 148.

المبحث الثاني: سياقات التقديم والتأخير الإسنادي : من المسلم به أن المسند إليه – المبتدأ- يكون في الأصل هو الأول أي يحتل الصدارة في بنية أي تركيب، أما إذا كان المسند إليه فاعلا فإن الضرورة تقتضي أن يكون عادة بعد الفعل ولكنه قد يتأخر في بعض المواضع لأغراض ودواعي ما مثله مثل المبتدأ، ولذلك سجل علماء البلاغة العربية سياقات التقديم والتأخير، وقد رصدوا أبعادها، وسجلوها معايير لازمة بين ثنائية (الفكر والمقام)، وفن الصياغة التركيبية، وجوهر الفرضيات الاحتمالية، تتوزع، أفقيا، ورأسيا على وفق تحولات سطحية، وعميقة متعددة [1]، تحدث شيخ البلاغة العربية الإمام عبد القاهر عن باب التقديم الذي يقع في شكلين وذكر بأن فوائده كثيرة، وأنه باب واسع التصرف :

تقديم على نية التأخير : وفيه لا يخرج المتقدم إلى ما كان عليه قبل القيام بتقديمه، ومن جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل[2] وهذا طبعا يشمل الجنس والحكم معا نقول مثلا : منطلق عمر، وضرب خالدا هشام .

تقديم لا على نية التأخير : يقوم هذا النوع من التقديم في الأساس على نقل الشيء من حكم إلى حكم، وبالتالي يكون له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن نأتي باسمين يحتمل أن يكون كل منهما مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتارة نقدم هذا على ذاك وأخرى نقدم ذاك على هذا[3] . مثال نأتي باسمين هما خالد والقائد مرة نقول : خالد القائد، ومرة نقول : القائد خالد، المتقدم هنا في المثالين هو المسند إليه أي المبتدأ بينما المتأخر هو المسند الخبر، لكن لو قلنا : ضربت خالدا – خالد ضربته، في المثال الأول خالدا هو المفعول به، وفي المثال الثاني خالد يكون هو المسند إليه (المبتدأ)، إن خاصية التقديم والتأخير يجب أن تعالج بشيء من الدقة كون تقديم عنصر عن عنصر لا يجب أن يكون اعتباطيا، تحتوي الدلالات على خمس أحوال في خاصية التقديم هي : تقدم العلة على المعلول .

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 291.

2- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 94.

3- ينظر : المصدر نفسه، ص : 94 .

كتقديم العلم على العالمية ... التقدم بالذات الواحد على الاثنين ... التقدم بالشرف مثل : العلماء على الجهلاء ، التقدم بالزمان[1]

المطلب الأول : سياقات تقديم المسند على المسند إليه : من بين سياقات التقديم – تقديم المسند على المسند إليه – التي سجلها علماء البلاغة العربية مايلي :

تخصيص المسند بالمسند إليه : مثال ذلك قوله تعالى : **﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾** [2]، المسند المقدم هو: (الجار والمجرور) لكم، والمسند إليه هو دينكم (مبتدأ مؤخر) لغرض التخصيص أي أنه قصر دينهم عليهم فالمعنى الحقيقي المنشود من الآية الكريمة ؛ إن لم تأخذوا بما عندي فلا داعي أن تدعونني إلى الشرك بالله تعالى، قال تعالى :**﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾** [3]، وقال أيضا : **﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾**[4]، في الآيات الكريمة تم تقديم المسند على المسند إليه من باب تخصيصه به ففي المثال الأول : ليس إيابهم ورجوعهم إلا إلينا، وفي الثاني ليس الملك إلا للمولى فقط ؛ أي ملك السموات والأرض إلا لله تعالى وحده .

مراعاة الحسن في نظم الكلام : لنقرأ الشواهد القرآنية الآتية : قال تعالى : **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**[5]**﴾** .

قال تعالى : **﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾**[6] .

و قال أيضا : **﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾** [7] .

و قال جلا ثناؤه : **﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾**[8].

1- ينظر : العلوي يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، أشرف على مراجعته وضبطه وتدقيقه : جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د- ط، د- ت ، ج2، ص : 56 وما بعدها .

2- الكافرون : آية (6).

3- الغاشية : آية (26/25).

4- التغابن : (1) .

5- القيامة : آية (23/22).

6- القيامة : آية (30/29).

7-القيامة : آية (12).

8- هود : آية (88).

ذكر مجموعة من علماء البلاغة العربية أن التقديم الذي ورد في الشواهد القرآنية السابقة الذكر جاء بغرض مراعاة الحسن في نظم الكلام في الشاهد الأول التقديم في : إلى ربها ناظرة جاء ليطابق رؤوس الآي[1]، **﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ [2]﴾**.

والتقديم في قوله تعالى : والتفت الساق بالساق ليطابق قوله تعالى : **﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾** [3].

و قد وقع اختلاف بين علماء البلاغة العربية في هذا التقديم من بينهم ابن الأثير الذي يرى أن التأخير إذا وقع فإنه حتما سيفسد نظم الكلام، وكذلك العلوي له نفس الرأي مع ابن الأثير هذا الأخير الذي أكد أن الآيات السالفة تفيد الاختصاص هي الأخرى الذي يفهم من معنى الكلام وبالمقابل هناك من يرفض هذا الرأي (رأي ابن الأثير والعلوي)، وقد يكون التقديم لأغراض أخرى مثل : التفاؤل بتقديم ما يبهج القلب وغيرها مثل :

التنبيه على أن المتقدم هو خبرا وليس نعتا : مثلما ورد في قوله تعالى : **﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** [4]، فحاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر[5] من هذا الباب يجب أن نقدم المسند على أساس أنه خبر وليس نعتا .

المطلب الثاني : سياقات تقديم المسند إليه على المسند : كما أسلفنا الذكر الأصل في المسند إليه الصدارة، وهذا التقديم له أسباب سجلها أهل البلاغة العربية من بينها :

التشويق إلى المتأخر : لنقرأ الأمثلة الآتية :

- المجتهد بجوارك .
- الإمام في دارك .
- السارق أمامك .

1- ينظر : محمد حسين أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص : 282.
2- القيامة : آية (20) وما بعدها .
3- القيامة : آية (26) وما بعدها .
4- البقرة : (36) .
5- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 293.

من خلال الأمثلة السابقة الذكر نلاحظ أن المسند إليه يحتل الصدارة في الكلام ؛ أي أنه أخذ موقعه المناسب في السياق بسبب التشويق إلى المتأخر الذي قد يكون القصد منه المسرة والفرح و، أو المساءة، في المثال الأول، والثاني التقديم كما هو واضح من السياق جاء لأجل التشويق المقصود من ورائه المسرة والمثال الثالث عكسهما .

يقول تعالى في كتابه المبين : **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾** [1]، وقوع المسند إليه في الصدارة قصد المساءة لأن الويل يحمل في طياته معنى التهديد والوعيد . وقال جلا ثناؤه : **﴿ الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ ﴾**[2]، وقال : **﴿ الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ ﴾**[3]، في هذه الأمثلة أخذ المسند إليه موقعه الحقيقي في السياق لنفس السبب . أما قوله تعالى : **﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ** [4] **﴾**، وقوله : **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾**[5]، احتل المسند إليه الصدارة في الكلام (الله، اسم إن ربك) بهدف التشويق إلى المتأخر .

تقوية الحكم وتقريره : يقول الله تعالى : **﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** [6] .

1- الهمزة : آية (1) .
2- القارعة : آية (2/1).
3- الحاقة : آية (2/1).
4- الإخلاص : آية (2) .
5- المزمل : آية (20).
6- المزمل : آية (20).

تحتوي هذه الآية الكريمة على تكرار رائع جدا أفاد على العموم تقوية الحكم مثل لفظ الجلالة الله جاء في بداية الكلام مسند إليه – مبتدأ – وكرره مستترا في الفعل يقدر، وعلم، فتاب، كما كرر الفعل علم مرتين، وقد كرر لفظ الجلالة الله خمس مرات اسما ظاهرا ناهيك عن تكراره مستترا في الأفعال لكنه في كل مرة يأخذ موقعا مغايرا في الإعراب هذا التكرار جاء ليفيد التقرير ويقوي الحكم، وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾[1]، تقدم المسند إليه وتكريره مستترا في الفعل أدى إلى التقوية والتقرير .

التلذذ بذكر المسند إليه : يذكر في الصدارة دائما ؛ أي في موقعه الأصلي تلذذا بذكره نحو قول منزل التنزيل : ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[2]، وقال : ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**﴾[3] في الشاهد القرآني الأول المسند إليه هو اسم الحرف الناسخ إن ربك ورد بعد الناسخ مباشرة ؛ في موقعه المناسب بهدف التلذذ بذكره على اللسان، في الشاهد الثاني المسند إليه هو الفاعل أوسطهم ورد هو الآخر في محله الأصلي لنفس الحجة .

لفظ مثل وغير : كأن نقول مثلا : غيرك لا يكذب، مثلك لا يسرق إذا وردت نحو هذه الألفاظ في بداية الكلام فإنها تأخذ محل المسند إليه وعليه تعرب مبتدأ .

سلب العموم أو عموم السلب : يكون بتقديم أداة العموم (كل، جميع) على النفي مثل : كل مستهتر لا ينجح، كل ظالم لا يفلح أي لا ينجح أحد من المستهترين، ولا يفلح أحد من الظلمة أما سلب العموم فتتقدم فيه أداة النفي على أداة العموم نحو : لم يكن كل ذلك، أي لم يقع المجموع ويحتمل ثبوت البعض[4] .

1- المعارج : آية (34).

2- القلم : آية (7).

3- القلم: آية (28) .

4- ينظر : أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د–ط، 2000م، ص : 124.

ثبوت الأمر وعدم زواله :

مثل : الله مولاي، تبقى هذه الصفة دائمة وثابتة ؛ أي أن الله هو دائما مولى العباد ككل من أمثلة النص القرآني، قوله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾[1]، وقال : ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ** ﴾[2]و قال أيضا : ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[3]، الواضح في هذه الآيات الكريمة أنها دلت على مجموعة من الصفات الثابتة والغير قابلة للتغيير من ذلك مثلا : في المثال الأول يبقى الله دائما هو الواحد الأحد والصمد كلها صفات لا تتغير لا اليوم، ولا غدا، ولا بعد سنوات ولا حتى طول الحياة، وقس على ذلك في المثالين الثاني والثالث لأن القرآن الكريم من صفاته أنه مجيد كونه كلام الله المنزل عن الخطأ، هي صفة دائمة له وحده على سائر الكتب السماوية الأخرى التي أصابها التغيير والتحريف مثل التوراة وغيرها، في المثال الثالث يبقى الله تعالى رب الناس أجمعين ولا رب سواه، وعليه صفة الربوبية دائمة وليست متغيرة .

المطلب الثالث : سياقات تقديم متعلقات الفعل :

متعلقات الفعل هي الحال، والنعت، المفاعيل : (المفعول به، والمفعول المطلق والمفعول لأجله والمفعول معه، والمفعول فيه ...الخ)، فالفعل يلابس هذه الأشياء وكثيرا ما يأتي وقد جر وراءه هذا الحشد الهائل وكله به بوجه من الوجوه . والفعل مسند حتما، فأحوال متعلقات الفعل هي أحوال متعلقات المسند إذا كان فعلا [4] .

قد يحدث وأن نجد في التركيب أن هذه المتعلقات تتقدم على الفعل لغرض ما، ولكن قبل ذلك لابد من الإشارة فقط إلى نقطة ذكرها علماء البلاغة مفادها أن المعنى يكبر وينمو داخل السياق .

1- الإخلاص : آية (2/1).

2- البروج : آية (21).

3- التكوير : آية (29).

4- ينظر : محمد حسين أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص : 287.

تربية الفائدة وتكثيرها :

لنقرأ الأمثلة الآتية :

أكلت .

أكلت تفاحة .

أكلت تفاحة مع خالد .

أكلت تفاحة مع خالد يوم السبت . في المثال الأول أفدنا فائدة الأكل، وفي المثال الثاني أفدنا فائدة أكل تفاحة، في المثال الثالث أفدنا فائدة أكل التفاحة مع خالد، وفي المثال الرابع أفدنا فائدة أكل التفاحة مع خالد يوم السبت، في كل مرة يتم توضيح نقطة بما يليها، وذلك بإضافة عنصر جديد يقيد الفعل في كل مرة، من بين الأغراض والدواعي التي سجلها علماء البلاغة العربية، والتي يتقدم فيها متعلقات الفعل عليه هي :

الاختصاص :

نحو قول الله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [1]، تقدم المفعول به عل المسند – الفعل – من باب الاختصاص ؛ أي أن العبادة تختص بالله وحده يقول السعدي في تفسيره :(أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول : نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك، وقدم العبادة عن الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده [2]...)

1- الفاتحة : آية (5).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص : 25.

التـــــبرك :

- الله ذكرت .
- قرآنا درست .
- بالإسلام آمنت
- بسنة محمد – صلى الله عليه وسلم – إلتزمت .

تقدم المفعول به (الله، قرآن،)، والجار والمجرور (بالإسلام، بسنة محمد صلى الله عليه وسلم) على المسند – الفعل – في الأمثلة السالفة الذكر لأجل فعل التبرك .

رعاية الفاصلة القرآنية وحسن النظم السجعي :

قال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴾[1]، وقال : ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا..** ﴾ [2]، وقال أيضا : ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى**﴾ [3]، تأخرت الأفعال : تقهر، تنهر، تلاها، جلاها، يغشاها، بناها، طحاها على متعلقاتها لأجل توحيد الفاصلة القرآنية التي تمنح حسن النظم للنص القرآني وقد ركز علماء البلاغة على دراسة متعلقات الفعل وأكدوا أنها تتقدم على الفعل لغرضين اثنين هما : الاختصاص، ومراعاة نظم الكلام وذاك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم وإذا أخر المقدم زال ذلك الحسن[4] .

تعظيم الأمر المقول : قال تعالى : ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ**﴾[5]، في كلامه تعالى تعظيم واضح في الأمر الذي قيل بالأفواه ليس بالقلوب التي تدرك الصدق من الكذب يقول الدكتور محمد حسين أبو موسى : (نلحظ أن مثل هذا الأسلوب يأتي في القرآن الكريم في مواقف التشديد والإنكار لتربية المعاني وتقريرها في النفوس [6]...).

1- الضحى : آية (10/9).

2- الشمس : آية (2) وما بعدها .

3- العلق : آية (7/6).

4- ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص : 156.

5- النور : آية (15).

6- ينظر : محمد حسين أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، ص : 288.

ما نلاحظه من خلال الأمثلة السالفة أن بنية التركيب في سياقات التقديم والتأخير تظهر في مستويين اثنين هما : المستوى الأول : يحدث فيه تحول في هيئة العناصر الصوتية والمستوى الثاني : يحدث التحول في تركيبة البنية العميقة .

إن هذا التحول الذي يحدث في المستويين الصوتي والتركيبي ناتج عن عمل المتلقي والمنشئ بالدرجة الأولى ولأنه كذلك، يجب أن يرقى إلى سلم ثنائيتي الإقناع والإمتاع، وعليه يمكن القول أن الشواهد القرآنية التي اعتمدناها في الدلالة على التقديم تارة، والتأخير تارة أخرى بينت أن العناصر التركيبية للجملة ما هو إلا عدولا وخروجا وانزياحا واضحا عن القواعد الأساسية التي سجلها علماء النحو. إنه عدول عن الرتب التي سجلها النحاة، وخروج عن اللغة في مسارها النفعي (العادي) إلى اللغة في ميدانها الإبداعي، حيث يقف المنشئ، والمتلقي وهما في حالة توازن مكثف لاستقبال النص بما يتوفر له من دلالات مركزة توجب المزية والفضيلة كما ذكر شيخ البلاغة العربية الإمام عبد القاهر الجرجاني [1] .

إن تحريك عناصر الجملة عن طريق ثنائيتي التقديم والتأخير يقودنا إلى الحديث عن مصطلح آخر، يسميه علماء اللغة بالثوابت والمتغيرات، فالعنصر الثابت ضد العنصر المتحول وهو الذي يأخذ مكانه الأصلي مثل المسند إليه – المبتدأ – الذي يجب أن يكون في صدارة التركيب والفاعل الذي يجب أن يكون بعد الفعل مباشرة، أما العنصر المتغير هو الذي يأخذ مكانا آخر غير مكانه الأصلي لغرض ما (التخصيص أو رعاية الفواصل وتوحيدها أو التبرك، أو من باب تقديم الأعجب فالأعجب) كمتعلقات الفعل – المفعول به، والمفعول لأجله والمفعول المطلق، والحال، والنعت، والجار والمجرور، والتمييز وغيرها – التي تتقدم على الفعل وهذا التحريك الذي يعتمده المنشئ في كلامه لا يكون نتيجة عبث إنما هو تحريك محكم بدقة وإتقان كبيرين لأن الهدف منه إيصال الدلالة العميقة إلى ذهن المتلقي الذي يعد عنصرا مهما في عملية التقديم والتأخير ويتوقف عليه تكامل المنتج الإبداعي ولابد من إثارته إيجابا، وتشويقا، وتعديلا في أواصره الفكرية، وإثرائه بالتنوعات المعرفية [2] .

1- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ، ص : 79 وما بعدها، تحدث الجرجاني بشكل مفصل عن التقديم والتأخير .

2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 295 بتصرف .

المبحث الثالث : سياقات التعريف والتنكير الإسنادي : كي يؤدي المسند إليه وظيفته الأسلوبية على أكمل وجه يجب أن يقع اسما معرفا في البنية التركيبية للكلام، لأنه كما أسلفنا الذكر العنصر الثابت في تركيب الجملة، لذلك تكون الفائدة في تعريفه أتم لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ومتى كان أقرب كان اضعف وبعده بحسب تخصيص المسند إليه بالمسند كلما ازداد تخصيصا ازداد الحكم بعدا وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا يقول الخطيب القزويني وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قولنا شيء ما موجود وفي قولنا فلان ابن فلان يحفظ الكتاب والتخصيص كما له بالتعريف [1] .

المطلب الأول : سياقات تعريف المسند إليه :

أولا : يكون التعريف إما من جهة الإضمار وذلك لكون المقام للتكلم أو الخطاب أو الغيبة ويعم الأولين قولي أو حاضر. نحو : **ونَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا ونَحْنُ الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا** .

و الثاني نحو قوله : **وأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي أُشْمُتْ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ**[2] .

و الثالث نحو قول أبي تمام : **هِيَ الضَّرْبَانُ فِي ا لمَفَاصِلِ خَالِيَاَ وشُعْبَةٌ بِرِسَّامِ ضَمَمْتُ إِلَى النَّحْرِ**[3].

يتضح من خلال هذه الأمثلة أن الإضمار هو الأصل في الدلالة على المتكلم، والمخاطب والغائب وفي كل الحالات (المفرد، والمثنى، والجمع)، بحيث تظهر حركته الأسلوبية في الكيفية التي تقع فيها عملية التوظيف داخل كيانات النصوص [4].

1- ينظر : أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح، اعتنى به وراجعه: عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت – لبنان، ط3، د- ت، ص: 28.

2- ينظر : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه شرح العالم العلامة الشيخ أحمد الدمنهوري المسمى حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون، عبد الرحمن الأخضري، دار إحياء الكتب العربية، د- ت ، د- ط، ص : 15.

3- أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه وكتب حواشيه : غريد الشيخ، وضع فهارسه : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1 : 1424هـ / 2003م، ج 4، ص : 1313.

4- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 296.

وأبين من ذلك قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[1]، وقال أيضا : ﴿**وَهُوَ يَخْشَى**﴾ [2]، وقال تعالى : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ، لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾[3]، والأمثلة كثيرة جدا خاصة ما دلت على قناة الغائب من بين الأمثلة التي تدل على قناة المخاطب قال تعالى : ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ**﴾ [4]، وقال تعالى أيضا : ﴿ **وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [5]، من أمثلة النص القرآني التي تجري في قناة المتكلم : ﴿ **وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ** ﴾[6].

من الشواهد القرآنية السالفة اتضح أن استعمال الضمائر سواء كانت ضمائر المتكلم أو الغائب أو المخاطب ورد ليمنع التكرار، فلو قلنا في المثال الأول : هو (الله) الذي جعل (الله) لكم الأرض ذلولا ...من رزقه (الله) وإليه (الله) النشور، لكان تكرارا مملا، لذلك تتمتع بنية النص القرآني بخاصية التخفيف كما يسميها ابن جني أي أن استعمال الضمير بأنواعه هو اختزال لكل الامتدادات الصوتية ومنع تكرارها .

ثانيا العـلمية :

معناه أن نأتي بالمسند إليه للربط بين المنشئ للكلام وبين المتلقي لدواعي كثيرة أهمها :

التعظيم : نحو قول الله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[7] .

1- الملك : آية (15).
2- عبس : آية (9).
3- التكوير : آية (28/27).
4- الغاشية : آية (21).
5- الكافرون : آية (5/4/3).
6- الكافرون : آية (4) .
7- الإخلاص : آية (1).

التحقير :

نحو قولنا : وقف اللص بين يدي القاضي . ومثاله من النص القرآني قول الله تعالى : **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا [1]﴾** .

الحيرة والتساؤل :

نحو قوله تعالى : **﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا [2]﴾** .

التبرك بذكر المسند إليه :

كأن نقول مثلا : الإسلام ديننا ، الله مولانا، محمد – صلى الله عليه وسلم – نبينا . فتبركا به ذكرنا المسند إليه : الإسلام، الله، محمد عليه الصلاة والسلام

التفاؤل والتشاؤم :

جاء في الكتاب المبين قول الله تعالى : **﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾**[3]، وقال تعالى أيضا : **﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى، وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾** [4] ، وفي موضع آخر قال تعالى : **﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾**[5]، وقال أيضا جل ثناؤه : **﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾** [6]، وقال : **﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾**[7] المسند إليه ورد في هذه الأمثلة ليدل مرة على التشاؤم مثل : الأشقى، أصحاب الأخدود، ومرة على التفاؤل بذكره مثل لفظ : الأتقى، الله، الملك، الملائكة، الروح .

1- الشمس : آية (11).
2- الزلزلة : آية (3).
3- المطففين : آية (7).
4- الليل : آية (17/16/15).
5- الفجر : آية (22).
6- القدر : آية (4).
7- البروج : آية (4) .

ثالثا تعريف المسند إليه بالإشارة :

المقصود به أن نأتي بالمسند إليه على اختلاف أنواعه – المذكورة في صفحات سابقة من البحث – على هيئة إشارية عن طريق استخدام أدوات الإشارة (هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء، اللائي أولئك ...) لأغراض عديدة وردت في النص القرآني نقرأ منها :

قوله تعالى : ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ**﴾ [1] .

وفي السورة نفسها يقول الله:﴿**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**﴾ [2].

وقال أيضا : ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [3] .

وفي موضع آخر من السورة نفسها يقول : ﴿**أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ** ﴾[4] .

وقال أيضا : ﴿**خاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** ﴾[5].

في المثال الأول دل اسم الإشارة على التمييز لأن اسم الإشارة يحمل دلالة تحدد المراد والمقصود منه كذلك نفس الأمر بالنسبة للمثال الثاني التمييز باسم الإشارة ورد من أجل تقرير الحكم لله وحده تعالى، أما المثال الثالث والرابع ورد اسم الإشارة ليدل على تنبيه المخاطب بجهله ذلك أن اسم الإشارة

---

1 – الملك : آية (20).

2– الملك : آية (21).

3– المعارج : آية (31).

4– المعارج : آية (35).

5– المعارج : آية (44).

أولئك يدل على الإشارة على البعيد بالتدليل على أن هؤلاء القوم العادون الذين تجاوزوا حدود أوامر الله تعالى المحللة لهم إلى المحرمات لا يمكنهم الوصول إلى مرتبة عباد الله الصالحين المصلين الذين يحافظون على صلاتهم، هذا بالإضافة إلى الكثير من الصفات الحسنة التي تخص أموالهم، وشرفهم، وصدقهم ...كما وصفهم الله في كتابه المبين في المثال الأخير ورد اسم الإشارة للدلالة على الوعيد بحيث يصور الله تعالى الحالة التي يؤول إليها هؤلاء القوم، لقد وردت أمثلة عديدة ومتنوعة في النص القرآني الذي بين أيدينا على هذا الشكل نذكر منها :

1/ قال منزل التنزيل ﴿ : **وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا** ﴾[1] .

2/ وقال جل ثناؤه : ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**﴾ .[2]

3/ وقال تعالى : ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ... مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾ .[3]

4/ وقال أيضا : ﴿ **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ... إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**﴾ .[4]

5/ وقال في سورة أخرى : ﴿**هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ، هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ**﴾ [5] .

6/ قال الله تعالى : ﴿**ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا**﴾ [6] .

7/ وقال : ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى**﴾ [7] .

8/ وقال : ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ... ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾[8] .

1- الجن : آية (11).
2- المزمل : آية (19).
3- المدثر : آية (31/25).
4- الإنسان : آية (22) وما بعدها .
5- المرسلات : آية (35) وما بعدها.
6- النبأ : آية (39).
7- النازعات : آية (26).
8- المطففين : آية (17/4).

9/ ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [1] .

10/ وقال تعالى : ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [2].

11/ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [3] .

الأول – هذا الاعتراف منهم ما هو إلا تمييزا باسم الإشارة – ذلك – لمعرفة الطوائف المتنوعة التي تسير وفق أهواء متفرقة فمنهم كما ذكر على ألسنتهم طائفة صالحة ومنهم طائفة تعتمد الفسق، ومنهم الكفار، ومنهم الفجار يقول السعدي في تفسيره : كل حزب بما لديهم فرحون[4].

الثاني – اسم الإشارة فيه جاء لبيان الموقع المكاني القريب الذي يبدو منتجا للتهويل لأن المقصود بالتذكرة هي الموعظة التي نبأ الله سبحانه وتعالى بها عباده من اليوم الموعود – يوم القيامة والحساب – لذلك جعلها تذكرة لعباده المتقين .

الثالث – تمييز القول ؛ لأن القول قد يكون قول المولى سبحانه وقد يكون قول البشر فقال إن هذا إلا قول البشر حيث ذكر تعالى اسم الإشارة – هذا – ولم يقل – هو – ليبرز القول ويحدده، وينسبه إلى قائله، الرابع – ورد في قوله تعالى ثلاث أسماء إشارة – هذا، هؤلاء، هذه – اسم الإشارة هذا جاء لبيان الموقع المكاني قربا المنتج لدلالة التعظيم للجزاء والثواب الجميل والعطاء الكبير لهم من المولى عز وجل تكريما لهم منه على ما أسلفوه من الأعمال الحسنة، أما اسم الإشارة الثاني جاء للتمييز وتحديد طائفة من عباد الله هم المكذبون الذين يحبون العاجلة ويطمئنون إليها واسم الإشارة الثالث جاء لبيان الموقع المكاني قربا المنتج هذه المرة لدلالتي التخويف والترغيب. الخامس – ورد اسم الإشارة لتحديد الموقع المكاني المنتج لدلالة التهويل من اليوم الذي سيلاقي فيه الله تعالى هذا النوع من العباد وفي الوقت نفسه يحمل التركيب دلالة الوعيد .

1- البلد : آية (1).

2- التين : آية (3).

3- البينة : آية (7/6).

4- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 852.

السادس – اسم الإشارة – ذلك – ورد لإنتاج دلالة تعظيم يوم الحق، والسابع – اسم الإشارة ورد بغرض تنبيه المخاطب بجهله وتذكيره في آيات سالفة من السورة بحادثة فرعون ومصيره في الدنيا والآخرة، جاء في تفسير السعدي : (من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر . فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة)[1]، الثامن – اسم الإشارة الأول ورد لإنتاج دلالة التعجب من حال هؤلاء القوم الذين يتجاهلون اليوم الموعود لذلك ورد اسم الإشارة الثاني لإنتاج دلالة التهويل من هذا اليوم وتعظيمه، والتاسع والعاشر والحادي عشر – أسماء الإشارة التي وردت في هذه الأمثلة كلها تحمل دلالة التمييز ففي المثال التاسع والعاشر ليميز بها الله تعالى ويحدد البلد الذي أقسم به وهو مكة المكرمة، وفي المثال الحادي عشر ليميز باسم الإشارة عباده الصالحين من عباده الطالحين.

رابعا تعريف المسند إليه بالأسماء الموصولة : أكد النحويون أن المسند إليه أيضا يعرف بالصلة التي يجب أن تكون واضحة ومعلومة بالنسبة للمخاطب لأنها تعتبر من وسائل التعريف فلو قلنا مثلا : إن الذي صلى بالناس اليوم طفل صغير، هذه الصلة يفترض على المخاطب أن يكون عالما بها، بالإضافة إلى ذلك سجل علماء البلاغة العربية العديد من المعاني البلاغية لهذه الصلة لتوضيحها نقرأ الشواهد القرآنية الآتية :

1- قال منزل التنزيل جل ثناؤه : **﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ، الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾**[2].

2- وقال : **﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾** [3] .

3- و قال : **﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾**[4] .

4- **﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾**[5] .

1- ينظر : المصدر السابق ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 869.

2- الملك : آية (3/2/1).

3- المعارج : آية (23) وما بعدها .

4- النبأ : آية (3).

5- الانفطار : آية (7) .

5- قال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [1].

6- ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾[2] .

7- ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [3].

8- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4] .

9- ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [5] .

10- ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾[6] .

في المثال الأول : دل اسم الموصول – الذي – على تعظيم المسند إليه الله الذي يملك كل ما في السموات والأرض، والقادر على كل شيء في المثال الثاني: دل اسم الموصول – الذين – على الإشارة إلى زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، وعليه فإن الغرض المسوق له الكلام هو تقرير مجموعة من الصفات الحميدة لهؤلاء الناس الذين يتمتعون بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها، والتبرع بالزكاة لمن يستحق ذلك مما رزقهم الله، والصدق، والإيمان ... في المثال الثالث : دل اسم الموصول على الإشارة أيضا إلى زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام الذي يتمثل في تقرير عظمة الخبر الذي لطالما تنازعوا واختلفوا فيه، وفي المثال الرابع : اسم الموصول فيه دل على تعظيم قدرة المولى عز وجل الذي خلق الإنسان وعدله وسواه في أحسن هيئة وأجمل صورة، وفي المثال الخامس : دل اسم الموصول على التوبيخ والتحقير من جهة أخرى بالنسبة لهؤلاء الناس الذين وصفهم الله تعالى بالمطففين، وفي المثال السادس : ورد اسم الموصول للدلالة على الوعيد، بحيث يعد الله سبحانه وتعالى المكذبين الآثمين ؛ أي الناس الذين كذبوا بيوم الدين ويوم الحق بالحساب والعقاب على ما أسلفوا من أعمال و في المثال السابع : دل اسم الموصول – الذين – على التحقير في المثال الثامن ورد اسم الموصول للدلالة على تعظيم قدرة المسند إليه (الله جل ثناؤه) الذي له ملك السموات والأرض جميعا .

1- المطففين : آية (2).
2- المطففين : آية (11).
3- الانشقاق : آية (22/21).
4- البروج : آية (9).
5- الأعلى : آية (12/11).
6- الفجر : آية (11/10/9).

في المثال التاسع : دل اسم الموصول على الوعيد، المثال العاشر : اسم الموصول دل على تقرير الغرض المسوق له الكلام المتمثل في طغيان ثمود وعاد وفرعون في البلاد والفساد الذي ألحقوه بها

خامسا التعريف باللام : يشترط فيها وجود الطرفين مع المنشئ والمتلقي ويؤتى بالمسند إليه هنا معرفا لأغراض توضحها الشواهد القرآنية الآتية :

الشـاهد القــرآني	الـــغرض
قال تعالى : ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [1] .	لام الحقيقة والماهية ؛ حقيقة الأرض والجبال .
﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [2] .	لام الحقيقة والماهية .
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [3] .	لام العهد الذهني التي تسمى بلام الجنس فالمقصود بالروح جبريل عليه السلام وليس النفس .
﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[4].	لام الحقيقة
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [5] .	لام الحقيقة والماهية
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾[6] .	(لام الجنس) لا يشير إلى إنسان معين بل إلى جنس بني الإنسان ككل .
﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [7] .	لفظ الإنسان يقصد به الناس جميعهم (لام الاستغراق).

1- الحاقة : آية (14).
2- نفسها : آية (15).
3- المعارج آية (4).
4- نوح : آية (17).
5- المزمل آية (14).
6- القيامة : آية (3).
7- العصر : آية (2).

سادسا التعريف بالإضافة : يؤتى بالمسند إليه معرفا بالإضافة قصد إزالة الإبهام في ذهن المتلقي لذلك يعتبر هذا النوع من التعريف من الطرائق المختصرة والموجزة التي يعتمدها المنشئ لإيصال الفكرة إلى المتلقي لبيان الأغراض التي يسجلها هذا النوع من التعريف نقرأ الشواهد القرآنية الآتية :

1- قال الله تعالى : **﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾**[1]، الاسم المضاف هو عبد والمضاف إليه هو لفظ الجلالة الله هذه الإضافة تدل على تعظيم وتشريف الله سبحانه وتعالى .

2- قال تعالى : **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾** [2]، المضاف لفظ يدا والمضاف إليه أبي لهب هذه الإضافة أنتجت دلالة التحقير .

3- **﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** [3]، لفظ نصر هو المسند إليه وهو المضاف والاسم الذي أضيف له المسند إليه هو لفظ الجلالة الله وردت هذه الإضافة لإنتاج دلالة التعظيم .

و قد تكون الإضافة لأغراض أخرى تتمثل في التهويل والتفخيم وإفادة الاختصار كقولنا مثلا : مدرستي حياتي ؛ أي المدرسة التي أدرس فيها حياتي .

المطلب الثاني سياقات تنكير المسند إليه : قد يأتي المسند إليه اسم نكرة، إذا كان القصد من كلام المنشئ أو المتكلم إفادة معنى النكرة أي **النوعية والإفراد** نحو قول الله تعالى : **﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾**[4]، أي سائل واحد يراد به الإفراد والنوعية أي سائل لا سائلة .**﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾** [5]، رب واحد قادر على كل شيء فالمعنى المقصود هنا الإفراد . **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾** [6]، القادر على هذا الفعل هر رب واحد الله تعالى وبالتالي المعنى المقصود هنا هو الإفراد .

التـكثير : نحو قوله تعالى : **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾** [7]، المسند إليه رجال جاء نكرة للدلالة على الكثرة .

1- الجن : آية (19).
2- المسد : آية (1).
3- النصر : آية (1).
4- المعارج : آية (1).
5- القلم : آية (32).
6- الفيل: آية (1)
7- الجن : آية (6).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾[1] المسند إليه وجوه ورد نكرة القصد من ورائها الكثرة .

التـــعظيم : نحو قوله تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾[2] إذا تأملنا التنكير في لفظ ولدان الذي يشبه اللؤلؤ المنثور يجب أن يكون عظيما لذلك ورد سياق التنكير (ولدان) من باب التعظيم .

الـــوعيد: نحو قوله جل وعلا : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[3]، التنكير في لفظ جهنم ورد من باب الوعيد.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [4]، قال ويل ولم يقل الويل لأن سياق التنكير أدل على الوعيد من سياق التعريف، إضافة إلى هذه الأغراض نجد أيضا التحقير، والتخويف والتقليل وغيرها وكلها تعتبر قاسم مشترك بين سياقات تعريف المسند إليه وسياقات تنكيره .

المطلب الثالث سياقات تعريف المسند : الأصل في المسند (الاسمي) أن يكون نكرة لكن قد يحدث عدول وخروج عن الأصل إلى أغراض تجري في سياقات تعريف المسند لتوضيح ذلك نقرأ المثال الآتي:

محمد البطل، قد يكون المتلقي يعرف حق المعرفة محمد، ومن جهة أخرى يعلم أن هناك في المكان الذي يسكن ويقطن فيه بطل، ولكنه لا يعرف أن محمد هو نفسه البطل الذي نتحدث عنه، لذلك كان من اللازم وضع العنصر المعلوم في بداية الكلام ليكون هو المسند إليه محمدا، والعنصر المجهول هو الثاني فيكون القول : محمد البطل والغرض منه هو **إفادة التخصيص** و**التعيين** ؛ أي أن صفة البطولية خاصة بمحمد فقط، قد يكون المتلقي يدرك عكس هذا الخبر ؛ أي أنه يعلم أن في ذلك المكان بطل، ولكنه في الوقت نفسه لا يعلم من هو هذا البطل لأنه يعرف الكثير من الشباب فيه أمثال : محمد، وخالد وعمر، وغيرهم في هذه الحالة وجب تعيين الشخص بتقديم الأمر المعلوم أولا ثم المجهول فنقول : البطل محمد .

1- القيامة : آية (22).
2- الإنسان : آية (19).
3- النبأ : آية (21).
4- المطففين : آية (10).

الفصـل الثـالث :

ثنـائيتا الفعـــل ومتـعلقاته

المبحـــــث الأول : الفعـــــل حسب معيـــــار الـــزمن

الـمبحث الثـــــاني : الفعل حسب معــيار التعدي واللزوم

المبحث الثـالث : الـفعل حسب الانتقـــــال الـــــوظيفي.

المبحث الـــــرابع :دلالة الفعل حسب زيادة الكمية الصوتية.

المبحث الخامس: الفعـل حسب معيـار إمكـانية التحول الصوتية

تمـــــهيد :

يشغل الفعل حيزا كبيرا من مساحة اللغة العربية نظرا للمعاني الكثيرة التي تصدر منه فالفعل كما ذكرنا سالفا يفيد معنى التجدد والحدوث لأنه قد يدل على زمن انقضى (الماضي)، وقد يدل على زمن الحاضر كما أنه يدل على المستقبل، وقد يدخل التركيب مقتضى ، وقد يخالفه . يتقدم على فاعله، أو يتأخر عن ركبه، يجاوز فاعله إلى مفعول، أو أكثر، وقد يلزم حدوده غير متعد[1]، إن المقصود بمتعلقات المسند الفعلي كل ما اتصل به من : الفاعل، المفعول به، المفعول لأجله ، والمفعول معه، والمفعول المطلق، والظرف بنوعيه الزماني، والمكاني والحال، والنعت، والمصدر ...الخ . قد يتقدم الفعل على هذه المتعلقات عموما وعلى المسند إليه (الفاعل) خصوصا أنه كما يتأخر عنها لأسباب عديدة أهمها التفاؤل، والتشاؤم، والإشارة إلى الزمن وغيرها من الدواعي البلاغية

المبحث الأول : الفعل حسب معيار الزمن يشتق الفعل كما ذكر النحاة من المصدر لذا يدل الفعل على الحدث الذي يدل عليه مصدره، وينقسم إلى ثلاثة أصناف حسب زمن التكلم :

المطلب الأول زمن المـــاضي : يدل على حدوث شيء قبل زمن التكلم[2]، ما يدل على صحة هذا الكلام وجود تاء التأنيث الساكنة في نهاية الماضي، وتاء الفاعل، فقد ورد في النص القرآني الذي بين أيدينا وفي كثير من المواضع نذكر منها : قال تعالى : **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾** [3]، **﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** [4]، **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾** [5]، **﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾** [6] الأفعال التي وردت في هذه الأمثلة : تبت، جاء، أرأيت، ثقلت، خفت، كلها دلت على أمرين الأول : معنى ندركه بالعقل، والثاني :

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 303.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 307.

3- المسد : آية (1).

4- النصر: آية (1).

5- الماعون : آية (1).

6- القارعة : آية (6) وما بعدها .

زمن حصول ذلك المعنى في المثال الأول : دل الفعل تب على حدوث الخسران في زمن مضى، يقال : تبا له وتب له وتببته : إذا قلت له ذلك ... وتبت يدا أبي لهب، أي استمرت في خسرانه[1]، في المثال الثاني : دل الفعل جاء على حدوث مجيء نصر الله العظيم مصحوبا بفتحه المبين في زمن مضى، في المثال الثالث : دل الفعل أرأيت على حدوث الرؤيا أيضا قبل زمن التكلم ... في المثال الرابع والأخير : دل الفعل ثقلت، وخفت على حدوث شيئين متناقضين في زمن مضى الأول يشير إلى كثرة الخيرات[2]، بينما الثاني يشير إلى قلتها وذلك على أساس التقابل بين الاثنين .

المطلب الثاني زمن المضارع : المضارع ما دل على حدوث شيء في زمن التكلم، وبعده[3] مثل الأفعال الآتية : يدرس ينجح، يكتب، يشتغل ... يصلح الفعل المضارع للحال كما أنه يصلح للاستقبال، من الأمثلة الدالة على الأول : قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ**﴾ [4] الدليل على أنه مسندا للحال لام الابتداء المقرونة بفعل المضارع (يحزن). ﴿**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾[5]، عملت لا النافية المقرونة بالفعل (يحب) على إسناد المضارع للحال، من الأدوات التي تعمل هذه الوظيفة أيضا ما النافية نحو قولنا :

ما ينجح الطلب الكسول . وأبين من ذلك قول الله عز وجل في كتابه المبين : ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾ [6] . يقول جلال الدين السيوطي : يتعين فيه الحال، وذلك إذا اقترن بـ (الآن) وما في معناه كـ (الحين)، و(الساعة)، و(آنفا)، أو نفي بـ (ليس)، أو (ما) أو (إن)، لأنها موضوعة لنفي الحال، أو دخل عليه (لام الابتداء)[7].

1- ينظر : الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط5، 1433هـ / 2011م، ص : 162.

2- ينظر : المصدر نفسه، ص : 174.

3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 308.

4- يوسف : آية (13).

5- النساء : آية (148).

6- لقمان : آية (34).

7- ينظر : الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق : الدكتور عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، إشراف : توفيق شعلان، د- ط، د- ت، ج1، ص : 38.

أما الأدوات التي تسند المضارع للاستقبال إذا اقترنت به هي : السين، سوف، لن، أن إن نحو قولنا : – سيتقدم العلم في بلادنا تقدما عجيبا . سوف نكرم اليوم النجباء، وأوضح من ذلك ما ورد في الكتاب العظيم _ **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾** [1] .

- **﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾**[2] .
- **﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾** [3].
- **﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** [4].
- **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾**[5] .
- **﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى، إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى... سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾**[6] .
- **﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**[7] .
- **﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾**[8]، تدل هذه الأدوات الواردة في الشواهد القرآنية على زمن المستقبل ؛ أي على حدوث أشياء ليست في زمن التكلم إنما في المستقبل، قد يقع الفعل المضارع بعد الأداة (لم) مثل ما ورد في قوله تعالى : **﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾** [9]، ولم الواردة في الشاهد القرآني أداة جزم ونفي وقلب[10] لا محل لها من الإعراب ، الأداة (لم) تختص بالدخول على المضارع، وتقلب معناه إلى المضي كما ذكر في شرح ابن عقيل[11] .

1- الضحى : آية (5).
2- المسد : آية (3) .
3- العلق : آية (18).
4- الليل : آية (7) وما بعدها .
5- الليل : آية (17).
6- الأعلى : آية (6) وما بعدها .
7- البروج : آية (8).
8- آل عمران : آية (92).
9- الإخلاص : آية (3) .
10- ينظر : عبده الراجحي، التطبيق النحوي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لسعد الدين بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، د- ط، د- ت، ص : 23.
11- ينظر : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، حققه وبوبه وفسر غامضه وعلق على شروحه وأعرب شواهده وضبط بالشكل متنه : ح الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د- ط، : 1424هـ / 2003م، ج2، ص : 322، وما بعدها بتصرف .

المطلب الثالث زمن فعل الأمر : يقصد به حدوث أي شيء بعد زمن التكلم، يقبل فعل الأمر أن تدخل عليه ياء المخاطبة نحو: كلي، اشربي، اخرجي ... كما يبنى على السكون، أما الفعل المعتل فإن فعل الأمر منه يكون بتقصير الصوت الصائت : ارم اخش ...، وقوما، قومي، قوموا فعلى حذف الصامت (النون)[1] .

ورد فعل الأمر في قوله تعالى : **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾**[2] .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [3] .

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [4] .

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[5] .

﴿قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾[6].

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [7] .

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[8] .

دلت كل صيغة من الصيغ السالفة على شيئين اثنين الأول يتمثل في المعنى (الحدث) الذي يكمن في طلب القول، والتسبيح، والصبر، القيام، والتكبير، والتطهير والهجران والإنقاص والعبادة والتقوى والطاعة ...و غيرها، والأمر الثاني يتمثل في الزمن الذي سيتحقق فيه هذا الطلب، جاء في النحو الوافي : (و الزمن هنا مقصور على المستقبل وحده ؛ لأن الشيء الذي يطلبه إنسان من آخر لا يحصل ولا يقع إلا بعد الطلب وانتهاء الكلام ؛ أي : لا يقع إلا في المستقبل)[9].

1- ينظر : عيد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 308.
2- الإخلاص : آية (1).
3- الفلق : آية (1) .
4- الأعلى : آية (1).
5- الإنسان : آية (24).
6- المدثر : آية (2) وما بعدها .
7- سالمزمل : آية (2) وما بعدها .
8- نوح : آية (3).
9- ينظر : عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، ج1، القسم الموجز لطلبة الجامعات، والمفضل للأساتذة والمتخصصين، د- ط، د- ت، ص : 46.

المبحث الثاني : الفعل حسب معيار التعدي واللزوم :

تختلف الأفعال فيما بينها من حيث قدرتها على التجاوز للوصول إلى دلالات معينة ضمن التراكيب حسب النشاط الذي تؤديه الحروف، كحروف : الاستعلاء، والصفير، والانفتاح، والتفشي، وحروف القلقلة، والحروف المجهورة ، والمهموسة ...الخ، على العموم صنفها علماء اللغة العربية إلى قسمين : الأولى تسمى بالأفعال المتعدية كما يسميها البعض بالأفعال غير القاصرة أو أفعال المجاوزة وكلها مصطلحات تصب في قالب دلالي واحد، القسم الثاني من الأفعال يسمى بالأفعال اللازمة، التي اصطلح عليها اسم الأفعال القاصرة أو أفعال غير المجاوزة .

المطلب الأول : الأفعال المتعدية (المجاوزة): يتجاوز هذا النوع من الأفعال الفاعل إلى المفعول به ما يدل على ذلك اتصالها بصوت الهاء العائد على غير المصدر كما أنها تقبل أن يصاغ منها اسم المفعول[1]، من بين الشواهد القرآنية التي وردت فيها الأفعال المتعدية مايلي :

1- قال تعالى ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾[2] .

2-﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [3].

3-﴿ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ...﴾[4].

4-﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[5].

5-﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾[6].

6- ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[7] .

في الشواهد القرآنية السالفة كل الأفعال التي وردت فيها جاءت متعدية لم تكتف بفاعلها بل تعدته إلى المفعول به ويمكن اشتقاق اسم المفعول منها نحو :

خلق ⟵ مخلوق . جعل ⟵ مجعول

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 312 .
2- الملك : آية (2).
3- الملك : آية (5).
4- القلم : آية (32).
5- الحاقة : آية (12).
6- المعارج : آية (10).
7- نوح : آية (1).

سأل ←——— مسؤول، وقس على ذلك بالنسبة للأفعال الأخرى مثل : أنذر، وأرسل ... من روائع هذا النوع من الأفعال الواردة في النص القرآني قول منزل التنزيل :

- ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾[1].
- و قال في موضع آخر تبارك وتعالى : ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا..﴾[2].
- ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[3].

الفعل سمعنا، والفعل عصى، وأصلي كلها وردت متعدية لم يكتمل معناها بالفاعل فقط بل تعدته إلى المفعول به، ففي الشاهد القرآني الأول تم إثبات وقوع فعل الاستماع إلى القرآن ولم يسند إلى المتكلم لحاله كذلك في الشاهد القرآني الثاني تم إثبات فعل العصيان إلى الرسول وكذا في الشاهد القرآني الثالث أثبت الفعل إلى الإنسان الكافر الجاحد لنعم الله تعالى وبالتالي الأفعال السالفة أفادت وقوع هذه الأمور من الفاعل وأفادت وقوعها على المفعول، لو قلنا :

- قرأ محمد .
- كتب خالد .
- رسم زيد .

نكون قد أسندنا فعل القراءة إلى محمد، وفعل الكتابة إلى خالد، وفعل الرسم إلى زيد لكن لو قلنا :

- قرأ محمد الجريدة .
- كتب خالد نصا .
- رسم زيد لوحة .

نكون بذلك قد عدينا الأفعال : قرأ، كتب، رسم، وأثبتنا وقوع الفعل قرأ من محمد إلى الجريدة، وأثبتنا وقوع الفعل كتب من خالد إلى النص الذي كتبه، وأثبتنا أيضا وقوع الفعل رسم من زيد إلى اللوحة التي قام عليها فعل الرسم وعليه الأفعال : قرأ، كتب، رسم، أفادت وقوع : القراءة، والكتابة، والرسم، من الفاعل، وأفادت وقوعها على المفعول .

1- الجن : آية (1).
2- المزمل : آية (16).
3- المدثر : آية (26).

من روائع ما ورد في القرآن الكريم من الأفعال المتعدية قول الله جل سلطانه :

- ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ [1]، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [2]، ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [3].
- ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾[4]، ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [5].
- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[6]، ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [7].
- ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ [8]، ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾[9].
- ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾[10].

في الشواهد القرآنية هذه تم إسناد فعل التحريك للفاعل الذي ورد مستترا وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفعل الخلق إلى الله سبحانه وتعالى وكذا جعل مخلوقه سميعا بصيرا وفعل الهلاك للمولى عز وجل، وفعل تهيئة الأرض وجعلها كما وصفت في الآية الكريمة إلى الله تبارك وتعالى، وفعل الإنشراح لله تعالى وفعل التلاوة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وفعل الإخراج لله تعالى القادر على كل شيء، وفعل الزيارة إلى العباد الذين وجه لهم هذا الخطاب توبيخا منه عن انشغالهم عما خلقوا من عبادته وحده تبارك اسمه، وعليه تعدت الأفعال، فقد أثبت وقوع فعل التحريك من الرسول على اللسان، وأثبت وقوع فعل الخلق من الله على الإنسان، وأثبت وقوع فعل الهلاك من الله أيضا على الناس المقصودين بهذا الكلام، وأثبت وقوع فعل تهيئة الأرض من الله تعالى على الأرض، وأثبت وقوع فعل الانشراح من الله على الصدر، وأثبت وقوع فعل التلاوة من الرسول على الصحف التي وصفها الله تعالى بالمطهرة، وأثبت وقوع فعل الإخراج من الله على الأرض، وأثبت وقوع فعل الزيارة من الناس الذين وبخهم الله على المقابر.

1- القيامة : آية (16).
2- الإنسان : آية (2).
3- المرسلات : آية (16).
4- النبأ : آية (6) .
5- الشرح : آية (1) .
6- التين : آية (4).
7- العلق : آية (2) .
8- البينة : آية (2) .
9- الزلزلة : آية (2).
10-التكاثر : آية (2).

بتعبير آخر الفعل تحرك أفاد وقوع التحريك من الفاعل، وأفاد وقوعها على المفعول وقس على بالنسبة لبقية الأفعال الأخرى : خلق، شرح، وأخرج، وزار ...الخ .

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني : (وها هنا أصل يجب ضبطه، وهو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل، وكما أنك إذا قلت : ضرب زيد فأسندت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق كذلك إذا عدّيت الفعل إلى المفعول، فقلت : ضرب زيد عمرا كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني، ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما)[1].

ثم يواصل كلامه فيقول : (فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقعه عليه، ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه، بل إذا أريد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير أن ينسب إلى الفاعل أو المفعول، أو يعترض لبيان ذلك، فالعبارة فيه أن يقال : كان ضرب، أو وقع ضرب، أو وجد ضرب، وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد من الشيء[2])، قد يتجرد الفعل المتعدي عن مفعوله مثل قولنا : دخل محمد وهنا يصبح كالفعل اللازم يقول بكري شيخ أمين يتسع مدلوله من نطاق محدود في المفعول إلى نطاق عام ومدلول واسع[3]، فعندما نقول مثلا : دخل زيد، وخاطب محمد .

الفعل دخل فعل متعدي وكذا الفعل خاطب لكن في التركيب الأول والثاني حذف المفعول به وبالتالي أصبحا كالفعل اللازم وبالمقابل اتسع مدلول كلا منهما فبالنسبة للفعل الأول لو قلنا دخل زيد البيت يصبح المدلول محدودا أي أنه اقتصر على البيت لكن لو قلنا دخل زيد فقط يسع المدلول بالنسبة للمتلقي ويجعله يفكر هل دخل زيد البيت ؟ أو هل دخل المزرعة ؟ أو هل دخل السوق أو هل دخل المدرسة ؟ أو هل دخل الجامعة ؟ ...و كلها تجعل مدلول فعل الدخول متسعا اتساعا كبيرا . كذلك قد يتساءل المتلقي عن الإنسان الذي خاطبه محمد هل هو شاب ؟ أو هل هي بنت ؟ أو هل هو شيخ أو هل هي عجوز ؟ أو هل هو أديب .أو هل هو من عامة الناس ؟ أو هل هو من التجار ؟ ...الخ .

1- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 125.

2- ينظر : المصدر نفسه، ص : 125.

3- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 164.

قد يحدث عدول في التركيب وذلك بحذف المفعول به من التركيب مع العلم أن الفعل متعدي لأغراض بلاغية أهمها :

البيان بعد الإبهام :

يكون ذلك بعد فعل المشيئة غير المعداة إلى شيء إذا سبقت بأداة شرط ؛ على أن يكون المفعول عاما لا خاصا[1] .

من شواهد ذلك قولنا :

- لو شئت تعلمت .
- لو شئت درست .
- لو شئت فهمت .
- لو شئت حضرت .
- من شاء عدل .
- إذا شئت عملت .

تقدير الكلام في التركيب الأول : لو شئت التعلم أو التعليم لتعلمت، والتقدير في التركيب الثاني : لو شئت الدراسة لدرست، والتقدير في التركيب الثالث : لو شئت الفهم لفهمت، والتقدير في التركيب الرابع : لوشئت الحضور لحضرت، والتقدير في التركيب الخامس : من شاء العدل لعدل .

و التقدير في التركيب السادس إذا شئت العمل لعملت، من روائع هذا قول منزل التنزيل : ﴿ **وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى** ﴾[2]، وتقدير الكلام في قول المولى عز وجل : ولو شاء الله جمعكم، وقس على هذا القول بالنسبة لأفعال المشيئة إذا وردت في أي تركيب شريطة وجود أداة شرط تسبقها كما أسلفنا الذكر، يقول بكري شيخ أمين : (...يبقى متعلق فعل المشيئة في الشيء النادر الحدوث، أو الغريب، أو الذي لا يعرفه المرء مباشرة . كقولك : لو شئت أن أبكي دما لبكيت . فالبكاء دما لا يحدث على الدوام، ولا يتبادر إلى الذهن فورا ولذلك فإنه يجب أن يذكر ولا يحذف)[3] .

1- ينظر :المرجع السابق، بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 166.
2- الأنعام : آية (35).
3- ينظر : المرجع نفسه، بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 166.

المحافظة على موسيقى الكلام : قد يتم الحذف هنا من باب رعاية الفاصلة والحفاظ على الموسيقى الواحدة بين التراكيب من روائع ما ورد في النص القرآني : قال تعالى : ﴿ **وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ...**﴾[1]، في هذا القسم تم حذف الكاف من الفعل قلى والتي تكون ضميرا متصلا في محل نصب مفعولا به كونها تدل عليه ؛ أي على المفعول رعاية للفاصلة القرآنية .

يقول بكري شيخ أمين : (... لقد حذفت الكاف الدالة على المفعول من " قلى " رعاية للفاصلة، أو حفاظا على موسيقية التعبير)[2] .

إرادة الاختصار : يحذف المفعول به أيضا من التركيب قصد الاختصار نحو قولنا :

- أنا أتكلم معك .
- أنا أستمع إليه .

المفهوم من التركيب الأول : أنا يتكلم " فمي "معك .

و المفهوم من التركيب الثاني : أنا أستمع " أذني " إليك .

يقول بكري شيخ أمين : (الاختصار مثله لو قلت : أنا أصغي إليك ... فالمفهوم أنا أصغي " أذني " إليك .. وحذف المفعول للاختصار وحده ؛ لأنه يفهم من سياق الكلام[3])، تماما مثل الشواهد السابقة إذ لا داعي لذكر لفظ : الأذن والفم لأن ذلك يفهم من سياق التركيب .

من بين الدواعي التي قد يحذف من أجلها المفعول :

- التعميم مع الاختصار .
- التأدب في الكلام .
- دفع توهم غير المراد[4] .

هذه هي الدواعي التي تجعل التركيب يستغني عن المفعول دون أن يختل المعنى في السياق وفي نفس الوقت يستطيع المتلقي أن يدرك المعنى بسهولة ويسر وهذه الدواعي تكون إلا إذا كان المفعول مخصوصا فقط . هناك دواعي أخرى لتقديم المفعول به على الفعل، فالأصل فيه أن يكون بعد الفعل لأنه تابع له مثله مثل الفضلة من بين هذه الدواعي :

1- الضحى : آية (4/1).

2- ينظر : المرجع السابق، بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 168.

3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 168.

4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 168.

رد الخطأ في التعيين : لنقرأ الأمثلة التالية :

- محمدا أكرمت .
- زيدا صدقت .
- خالدا عرفت .

في هذه الأمثلة تم تقديم المفعول به على الفعل والقصد منه تثبيت ذات محمد لا غير وخالد وزيد لا غير، ولتأكيد إكرام محمد، وتصديق زيد، ومعرفة خالد أكثر نقول :

- محمدا أكرمت لا غير، زيدا صدقت لا غير، خالدا عرفت لا غير .

وبهذا نكون قد أكدنا على كلامنا ونفينا في الوقت نفسه معرفة أي شخص آخر ردا للخطأ في تعيين الشخص المراد إكرامه أو المراد تصديقه، أو المراد معرفته، ولو نفينا كلا منهم يكون الكلام خطأ وباطل ؛ أي لو قلنا : ما محمدا أكرمت ولا غيره أيضا فلا معنى للغرض المقصود من تقديم المفعول به على الفاعل ولتوضيح ذلك، يقول بكري شيخ أمين : (... إذا قال قائل ما زيدا رأيت ولا غيره، بطل كلامه، لأنه وقع في التناقض . إذ نفى رؤية زيد نفيا مؤكدا – بطريق تقديم المفعول – وأثبت في الوقت ذاته أن الرؤية كانت لغير زيد، وذلك في مطلع الكلام – ما زيدا رأيت – والتناقض كان في قوله " ولا أحد " إذ كيف يثبت رؤية غير زيد في أول الكلام، وينفيه في آخره[1] ؟) ولو قلنا :

- ما محمدا أكرمت بل والده .
- ما زيدا صدقت بل كذبته .
- ما خالدا عرفت بل صديقه .

الكلام الوارد في كل تركيب غير صحيح ؛ لأننا بقولنا هذا نكون قد نفينا صفة الإكرام عن محمد، وصفة التصديق عن زيد، وصفة المعرفة عن خالد، وبالمقابل أكدنا وجود الغير في هذه الصفات . وأما القول الثاني : ما زيدا صدقت بل كذبته هذا الكلام ليس صحيحا لأن الحديث عن تعيين الأشخاص لا عن الأفعال[2]، يقول بكري شيخ أمين : (يكون التعبير غير صحيح ؛ لأن أول الكلام يدل بشيء من التأكيد على أن المفعول به لم يكن له من إكرام المتكلم شيء وإنما هناك شخص آخر غير الشخص الأول الذي ذكر أي مفعولا به أخر في المفعول الأول ...)[3].

1- ينظر : المرجع السابق، بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 169.
2- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص : 169.
3- ينظر : المرجع نفسه، ج1، ص : 169بتصرف .

من بين الأسباب والدواعي التي تجعل المفعول به يتقدم على الفعل :

التخصيص : مثال ذلك قولنا :

-أحترمك .

-أحبك .

معنى الأول أننا نكن لمن نخاطبه من الاحترام الكبير في قلوبنا .

و معنى الثاني أننا نكن له مكانة كبيرة في قلوبنا تدل على الحب .

و بالتالي لو قلنا : إياك أحترمك، وإياك أحبك نكون قد خصصنا الاحترام والحب لمن نخاطبه دون سواه ، من روائع ما ورد من التخصيص في النص القرآني قول منزل التنزيل تبارك اسمه في فاتحة الكتاب العزيز : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[1] .

جاء في تفسير السعدي : (... أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول : نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده، و" العبادة " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة، والباطنة والاستعانة هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك، والقيام بعبادة الله، والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية ...)[2]، إياك : مفعول به مبني على السكون في محل نصب، والكاف حرف خطاب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب . المفعول به هنا تقدم على الفعل نعبد في المرة الأولى، وعلى الفعل نستعين في المرة الثانية والهدف من ذلك تخصيص العبادة لله تعالى وحده على سائر المخلوقات، وبه وحد يستعين كل خلقه الضعفاء . ومثل هذا : – إلى الله ترجعون، إلى الله المصير، عليك توكلت .

– إليك أنبت، بك آمنت[3] .

1- الفاتحة : آية (4).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 25.

3- ينظر : بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، ص : 170.

من روائع ما ورد في النص القرآني قوله تعالى :

- ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[1].
- ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [2] .
- ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾[3] .

تقدم المفعول به عن الفعل في الشواهد القرآنية أعلاه ففي الشاهد الأول لفظ ربك هو مفعولا به منصوبا وعلامة نصبه الفتحة تقدم على الفعل كبر، وفي الشاهد الثاني المفعول به المقدم عل الفعل طهر هو الثياب، بينما في الشاهد الثالث المفعول به المقدم على الفعل اهجر هو الرجز والغرض من هذا التقديم تخصيص الكلام للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فهو خطابا من الله تعالى له .

يقول محي الدين الدرويش : (... الرجز بكسر الراء وهي قراءة الجمهور ... فقيل بمعنى واحد، يراد بهما : الأصنام، والأوثان، وقيل الكسر لتبيين النقائص والفجور، والضم لصنمين إساف ونائله ... ، والمعنى : أثبت، ودم على هجره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان بريئا منه، وقال النخعي : الإثم، وقال القتبي : العذاب، أي اهجر ما يؤدي إليه ...)[4] .

جاء في تفسير السعدي : (..." وربك فكبر" أي : عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقومون بعبادته " وثيابك فطهر " يحتمل أن المراد بثيابه أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات، والمفسدات، والمنقصات من شرك ورياء، ونفاق، وعجب، وتكبر، وغفلة [5]...)

وعن تفسير قوله تعالى : " والرجز فاهجر " يقول السعدي : (يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها والبراءة منها، ومما نسب إليها من قول أو عمل .

ويحتمل أن المراد بالرجز : أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرا له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه)[6].

1- المدثر : آية (3).
2- المدثر : آية (4).
3- المدثر : (5).
4- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م8، ج29، ص : 123.
5- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص :856.
6- ينظر : المصدر نفسه، ص : 856.

توجد أفعال عديدة تتجاوز الفاعل هذه المرة ليس إلى اسم واحد كما بينا قبل قليل بل إلى اسمين أصلهما مبتدأ، وخبر، تتمثل هذه الأفعال في :

1/ **أفعال الرجحان** : كالفعل : ظن، خال، جعل، عدّ، زعم، حجا، هب[1] من ذلك قولنا :

- جعل الأستاذ الامتحان سهلا .
- ظن زيد صديقه راحلا .
- زعم الكافر الدنيا مقرا .

2/ **أفعال التحويل** : تسمى أيضا في اصطلاح علماء النحو بأفعال الصيرورة من بينها : صير، حول، ردّ، ترك، اتخذ [2]، من شواهدها قولنا مثلا :

- ترك المطر القرية دمارا .
- اتخذ المؤمن العبادة سبيلا لربه .
- حول الإعصار البلاد فيضانا .

3/ **أفعال اليقين** : تتمثل في الأفعال المعرفة مثل : رأى، علم، وجد، ألفى، درى، تعلّم ... من شواهدها : وجدت السفر مريحا[3] . من ذلك أيضا قولنا :

- رأيت نتائج الناجحين .
- علمت الإرادة سبيل النجاح .
- وجدت التراخي طريق الفشل .
- تعلّم المثابرة درب النجاح .
- ألفيت الصلاة عماد الدين .

هناك نوع من الأفعال عكس هذا النوع ؛ أي أنها تتجاوز الفاعل إلى اسمين هذه المرة ليس أصلهما مبتدأ وخبر مثل : أعطى، منح، ألبس، كسا، وهب، سأل، أفهم ...

كقولنا مثلا :

أعطيت الفقير صدقة .

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 314.
2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 314 .
3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 314.

المطلب الثاني الأفعال اللازمة (القاصرة) : هذا النوع من الأفعال عكس النوع الأول يكتفي بفاعله ولا يتجاوزه إلى غيره، هذا النوع منها يسمى بالأفعال القاصرة أو غير المجاوزة عرفت بأنها لا تملك القوة والنشاط اللذان يمنحانها إمكانية الانزياح إلى فعل وظيفي آخر[1] .

لنقرأ الشواهد التالية :

- سكت زيد .
- نام محمد .
- نجح خالد .
- استيقظ زيد .
- سافر علي .
- ضحك الولد .
- جلس سعيد .

الأفعال سكت، نام، نجح، كلها لازمة لأن كلا منها اكتفى بفاعله فالأول اكتفى بزيد ولم يتعداه إلى المفعول به والمعنى تام في التركيب، وفي الثاني اكتفى الفعل نام بالفاعل محمد، وفي الثالث أيضا اكتفى الفعل نجح بالفاعل خالد وقس على ذلك بالنسبة لبقية الأفعال الأخرى : استيقظ، وسافر، وضحك، وجلس ...الخ، من روائع ما ورد في النص القرآني من الأفعال اللازمة مايلي :

- قال الله تعالى : **﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾**[2] .
- و قال أيضا تبارك وتعالى : **﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾**[3].
- و قال جل سلطانه : **﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ،ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى، فَحَشَرَ فَنَادَى...﴾**[4].
- و قال أيضا : **﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾**[5].

ورد هذا النوع من الأفعال (اللازمة) في مواضع كثيرة من النص القرآني الذي بين أيدينا خصوصا في الجزء المخصص للدراسة منه .

1- ينظر :المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 315.
2- النصر : آية (1) .
3- عبس : آية (1).
4- النازعات : آية (21) وما بعدها .
5- النازعات : آية (34).

كل الأفعال التي وردت في الشواهد السالفة الذكر جاءت لازمة فالفعل : جاء تم معناه دون أن يتعدى إلى مفعول يكمل معنى التركيب الذي ورد فيه وكذلك الأفعال : عبس، وتولى وغيرها .

قد يحدث وأن تتحول هذه الأفعال إلى النوع الثاني وهو المتعدية إذا أضفنا لها أصوات تعمل هذه الأخيرة على منحها قدرة تجعلها تتجاوز الفاعل إلى المفعول به ولتوضيح ذلك يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : (... لكن هذه الأفعال الخاملة قد تحقن بكمية صوتية، تمنحها القدرة الإيجابية على تجاوز الفاعل . وعلى سبيل المثال : لا الحصر، فإن الفعل القاصر " جلس " هو فعل إرادي لازم، بمجرد دخول صوت الهمزة الحنجرية على بنيته ابتداء فإنه يتحول إلى فعل إرادي متجاوز . وهي إحدى أنواع النبر القصدي، أو الغرضي)[1]، نقول : جلس زيد ——— أجلس زيد خالدا .

هذا الصوت (الهمزة) هو من الأصوات الشديدة عند سيبويه يقول في هذا الصوت : (... ومن الحروف (الشديد)، وهو الذي يمنع الصوت أن يجرى فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف والجيم ...)[2]، والمقصود بالشدة في اصطلاح القدماء أنها تقابل الأصوات الانفجارية في اصطلاح المحدثين وفيه تقول الدكتورة آمنة صالح الزعبي : (.. ومفهوم الشدة عند القدماء يساوي مفهوم الانفجارية عند المحدثين ... ويمتاز صوت الهمزة عن الأصوات الأخرى بوجود حاجز أو انغلاق في مجرى الهواء ...)[3].

أشار تمام حسان من جهة أخرى إلى نقد وجهه لسيبويه يذكر فيه أن هذا الأخير (سيبويه) لم يكن يعرف وظيفة الأوتار الصوتية في الجهر والهمس بل لم يكن يعرف حتى تركيب الحنجرة وأعطى دليلا على ذلك هو أن سيبويه سماها أقصى الحلق واعتباره إياها جزء قصيا من الحلق[4]، على كل لا يهمنا النقد والاختلاف بين الدكتور تمام حسان، وعالم النحو سيبويه بقدر ما تهمنا أن نعرف الوظيفة التي يحدثها هذا الصوت الحنجري في بنية الأفعال اللازمة، لتجعله ينتقل من الدائرة التي كان فيها (اللازمة) إلى دائرة الفعل المتعدي .

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 315.

2- ينظر : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، ط1، د-ت، ج4، ص : 434 .

3- ينظر : آمنة صالح الزعبي، في علم الأصوات المقارن التغير التاريخي للأصوات، في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، اربد، د- ط، 1426هـ / 2005م، ص : 15.

4- ينظر : تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، نشر، توزيع . طباعة، القاهرة، ط4: 1425هـ / 2004م، ص : 26.

و الهمزة في هذا الموضع تعتبر من اللواحق المنتقلة التي من شأنها أن تتصل بالثابت يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : (... وتعد الهمزة – هنا – مورفيم نقلي (لاحق) متصل بالمورفيم المقيد . ويعتبر صوت الهمزة، من أنواع المضادات الحيويّة التي تعطى للوحدة اللغوية عند اللزوم)[1] . هذا عن أنواع الفعل من حيث التعدي واللزوم أما عن متعلقات الفعل الأخرى :

- اسم الفاعل .
- اسم المفعول .
- المصدر .
- صيغة المبالغة .
- اسم فعل الأمر .

من شواهد هذه الصيغ قولنا :

- أنا الدارس أفكارك .
- أممنوح زيد جائزة الفصل؟
- إحسانك الفقير صفة حسنة .
- المسؤول حمال عبء رعيته .
- إليك عني .
- أمامك .
- وراءك .

في المثال الأول ورد اسم الفاعل (الدارس)، وفي المثال الثاني : اسم المفعول (ممنوح) وفي المثال الثالث : المصدر (إحسانك)، وفي المثال الرابع : صيغة المبالغة (حمال)، وفي الأمثلة الثلاثة الأخيرة اسم فعل الأمر : الأول جاء بمعنى ابتعد، والثاني بمعنى تقدم، والثالث بمعنى تأخر، وكل هذه الصيغ الواردة تعمل عمل الفعل أي أنها تحتاج إلى فاعل وتؤثر في الاسم الذي بعدها فتنصبه ليكون مفعولا به لاسم الفاعل أو نقول مفعولا به لاسم المفعول وهكذا بالنسبة لبقية الصيغ الأخرى . أما اسم فعل الأمر فإنه يعرب اسم فعل أمر مبني على السكون لا محل له من الإعراب وفاعله ضميرا مستترا تقديره أنت طالما الأمر موجه للمخاطب .

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 315.

المبحث الثالث الفعل حسب الانتقال الوظيفي : يصنف الفعل على أساس حركة الصوائت إلى نوعين اثنين قبل أن نعرض كلا منهما لا بد من الإشارة إلى أن الفعل لا يبنى إلى المجهول إلا إذا كان فعلا متعديا :

المطلب الأول الفعل المبني للمعلوم : في هذا النوع من الأفعال يذكر الفاعل ولا يمكن الاستغناء عنه من روائع ما ورد في النص القرآني ــ قوله تعالى : **﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾**[1] .

- و قال تعالى : **﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾**[2].
- و قال : **﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾**[3] .
- **﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم ﴾**[4].
- **﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[5].
- **﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى...﴾**[6].
- **﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾**[7].
- **﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾**[8].

من خلال حركة الأفعال التي وردت في الشواهد القرآنية ندرك أنها مبنية للمعلوم، وكل منها مع فاعلها مع ملاحظة أنها متعدية لم تكتف بالفاعل لوحده فالفعل : خلق عندما يبنى للمجهول يصبح : خُلِق بضم أوله وكسر ما قبل آخره، وقس على هذا في بقية الأفعال الأخرى : تسألهم من الفعل سأل، وسخرها، والفعل يطمع، وأرسل، وأنذر، وسمع، ويجير، أجد، وتحبون ... هذه الأفعال ترد إلى الماضي ويضم أولها ويكسر ما قبل آخرها فتبنى للمجهول .

1- الملك : آية (2).
2- القلم : آية (46).
3- الحاقة : آية (7).
4- المعارج : آية (38).
5- نوح : آية (1) .
6- الجن : آية (13).
7- الجن : آية (22).
8- القيامة : آية (20).

المطلب الثاني : الفعل المبني للمجهول : هذا النوع من الفعل يحذف فاعله وأنيب غيره، من روائع ما ورد في النص القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾[1].
- و قال أيضا تبارك اسمه : ﴿ **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** ﴾[2].
- ﴿ **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ،وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ ،وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ...** ﴾[3] كل الأفعال التي وردت في الآيات الكريمة جاءت مبنية للمجهول تم فيها حذف الفاعل وناب عنه ما يسمى بنائب الفاعل، قد نجد في اللغة العربية بعض الأفعال وردت بصيغة الفعل المبني للمجهول مثل : عُني، زُهي، فُلج، سُلّ، جُن، غُم...الخ . وهذه بعض صور الانتقال الصوتي :

تعّلمَ ——— تفعّلَ ——— تُعُلّم.
تقاتل ——— تفاعل ——— تُقُوتل .
استنتج ——— استفعل ——— أَستُنتجَ.
انطَلَقَ ——— انفَعَلَ ——— أُنطلِقَ .
سام ——— فَعَلَ ——— سُمتٌ.
باع ——— فعل ——— بُعتُ.
يضرب ——— يَفعَل ——— يُضرَبُ[4].

الفـتحة : عبارة على حركة متسعة، وصائت وسطي قصير، يكون اللسان نعها مستويا في قلع الفم، مع ارتفاع خفيف في وسطه .

الكسر : هذا الصائت عبارة على حركة ضيقة يكون اللسان أقل ارتفاعا على مقياس المعياري ومعها يرتفع مقدم اللسان اتجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد مع انفراج الشفتين[5] .

1- التكوير : آية (1).
2- التكوير : آية (3).
3- التكوير : آية (4) وما بعدها .
4- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 318.
5- ينظر : المرجع نفسه، ص : 319.

الضمة : عبارة على حركة خلفية ضيقة تتكون حين يصبح اللسان أثناء تحقيقها أقرب ما يمكن من الحنك اللين، واللهاة، وحجرة الرنين الفمية مع وضع اللسان ضيقة جدا والشفتان تكونان مفتوحتين فتحا خفيفا [1]. ولا بد من الإشارة إلى أن كل مصوت من هذه المصوتات الفتحة الكسرة والضمة، يحمل وظيفة معنوية، كما أن له القدرة على الإيحاء إلى معان محددة بحث تختلف عن دلالة المصوتات الأخرى[2]، نعود إلى الأمثلة السالفة : تقاتل ... تُقُوتل كيف بني للمجهول ؟ نقول : حين استوجب بناء الكلمة أن تكون الضمة في مبتدئه لنبنيه للمجهول لا بد من أن يحصل التوافق الصوتي حسبما يتطلبه صائت الواو (حرف المد) .

ولتوضيح ذلك يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل: (الصورة الأولى لا غبار عليها ؛ لأن (صوائت الفتح القصيرة الأربع، وبينهما صائت الألف الطويل، هي من جنس واحد وحين استوجب البناء في مبتدئه صائت الضم أجل مجهولية الفاعل كان لابد من التوافق والانسجام الصوتي، مما تطلب صائت الواو المدّي ؛ لأن معها من نفس النسج، مع ما فارق الكمية الإنتاجية، وهو استبدال مقبول صوتيا، لأنه تحول من صائت طويل إلى آخر مثله في الصفة الصوتية (الجهر ودرجة الصوت)[3] .

المبحث الرابع الفعل حسب إمكانية التحول الصوتية : يمثل المصدر في اللغة العربية أصل والأساس في الوحدة اللغوية، بينما الأفعال تمثل الفرع مع العلم أن المصدر لا يستطيع القيام بكل الوظائف لوحده لذلك يمكن القول أن الفرع وهو الفعل هو الذي يكمل ما عجز عنه الأصل، يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل: (... ولما كانت المصادر تمثل الأصل للوحدات اللغوية، وهذا الأصل لا يمتلك القدرة على الإيفاء بأداء كافة المهام، حملت الأفعال فرعا عليه ؛ حيث مثلت جانبا من الصور اللفظية لكي تدل على ما عجزت عنه المصادر، والأسماء ...)[4].

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص : 318.

2- ينظر : أشواق محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، منشورات دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط2: 2009م، ص : 1009.

3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 319و ما بعدها، تطرق صاحب هذا المصدر إلى شرح كل التحولات بالنسبة للأفعال السالفة وعرض بالتفصيل الطريقة التي تم بها التحول من الفعل المبني للفاعل إلى الفعل المبني للمفعول .

4- ينظر : المرجع نفسه، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 309.

المطلب الأول الأفعال الجامدة :

في اللغة العربية المعروف أنها واسعة المجال نجد أفعال تلتزم بصورة ولا مجال للتحول فيها، هذا النوع من الأفعال يسمى بالأفعال الجامدة، تعرف هذه الأفعال بأنها تلزم صورة واحدة وهي تقع في زمنين[1]

الزمن الأول : يدل على الحدوث قبل زمن التكلم (الماضي)، وهي تتوزع بين أفعال المقاربة، وأفعال الرجاء وأفعال الشروع، أفعال الذم، وأفعال الاستثناء، والأفعال الناسخة مثل : ليس، كرب، عسى، حرى، اخلولق، أنشأ، طفق، أخذ، جعل، علق، نعم، بئس، حبّ، ساء، خلا، عدا، حاشا من أمثلة ذلك قولنا :

- بئس الولد العاصي .
- نعم العبد المؤمن .
- أخذ الفقير صدقة .
- جعل الله الجنة سكنا للمؤمنين .
- نعمل صالحا عسى أن يرضى عنا الله تعالى .

من روائع ما ورد في النص القرآني قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [2].

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[3].

﴿ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾[4].

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[5].

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[6].

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[7].

1- ينظر :المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 318.
2- الملك : آية (6).
3- الملك : آية (23).
4- القلم : آية (32).
5- نوح : آية (7).
6- نوح : آية (16).
7- الفيل : آية (5).

كل الأفعال التي وردت في الآيات السالفة جاءت جامدة التزمت صورة صوتية واحدة أما النوع الثاني من الفعل الجامد هو ما دل هذه المرة على الحدوث بعد زمن التكلم (أي الأمر) ويتمثل في الفعلين : هب، وتعلم، اللذان يكونان بمعنى : ظن، وأعلم ، والنوع الثالث والأخير منه : هو ما دل على حدوث الفعل في زمن التكلم – في عرف علماء النحو – أو بعده (المضارع) وهي : يهيط التي تكون بمعنى يصيح وكذا الفعل أهلم، أها [1]...

المطلب الثاني الفعل المتصرف : وهو الفعل الذي يمتلك القدرة على التحول وهذا النوع من الأفعال يأتي على ضربين اثنين هما :

أولا : الفعل ناقص التصرف : من هذا النوع نستطيع أن نأتي بالماضي، وحتى بالمضارع، وله العديد من النماذج أهمها :

- زال ومضارعه يزال .
- برح ومضارعه يبرح .
- فتئ ومضارعه يفتأ .
- انفك ومضارعه ينفك .
- كاد ومضارعه يكاد .
- أوشك ومضارعه يوشك .

و الأمر منه نحو :

- يدع ...دع .
- يدر ...در [2] .

من ذلك قولنا :

- أوشك المطر أن يهطل .
- يبرح الحارس واقفا .
- ينفك زيد قائما .

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 310.
2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 311.

وكل هذه الأفعال السالفة الذكر تحتاج لاسم ترفعه، وخبر تنصبه وقد تستعمل في الماضي بالنفي ؛ أي أنها تقترن بدخول أداة النفي ما .

مثل قولنا :

- ما زال خالد مدرسا .
- ما انفك خالد مدرسا .
- ما فتئ زيد يدرس .
- ما برح زيد قائما .

وكما نرى كل هذه الأفعال المسبوقة بالنفي تفيد الاستمرار ومن وجهة نظر النحويين عند الإعراب تعرب وكأنها كلمة واحدة، ولا تعرب ما النفي لوحدها والفعل لوحده .

المبحث الخامس دلالة الفعل حسب زيادة الكمية الصوتية :

من خلال الزيادة الصوتية للأفعال وصلت الأوزان في اللغة العربية إلى ثلاثة عشر وزنا يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : إن هذه الزيادة في الكمية الصوتية تشكل ما يمكن أن نطلق عليه " القرائن الصرفية الدلالية "، أو المورفيمات التي توصف بأنها عناصر صرفية صغرى ذات قيم تمييزية تكمن في الوظائف التي تؤديها[1]، إن المقصود بالقرائن الصرفية السوابق، والدواخل، واللواحق التي تؤدي في التركيب دلالات مختلفة على اختلاف أوزانها : أفعل، فعّل، فاعل، تفعّل، تفاعل، استفعل، افتّعل، انفعل، افعلّ ، افعوعل، افعالّ [2] .

المطلب الأول السوابق والدواخل واللواحق في اللغة العربية: أولا السوابق تتمثل في: حروف المضارعة همزة التعدية، حركة – صائت الإيصال – افتعل، الحركة والنون في انفعل .

الحركة والسين والتاء في استفعل، التاء في تفعل وتفاعل[3]، التاء + تضعيف العين (تفعل)، التاء والألف (تفاعل)، التاء والميم في تمفعل .

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 323.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 325.

3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 332.

من روائع ما ورد في النص القرآني من هذه الصيغ قوله تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾[2]

ثانيا الدواخل : تتمثل في مايلي :

- تاء الافتعال .
- التضعيف في مضعف العين من الثلاثي .
- الفاء المكررة في اللفظ نحو هدهد .
- الزيادة الصوتية الجرة – دحرج من درج، وبعثر من بثر[3] .

ثالثا اللواحق وتتمثل في مايلي :

- الضمائر المتصلة .
- نون الوقاية .
- حركات الإعراب .
- حروف الإعراب .
- علامات التأنيث .
- بعض حالات الجموع[4] .

أما الأبنية الثلاثية المعروفة للأفعال الماضية والمضارعة فهي :

فـعُلَ : وصيغته ليست تامة الفعلية كونها مقتصرة على ما دل على صفة .

فُـعِلَ : ومضارعه يفعلُ هذا اللون هو الأقرب إلى سمات الفعلية .

فَـعَلَ : هذه الصيغة المفتوحة تمثل حقيقة الصيغة الفعلية التي تدل علة كينونة الحركة[5] وفي هذا المبحث سنرى كيف تتحول دلالة الأفعال من صيغة إلى أخرى .

1- الملك : آية (1).
2- الجن : آية (1).
3- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص :333.
4- ينظر : المرجع نفسه، ص : 333.
5- ينظر : المرجع نفسه، ص : 334.

من روائع ما ورد في النص القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ...** ﴾[1].
- و قال أيضا : ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ﴾[2].
- و قال : ﴿ **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا...**﴾[3].

وكل من الأفعال خلق، وسأل، وجعل جاءت على وزن فعل بالفتح وكلها مثلت الفعل في صورته الحقيقية فعل الخلق، وفعل السؤال ... الخ، يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : يقابل هذه الصيغ التي وردت في الآيات الكريمة ثلاث صيغ سماعية المتجه . وقيد القوم : إذا وردت الصيغة وعينها، أو لامها، حرفا حلقيا، كانت عين المضارع منها مشكلة بالصائت القصير الفتحة[4]، ويقول أيضا (... إن ذلك يفسره قانون الاختزال، اختزال الجهد الصوتي ؛ لأن الحروف الحلقية الستة الهمزة، والهاء، والعين والحاء، والخاء والعين ... تتميز بالنطق الإنتاجي المفتوح)[5].

ثم يواصل كلامه فيقول : (مما تتناسب معها حركة الفتحة ؛ لأنها حركة أمامية متسعة، بالإضافة إلى أن الكثرة الغالبة من هذه الأفعال تقابلها نسبة ترددية، عالية للأصوات الحلقية بالقياس إلى الأصوات الأخرى ...) [6] .

نلاحظ من خلال حركة السوابق واللواحق التي تتصل بالأفعال أن هذه تتسع إلى دلالات أخرى غير محدودة مثل قولنا : خالد ينفع ويضر، زيد يصل ويقطع، حذف المفاعيل هنا جعلت الأفعال تتمدد في دلالات واسعة . وسنحاول في المطلب الثاني شرح الدلالة السياقية للفعل بداية من التعريف اللغوي .

1- الملك : آية (2).
2- المعارج : آية (1).
3- نوح : آية (16).
4- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص :334.
5- ينظر : المرجع نفسه، ص : 334.
6- ينظر : المرجع نفسه، ص : 334.

المطلب الثاني الدلالة السياقية للأفعال في النص القرآني :

تكون من خلال السياق من روائع ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾[1]، الفعل همت الذي ورد في قصة النبي يوسف عليه السلام هذه المادة (هـ / م / م) في اللغة العربية تحمل دلالة حسية [2]، تدور حول معان كثيرة : أهمها : الذنوب، والجريان، والدبيب وينتقل استعمال هذه المادة للدلالة على فعل العرض أو الشيخوخة في الأجسام وقد يتسع الاستعمال لتصبح في الأخير تدل على الحزن وهو ما هم به الرجل في نفسه وأول العزيمة ويقال هذا الرجل همّك من رجل حسبك والقلق، والأمر الشديد[3]، يقول الراغب الأصفهاني : (... الهم الحزن الذي يذيب الإنسان . يقال : همت الشحم فانهم، والهم : ما هممت به في نفسك وهو الأصل ...)[4]. وقد أشار الأصفهاني إلى أن هذا الفعل الذي يحمل معان كثيرة ورد في مواضع متعددة من النص القرآني من روائع ذلك :

قال تعالى : ﴿ **إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ** ﴾[5].

و قال تبارك وتعالى : ﴿ **إذ همّت طائفتان منكم** ﴾[6].

و قال أيضا في موضع آخر : ﴿ **لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ** ﴾[7].

إن الدلالة التي تفهم من الفعل هم هي إرادة الفعل كونها لا توحي بأكثر من هذا خاصة في الآية الأولى

1- يوسف : آية (24).

2- ينظر : عماد عبد يحي، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1 : 2009م، ص : 209.

3- ينظر : المعجم الوسيط، قام بإخراج من الطبعة : الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر، الدكتور عطية الصوالحي، محمد خلف الأحمر، أشرف على الطبع : حسن علي عطية، محمد شرفي أمين، د- ط، د- ت، ج1/ 2، ص : 1033.

4- ينظر : العلامة الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص : 845.

5- المائدة : آية (11).

6- آل عمران : آية (122) .

7- النساء : آية (113).

هذا عن أحوال الفعل بصفة عامة، سواء كان الفعل اللازم أو الفعل المتعدي، من جهة أخرى توجد مكملات تشترك بين الفعلين اللازم والمتعدي، ولذلك يرى النحويون أن هناك مجموعة من الأسماء المنصوبة غير المفعول في الجملة الفعلية، وأن هذه الأسماء يمكن أن توجد في الجملة بغض النظر عن نوع الفعل فيها، متعديا أو لازما إذ هما سواء في الحاجة إلى المنصوب من هذه الأسماء[1]، من بين هذه الأسماء :

المفعول المطلق : من روائع ما ورد في النص القرآني قول منزل التنزيل : ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾[2]، فلفظ حسابا مفعول مطلق منصوبا مكمل للفعل يحاسب . وقال أيضا : ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** ﴾[3]، والتبتيل هو مصدر بتل وتبتيلا مفعول مطلق مكمل للفعل تبتل .

المفعول فيه : من ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾[4]، فالحدث الذي سيقع في يوم غير معروف هو المكمل للفعل هنا والذي يتمثل في ظرف الزمان يوم .

المفعول له: يسميه النحاة باسم المفعول لأجله نحو قولنا : تجاوزت عن هفوة الصديق إبقاء على مودته يكمن المفعول لأجله في لفظ إبقاء ؛ أي لأجل المحافظة على مودة الصديق .

الحـال : نحو قول الله تعالى : ﴿ **إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا** ﴾[5]، فالله تعالى يصور حالة النبي نوح عليه السلام مع قومه الذين أظهروا له العداوة وكره الدين الإسلامي .

المفعول معه: نحو قولنا : جاء محمد مع علي، ونحو أهديتك بيتا بحديقته، وقس على ذلك بالنسبة لواو المعية... ورد هذا النوع من المكملات أو ما يسمى بالفضلة في الكثير من المواضع في النص القرآني ...الخ .

1- ينظر : علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط1: 1428هـ / 2007م، ص : 167.

2- الانشقاق : آية (8).

3- المزمل : آية (8) .

4- النور : آية (37). .

5- نوح : آية (8).

الفــصل الرابع :

ثنائيتا الفـــصل والوصـــــل .

المبحث الأول : تعريف الفصــل والوصل .

المبحث الـــــــثاني : مــواضع الــفــصل.

المبحث الثـــــــالث : مــواضع الــوصـل

المبحث الأول : تعريف الفصل والوصل :

تعد ظاهرتي الفصل، والوصل من الظواهر التعبيرية التي ترد في الكلام، سواء كان شفويا، أو مكتوبا وقد عرض المقعدون من أهل اللغة لها في ميادين الوقف، وهم يسجلون بياناتهم حول الصوائت، وعلاقاتها بالصوامت، ومنطقة السواكن مصرحين بأن معرفة بواطن هذه الظاهرة من الفنون الصياغية المهمة، الدقيقة المسلك، وإن مما يستدعي ضبط ملامحها، الإحاطة، والذوق الفني[1] ...

يقول الخطيب القزويني في تعريفه للوصل والفصل : (الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علما بكنهه، إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعا سليما، ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحا ...)[2] .

من خلال التعريف نقول : أن الفهم الحقيقي للفصل، والوصل يتطلب معرفة المواضع التي يقع فيها العطف بكل حروفه : الواو، والفاء، وثم، وأو، لتحقيق أغراض وفوائد من ورائها ... يقول الدكتور كمال الدين ميثم البحراني (ت 679هـ) : (... فائدة العطف التشريك فمن أدواته ما يفيد ذلك فقط، كالواو ومنها ما يفيد زيادة، كالفاء وثم الدالين على التعقيب، وإن اختصت ثم بالتراخي، ومثل أو فإنها تدل على الترديد [3]...)، من جهة أخرى يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني أن هذه الظاهرة تعد أهم معلم يصل بالعرب ويرقى بهم للوصول إلى أسرار البلاغة العربية وفيه يقول :(ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص وإلا قوم طبعوا على البلاغة العربية وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد . وقد بلغ من قو ة القول في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : " معرفة الفصل من الوصل " ذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا [4].

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 349.

2- ينظر : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح : محمد عبد المنعم خفاجي، د-ط، د-ت، م1، ج3، ص : 97.

3- ينظر : الإمام العلامة كمال الدين ميثم البحراني، أصول البلاغة، تحقيق : الدكتور عبد القادر حسين، دار الشروق، القاهرة، د- ط، 1401هـ / 1981م، ص : 103.

4- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 171.

يكمل لإحراز الفضيلة فيه حد إلا كمل لسائر معاني البلاغة [1]...)

تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن دقة هذه الظاهرة، (الفصل، والوصل)، وعن غموضها، وخفائها مبينا ذلك من خلال كلامه، فقال :

(واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه، أنه خفي غامض إلا وعلم هذا الباب أغمض، وأخفى، وأدق وأصعب . وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف : " إن الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله " لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك . وقد غفلوا غفلة جديدة)[2].

المطلب الأول تعريف الفصل :

أولا لغة : يدور مفهوم الفصل في اللغة العربية حول القطع، والبتر، والانفصال وإحداث قطيعة، أو ما يسمى بالحاجز بين شيئين .

جاء في المعجم الوسيط :

(... انفصل الشيء : انقطع . و— القوم عن مكان كذا فارقوه . والفاصل : يقال : حكم فاصل، وقضاة فاصل : ماض قاطع ... والفصل : المسافة بين الشيئين . و— الحاجز بين الشيئين . و_ ملتقى كل عظيمين في الجسد . والفرع يقال : للنسب أصول وفصول[3]).

يقال: (واحد فصول السنة الشمسية، وهي الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء . وأحد أجزاء الكتاب مما يندرج تحت الباب ...)[4].

1- ينظر : المصدر السابق، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص : 171.

2- ينظر : المصدر نفسه، ص : 177.

3- ينظر : المعجم الوسيط ، قام بإخراج من الطبعة : إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الأحمر، وأشرف على الطبع : حسن علي عطية، محمد شرفي أمين، ج1/ 2، ص : 724.

4- ينظر : نفسه، ج2/1، ص : 742.

ثانيا الفصل في اصطلاح علماء البلاغة العربية :

أما عن تعريف الفصل في اصطلاح علماء البلاغة العربية فهو يقوم بالأساس على عملية عطف الجمل على بعضها البعض وعليه فالفصل هو :

(ترك عطف الجمل بعضها على بعض، وحق الجمل إذا ذكر بعضها بعد بعض، أن تذكر بدون عطف لأن كل الجمل كلام مستقل بالفائدة، إلا أن أسلوب الكلام العربي غلب فيه أن يكون متصلا، بعضه ببعض، بمعمولية العوامل والأدوات أو بالإتباع أو بالعطف، فلا تذكر جمل الكلام ولا كلماته تعدادا إلا في المواقع التي يقصد فيها التعداد)[1].

من روائع ما ذكر من هذا النوع في القرآن الكريم قول منزل التنزيل : ﴿ **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ، فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ** ﴾[2]، وفي طريقة التحاور بين اثنين، نحو قولنا : سئل زيد، أجاب، كما قد يكون القصد منه إبراز الانفصال بين الجمل، وقد يكون إملاء الحسبان [3]...

و عن العطف يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : (واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها ... ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعلا مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به، أو فيه، أو له شريك له في ذلك ...)[4].

يوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني أن الاشتراك سواء كان في المفرد، أو في الجمل يكمن من الناحية النحوية في التوافق على حركة إعرابية واحدة طالما الثاني معطوفا على الأول، من ناحية أخرى يرتكز الجانب النحوي على ما هو صحيح، أو خطأ ضمن سلسلة التركيب الكلامي، في حين أن[5].

1- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الرئيسي، بيروت، ط1: 2002م، ص : 111.

2- الغاشية : آية (13/12).

3- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 111و ما بعدها بتصرف .

4- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 171.

5- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 350.

الجانب الأسلوبي يعتمد التفكيك والتركيب على محاور الإنتاجية من أجل رصد حركة الجمال الفني القائم على تحريك مادة الشكل فوق مستويات الرقعة الأسلوبية، وإنضاجها مع هذه الظاهرة[1] .

المطلب الثاني تعريف الوصل :

أولا الوصل في اللغة :

هذا اللفظ (الوصل) عكس الفصل وهذه الثنائية المتغايرة تشكل ظاهرة فنية رائعة التركيب، إذا كان محور ما يدور حوله الفصل هو : البتر، والانفصال، والقطع كما أسلفنا الذكر فإن لفظ الوصل يدور حول محور الاتصال، والجمع، والضم، جاء في المعجم الوسيط : (...وصل فلان يصل وصلا : دعا دعوى الجاهلية بأن يقول : يا آل فلان . و_ الشيء بالشيء وصلا وصله : ضمه به وجمعه ولأمه .

يقال : وصلت المرأة شعرها بشعر غيرها . وفلانا وصلا، وصله : ضد هجره يكون في عفاف الحب ودعارته . يقال : وصل حبله بفلان وبرّه ...)[2] .

من روائع ما في القرآن الكريم : قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ** ﴾[3]. وقال تبارك وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز : ﴿ **مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ**﴾ [4]، لقد ورد لفظ الوصل في الكثير من المواضع في النص القرآني وكلها تدور حول محور واحد يدل على المعاني السالفة الذكر وبالتالي حين نتأمل المادة اللغوية نجدها تجمع في سياقاتها على أن العطف وصول بين أشياء أو بين أطراف الشيء الواحد [5].

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 350 .

2- ينظر : المعجم الوسيط، ج2/1، ص : 1080.

3- القصص : آية (51).

4- المائدة : آية (103).

5- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 131، وما بعدها بتصرف.

ثانيا الوصل في الاصطلاح :

حظي العطف بدراسة كبيرة من قبل علماء النحو الذين قسموه إلى : عطف البيان، وعطف النسق، وعن القسم الأول (عطف البيان) يوضح ابن هشام هذا النوع بأحد الأبيات الشعرية :

(...يقول ابن هشام : كقول الشاعر* :

أَنَا ابْنُ التَّارِكُ البَكْرِي بَشَرٌ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعَا[1])

يكمن عطف البيان هنا في لفظ بشر التي قد تبدو للقارئ أنها بدل من اللفظ الذي قبلها وهو البكري، ولكنها ليست كذلك .

ولتوضيح هذا الجدل يقول الدكتور حواس بري : (... لا يجوز أن يكون بدلا منه ؛ لأن البدل في نية إحلاله محل الأول بحيث لا يمكن أن يقول الشاعر أنا ابن التارك بشر ؛ لأنه لا يضاف ما فيه الألف واللام نحو : (التارك) إلا لما فيه الألف واللام نحو : (البكري)[2] .

أما عن القسم الثاني يقول : (... هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف، وهي الواو التي تفيد مطلق الجمع والياء ...الخ، وأخواتهما)[3]، لا يقتصر العطف بالواو عند ابن هشام على الجمع بين المتعاطفين بل يدل على وظائف أخرى مثل الترتيب، وقد يكون عكس الترتيب[4].

*الشاعر هو : أبو حسان المرار ابن سعيد ابن نضلة ابن الأشتر الفقعسي، وهو من الشعراء الإسلاميين، ينظر : جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى ضبطه على المخطوط، وصححه : يوسف الشيخ محمد البقاعي، ص : 400، تطرق ابن هشام في هامش كتابه إلى التعريف بالشاعر .

1- ينظر : المصدر نفسه، ص : 400 .

2- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 132.

3- ينظر : جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص : 402.

4- ينظر : المصدر نفسه، ص : 403.بتصرف

فعندما نقول مثلا : – دخل محمد وعلي .

– نجح خالد وزيد .

من الاحتمالات التي وضعها ابن هشام الأنصاري الاشتراك ؛ أي قد يكون فعل الدخول بين محمد وعلي مشترك بينهما في وقت واحد، فكلاهما قاما بعمل الدخول وبهذا يكون محمد الفاعل الأول للفعل دخل، وعلي هو الفاعل الثاني له .

وفي المثال الثاني أيضا قد تفيد الواو هنا الاشتراك في فعل النجاح بين خالد، وزيد ؛ لأنه من المحتمل أن يكون النجاح قد حصل بين الاثنين معا في وقت واحد، في هذه الحالة تسمى الواو هنا بواو المعية، وأبين من ذلك ما ورد في الكتاب العزيز قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**﴾[1] .

الواو التي وردت هنا في الآية الكريمة هي واو المعية، والتي أفادت اشتراك فعل رفع قواعد بيت الله تبارك وتعالى بين النبي إبراهيم، والنبي إسماعيل عليهما السلام في وقت واحد، كما صور تعالى حالة الخوف التي أيضا اشتركا فيها وهي صفة معنوية من خلال حرف الواو .

يقول السعدي في تفسيره : (أي : اذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما _ مع هذا العمل _ دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما، حتى يحصل فيه النفع العميم . ودعوا لأنفسهما، وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته خضوع القلب، وانقياده لربه، المتضمن لانقياد الجوارح ...)[2] .

صور السعدي في كلامه اشتراك الحالة النفسية التي كان يعيشها كلا منهما ؛ لأنهما كانا يقومان بفعل الرفع معا، وبالتالي أفادت الواو هنا، من الناحية النحوية، ومن جانب التصوير النفسي، الاشتراك بين فاعلين القيام بفعل واحد في وقت واحد .

1- البقرة : آية (127).

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 51 / 52.

لنعد إلى المثالين السابقين وهذه المرة قد تفيد الواو الترتيب فقولنا : دخل محمد وعلي ونجح خالد وزيد، والمعنى الثاني في الاشتراك قد يكون الترتيب ؛ أي ترتيب فعل الدخول بين محمد وعلي، وترتيب فعل النجاح بين خالد وزيد .

و أبين من ذلك وأوضح قول منزل التنزيل: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ،وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ،وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا** ﴾[1]، الترتيب يبدو واضحا من خلال السياق الذي ذكرت فيه الواو، فزلزال الأرض جعلها تخرج الأثقال التي كانت في باطنها وهي صورة بيانية رائعة التصوير بارعة التعبير حيث شبه الله تعالى هنا في هذا الموضع الأرض بالمرأة أو الأم الحامل التي تخرج ما في بطنها وقت الولادة، وهذا الحال الذي جعل الأرض تخرج ما فيها وقت الزلزال يضع الإنسان في خانة التساؤل عن حال الأرض مالها ؟

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ : (الزلزلة هي : الحركة العنيفة والاضطراب الشديد : استعمل في الحسيات فقيل : زلزل الإبل ساقها بعنف حتى يضرب سيرها ... وتزلزلت الأرض، اهتزت وارتجفت، ثم استعمل في الشدائد والأهوال ... وإضافة الزلزال إلى ضمير الأرض، متسق مع التلقائية الملحوظة في هذه الآية وما بعدها في إخراج الأرض أثقالها وتحدث أخبارها وفيها أيضا لفت إلى المعهود المعروف من الزلزلة)[2].

وعن سؤال الإنسان وحيرته تقول : (... " وقال الإنسان ما لها " السؤال واضح فيه معنى العجب والدهشة، والخوف والقلق والترقب ... والإنسان هنا هو الإنسان، على الإطلاق، تروعه الزلزلة العنيفة وما أعقبها إخراج الأرض أثقالها فيسأل في دهشة وتعجب : مالها ؟) [3].

ومن جهة أخرى أسارت الدكتورة عائشة عبد الرحمن إلى أن بعض المفسرين قد أشاروا إلى أن الإنسان المقصود هنا هو الإنسان الكافر وهي لا تؤيد هذه النظرة بحجة أن اللغة لا تعين على هذا

1- الزلزلة : آية (3/2/1).

2- ينظر : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ط4 : 1394هـ/ 1974م، ج1، ص : 83 وما بعدها .

3- ينظر : المرجع نفسه، ج1، ص : 86.

التخصيص كما أن الاستعمال للفظ الإنسان لا يؤيده[1] .

و المعنى الثالث الذي تحدث عنه ابن هشام قد تكون الواو تفيد عكس الترتيب فقولنا :

- دخل محمد وعلي .
- نجح خالد وزيد .

أي قد يكون دخول محمد وزيد على غير الترتيب، وقد يكون نجاح خالد وزيد أيضا على غير ترتيب وأبين من هذا كله قول منزل التنزيل : ﴿ **مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا** ﴾[2].

يقول السعدي في تفسير هذه الآية :

(...إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار، يموت أناس ويحيا أناس، ومن مات فليس يراجع إلى الله، ولا مجازيه بعمله ...الخ)[3].

التفسير من الجانب النحوي الواو التي وردت في الآية الكريمة تدل على عدم الترتيب في الموت والحياة لأنهم ذكروا الموت قبل الحياة والعادة التي تجري يحيا الناس ثم يموتون في الدنيا .

يقول ابن هشام: (... وكما فهم عكس الترتيب في قوله تعالى إخبارا عن منكري البعث : " ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا " ولو كانت للترتيب، لكان اعترافا بالحياة بعد الموت، وهذا الذي ذكرناه قول أكثر أهل العلم : من النحاة وغيرهم ... الخ)[4].

من خلال حركة الشواهد القرآنية يمكن القول أن الواو العاطفة عند بن هشام الأنصاري تدل على المعية كما ورد في الآية الأولى، والمصاحبة كما قد تدل على الترتيب نحو الآية الثانية، وعلى عكس الترتيب الذي قال فيه أنه نادر الحدوث، وفيه يقول : خلاصة القول أن الواو العاطفة تدل على المعية والمصاحبة بكثرة، كما تدل على الترتيب غالبا، وأما دلالتها على عكس الترتيب فقليل[5] .

1- ينظر : المرجع السابق، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص : 86.
2- الجاثية : آية (24).
3- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 744.
4- ينظر : جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص : 404.
5- ينظر : المصدر نفسه (في هامش الصفحة : 404).

وبهذا يخالف ابن هشام الأنصاري النحاة واللغويين الذين قالوا أن الواو العاطفة تحمل وظيفة واحدة تتمثل في : الجمع بين المتعاطفين من خلال حركة الشواهد القرآنية السالفة الذكر .

يقول حواس بري : (... وبين ابن هشام أن العطف بالواو لا يفيد مجرد الجمع بين المتعاطفين، بل يؤدي وظائف أخرى، وكان بذلك يرد على السيرافي حين قال : أجمع النحويون، واللغويون من البصريين، والكوفيين على أن الواو للجمع من غير ترتيب ...)[1] .

وعلى العموم هذه الأدوات التي تساهم في البناء السطحي والدلالة العميقة لأي تركيب ورد فيه حرف من حروف العطف الآتية :

- الواو : التي حدث فيها جدالا بين اللغويين والنحويين كما ذكرنا سالفا من قائل بأنها تحمل عدة وظائف ويتزعم هذا الرأي ابن هشام الأنصاري، وآخر يرى أنها تقتصر على وظيفة الجمع بين المتعاطفين ويؤيد هذا الرأي السيرافي .
- لا : التي تفيد نفي الحكم عما ورائها .
- أو : للتقسيم والتخيير والإبا حة والإبهام .
- أم : والتي تحمل معنى : أي الاستفهامية وبل .
- إما : التي تؤدي دلالة أو في الخبر، والشك، والإباحة، والتخيير .
- بل : لتقرير نص الحكم .
- الفاء : للتعقيب .
- ثم : للإهمال .
- حتى : لبلوغ الغاية .
- لكن لإثبات الضد .

وعن طريق هذه الأدوات تتعامل ظاهرة الفصل والوصل مع المفرد، والتركيب، على مستوى النظم والدلالة فكل سياق تركيبي يستدعي واحد من هذه الأدوات ليكمل بنائه السطحي ودلالته العميقة [2] .

1- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 132.

2- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 350.

المبحث الثاني مواضع الفصل : سجل علماء البلاغة العربية مواضع يجب أن يتم فيها الفصل بين الجملتين نذكرها على التوالي :

المطلب الأول كمال الاتصال بين الجملتين :

يقصد به أن يكون هناك اتصال، واتحاد بين الجملتين، وهذا الأمر لن يتحقق إلا إذا كانت الجملة الثانية توكيدا للجملة الأولى التوكيد الذي يرد على صنفين التوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي .

أولا التوكيد اللفظي : يقصد بالتوكيد اللفظي أن يكون مفهوم الجملة الأولى، والثانية مفهوما واحدا [1]؛ أي أن يكون مفهوم الجملة الثانية هو نفسه المفهوم الذي نفهمه من الجملة الأولى، نقول مثلا :

- اعتني بأخيك ، أخيك زيد .
- الصدق، الصدق .
- الأمانة، الأمانة .

لفظ أخيك الثاني هو توكيد لفظي للفظ الأول (أخيك) وكذلك نفس الأمر بالنسبة للمثال الثاني الصدق (اللفظ الأول) هو مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، وفعله محذوف وجوبا تقديره ألزم وفاعله ضميرا مستترا تقديره الضمير المنفصل أنت، والصدق الثانية هي : توكيد لفظي منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره وهكذا يكون التوكيد اللفظي بتكرار اللفظ مرتين في الجملة، ليتم التأكيد أكثر عن طريق اتحاد الجملتين في معنى واحد ؛ ففي المثال الأول تم طلب العناية بالأخ الذي لم يتم تحديده بالضبط، وفي الثانية ذكر اسم الأخ من هو وبالتالي تعبر الجملة الأولى والثانية : عن العناية بزيد، وكذلك ورد التوكيد اللفظي في التركيب الثالث فلفظ الأمانة الأول يتكون من مفعولا به، وفعل محذوف، وفاعل مستترا مقدرا بضمير منفصل، ولفظ الأمانة الثاني هو توكيد لفظي منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، والجملة الأولى في التركيب هذا والجملة الثانية يشتركان في مفهوم واحد يدور حول الإغراء مثلما ورد في التركيب الثاني .

1- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 113.

من روائع ما ورد في النص القرآني من التوكيد اللفظي .

قال الله تعالى : ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾[1]، فالتركيب هنا يشتمل على جملتين، وإذا تأملنا الجملة الأولى، والثانية وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى ؛ لأن الجملة الثانية وهي : أمهلهم رويدا، جاءت توكيدا للجملة الأولى وهي : فمهل الكافرين، علما أن التوكيد بين الجملتين حصل دون حضور، أو دون وجود أداة من أدواة العطف المذكورة سالفا، وربما هذا الذي زاد التركيب تأكيدا

جاء في تفسير السعدي : (... في قوله تعالى : " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " أي : قليلا، فسيعلمون عاقبة أمرهم، وذلك حين ينزل بهم العقاب)[2].

إن المعنى الذي يدور حوله التركيب في الشاهد القرآني في كلا الجملتين موضوع الكافرين اللذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى أمهلهم أي اصبر عليهم قليلا سيأتي الوقت الذي يدركون فيه عاقبتهم في الوقت الذي ينزل بهم عذاب المولى تعالى كما وعدهم في الدنيا .

يقول محي الدين الدرويش : (...و الفاء فصيحة، أي : إن شئت أن ترى مغبة أمرهم، فلا تستعجل بالانتقام منهم، ومهل فعل أمر، والكافرين مفعول به، وأمهلهم كرر فعل الأمر تأكيدا لرسوله، وزاد في الصيغة لزيادة تسكين قلبه وتصبيره ورويدا نصب على المصدر، والأصل : إرودا، فهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد ... وتأتي رويد زيد اسم فعل بمعنى : أمهله، وهو مشتق من مسماه الذي هو أرود، وأصله : المصدر الذي هو إرود، وصغر بحذف الزوائد تصغير الترخيم، ومثله : تيد زيدا في معنى رويدا زيدا ...)[3].

ما يفهم من كلام المفسرين أن التكرار يكون لتأكيد أمر ما، وفي هذا التركيب كان التكرار لأجل تأكيد أمر الكافرين للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمرا من الله تعالى له بإعطاء الكافرين قليلا من الوقت حتى يلاقوا يومهم الموعود .

1- الطارق : آية (17).

2- ينظر : : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 880 بتصرف .

3- ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، م8، ج 30، ص : 280.

من روائع ما ورد في النص القرآني أيضا قول منزل التنزيل:﴿ ... **مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[1]، يقول السعدي في تفسيره : (... وذلك أن يوسف أعطي من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين . فلما تقرر عندهن جمال يوسف الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز شيء كثير ؛ أرادت أن تريهن جماله الباطن بالعفة التامة ؛ وقالت معلنة لذلك، ومبينة لحبه الشديد غير مبالية، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة : " ولقد راودته عن نفسه فاستعصم " ...)[2]، قصة سيدنا يوسف عليه السلام معروفة مع امرأة العزيز التي حاولت أن تغريه لفعل الفاحشة، والوقوع به في معصية الله تعالى، لكن إيمانه القوي بالله عز وجل، وبالدين الإسلامي جعله ينفذ من هذه المعصية فبرأه تعالى بشهادة شاهد من أهلها .

ولما سمع النسوة بهذا الخبر وجهن لومهن لامرأة العزيز على ما فعلته من خيانة لزوجها ولما سمعت هذه الأخيرة بهذا اللوم أرسلت لهن فلما جئن ودخل عليهن النبي يوسف عليه السلام قطعن أيديهن بالسكاكين التي كانت قد أعطتهم لهن امرأة العزيز والقصد من هذا كله لترى مدى صبرهن عليه، ولما رأينه قلن : " ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم " وفي قولهن هذا توكيد لفظي يكمن في التكرار ؛ تكرار اسم الإشارة هذا لتأكيد صفة الملك في الجملة الثانية : إن هذا إلا ملك كريم، ونفي صفة البشر عن النبي يوسف عليه السلام في الجملة الأولى : ما هذا بشرا .

وإذا تأملنا الشاهد القرآني نجد أنه يتركب من جملتين بينهما اتحادا تاما في المعنى فالجملة الثانية وهي : إن هذا إلا ملك كريم، جاءت توكيدا للجملة الأولى : ما هذا بشرا . والمعنى الذي تدور حوله الجملتين هو موضوع النبي يوسف عليه السلام، يقول الدكتور حواس بري : (... وهكذا يتبين أن التوكيد اللفظي البلاغي أحد مسوغات فصل الجملة الثانية عن الأولى لكمال الاتصال بينهما[3])، ففي قول الله تعالى : " **مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** "[4]، حكاية عن النسوة في حق يوسف عليه السلام ...)[5].

1- يوسف : آية (31) .

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 373.

3- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 113.

4- يوسف : آية (31) .

5- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 113 .

ثانيا التوكيد المعنوي :

أشهر ألفاظه : نفس، عين، كلا، كلتا، جميع، عامة، شريطة أن يسبقها المؤكد الذي يجب أن يكون معرفة، وأن تطابقه في الإعراب وأن تضاف إلى ضمير يعود إلى المؤكد[1] من ذلك قولنا مثلا :

- حفظت القرآن الكريم، كله .
- دخل خالد، نفسه .
- نجح التلاميذ، عامتهم .
- خرج الولدان، كلاهما .
- حضر الأقارب الوليمة، جميعهم .
- أرسلت الكتاب، عينه .

فكل من الألفاظ الواردة في الشواهد أعلاه : كله، نفسه، عامتهم، كلاهما، جميعهم، بعينه، توكيدا معنويا زادت من تأكيد الجمل التي سبقتها :

- حفظت القرآن الكريم .
- دخل خالد .
- نجح التلاميذ .
- خرج الولدان .
- حضر الأقارب الوليمة .
- أرسلت الكتاب .

ففي المثال الأول : حفظت القرآن الكريم كله، إذا تأملنا في هذا التركيب نجد أنه عبارة عن جملتين تتفقان في معنى واحد بحيث زادت الجملة الثانية : كله، من تأكيد الجملة الأولى حفظت القرآن الكريم، المكونة من الفعل والفاعل والمفعول به + الفضلة (الكريم مضاف إلى القرآن مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره)، وقس على هذا في بقية التراكيب الأخرى التي يتكون كل منها من جملتين، تعمل الثانية فيها على توكيد، الجملة دائما . من روائع ما ورد من التوكيد المعنوي في القرآن

1- ينظر : عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص : 378.

الكريم قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ،أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ...** ﴾[1]، في الآيات الكريمة حدث الفصل المعنوي بين الجملة التي قال فيها الله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى " والجملة التي قبلها وهي : " الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون " بحيث زادت الجملة الأخيرة التي ذكرت في بداية كلامنا من تقرير و، وضوح المعنى في الآية التي سبقتها فالله تعالى في هذه الآيات الكريمة يتحدث عن المنافقين الذين إذا ما التقوا بالمؤمنين بينوا لهم وجه الإيمان الظاهر منهم، وأظهروا لهم أنهم يسيرون على درب الدين الإسلامي، وأنهم دائما مع المؤمنين في طاعة الله ورسوله، لكنهم حين يذهبون إلى شياطينهم الذين هم بالمقابل أكبر منهم، يقولون لهم نحن معكم، وإنما قلنا ما قلناه للمؤمنين من باب الاستهزاء بهم فقط .

جاء في تفسير السعدي : (... هذا من قولهم بألسنتهم، أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، وإذا خلوا إلى شياطينهم أي رؤسائهم وكبرائهم في الشر قالوا : إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزئون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنّا على طريقتهم فهذه حالهم الظاهرة والباطنة، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ...)[2]، ولكن الله تعالى أقوى منهم، وأقدر فمن نفاقهم هذا يستهزئ الله بهم عقابا لهم على ما فعلوه، يقول السعدي : (وهذا جزاء لهم على استهزائهم بعباده، فمن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم ومن استهزائه بهم يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نورا الخ ...)[3].

هذه الطائفة من الناس التي تظهر وجهين الظاهر الجميل لتتزين به، والباطن الذي هو في الحقيقة خلاف الظاهر بغية الاستهزاء بمن هم أعلى منهم مرتبة يوم القيامة عند الله تعالى، يرد عليم الله بطريقة الاستهزاء ولكنهم من شدة غبائهم ظنوا أنهم مع المؤمنين وقد قطعت جملة (الله يستهزئ بهم) عن الجملة التي سبقتها كما قال السكاكي " القطع للوجوب " لأنها ليست من مقول المنافقين

1- البقرة : آية (14) وما بعدها .

2- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 29.

3- ينظر : المصدر نفسه، ص : 29.

و إنما هي أخبار من الله عنهم، ولو عطفت على ما قبلها لفسد المعنى لاختلاف حكمهما ولاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله معطوفا على ما هو حكاية عنهم، قال الزمخشري عنه هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة [1]، هذه الطائفة التي استهزئ بها الله تعالى والتي ظنت كما أسلفنا الذكر أنها محشورة يوم القيامة مع المؤمنين نقول استهزئ بهم الله فما فعلوه أنهم اشتروا الضلالة بالهدى لكن تجارتهم باءت بالفشل، يقول السعدي في تفسير الآية الكريمة : (... أولئك، أي : المنافقون الموصوفون بتلك الصفات، الذين قال فيهم الله تعالى : " الذين اشتروا الضلالة بالهدى " أي : رغبوا في الضلالة رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان، النفيسة وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة التي هي غاية الشر كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن فبذلوا الهدى رغبة عنه، بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم ...[2]).

إن هذا التفسير الذي ورد عن الآية الأخيرة، والذي ضم الحديث عن حال المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى وهذا البيع والتبديل المجازيين زاد من توكيد، وتقوية وتقرير المعنى في الآية التي سبقتها، هذه الأخيرة التي عبرت عن استهزاء المولى لهذه الطائفة التي كانت تظن نفسها عالية المقام كونها استهزأت بالمؤمنين وقد كان الله يستهزئ بهم بأن أمدهم في طغيانهم، أي زاد من طول الحبل الدنيوي لهم حتى جعلوا حالهم بنفس مرتبة حال عباد الله الصالحين، ولتوضيح هذا الفصل الذي تم فعلا بين الجملتين الأخيرة والتي قبلها كما أسلفنا الذكر يقول محمد الطاهر ابن عاشور : (في الآية قوله : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى " فصلت الجملة عن التي قبلها لتفيد تقرير معنى ويمدهم في طغيانهم يعمهون فمضمونها بمنزلة التوكيد، وذلك ما يقتضي الفصل، ولتفيد تعليل مضمون جملة : " ويمدهم في طغيانهم يعمهون " فتكون استئنافا بيانيا لسائل عن العلة، وهي أيضا فذلكة للجمل السابقة الشارحة لأحوالهم)[3].

ويقول الدكتور حواس بري : (وهكذا اجتمعت عبارات كثيرة اقتضت الفصل في نظم الآيات ففيها التوكيد المعنوي والاستئناف البياني، وكانت الآية الأخيرة فذلكة، وشأنها عدم العطف ؛ وهذا مما يدل على أن الجمل المفصولة مستقلة بذاتها ...)[4]

1- ينظر : الزمخشري، الكشاف، ج1، ص : 35.

2 - ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 29.

3- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د- ط، 1985م، ج1، ص : 297.

4- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 114.

ثالثا البدل :

يعرفه النحاة بأنه : تابع مقصود بالحكم، أي أن معنى الكلام يتوجه إليه وحده ومع ذلك فهو يتبع اسما سابقا عليه يسمى المبدل منه، والنحاة يقررون أن البدل على نية تكرار العامل[1]، مثال : كان الرسول محمد أمينا، الأصل في هذه الجملة : كان الرسول كان محمد أمينا

أنواع البدل :

بدل الكل من الكل :

يسمى هذا من البدل ببدل المطابقة، أو البدل المطابق وهو الذي يساوي المبدل منه في المعنى مساواة تامة [2] مثل قولنا :

- مثل الخليفة عمر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم .
- الأمير عبد القادر من أصل جزائري .
- الإمام عبد القاهر من علماء البلاغة العربية .

فالخليفة هو عمر وعمر هو نفسه الخليفة، والأمير هو عبد القادر وعبد القادر هو نفسه الأمير، والإمام هو عبد القاهر، وعبد القاهر هو الإمام .

و أبين من ذلك كله وأروع ما ذكر في النص القرآني، قال الله تعالى : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...** ﴾[3].

الصراط هذا اللفظ الثاني هو بدل من الصراط اللفظ الأول وإذا تأملنا في اللفظتين نجد أنهما متساويتين، والقصد منه الهداية، والإرشاد والتوجيه إلى طريق ومسلك كل : الصالحين والنبيين والشهداء والصديقين ...و غيرهم .

1- ينظر : عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص : 382.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 382.

3- الفاتحة : آية (7/6).

يقول السعدي في تفسيره : (... أي دلنا، وأرشدنا ووفقنا إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط فالهداية إلى الصراط لزوم دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان ...)[1].

بدل البعض من الكل :

وهو الذي يكون جزءا حقيقيا من المبدل منه ولا بد أن يكون مضاف إلى ضمير يعود إليه[2] من أمثلة هذا النوع من البدل نقول مثلا :

- ضرب المعلم التلميذ يده .
- ما دخل الطلاب إلا خالد.
- ما حضر الأساتذة إلا أستاذي .

فيده : بدل بعض من كل منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، وخالد : بدل بعض من كل مرفوع وعلامة رفعه الضمة لظاهرة في آخره، وأستاذي بدل بعض من كل أيضا مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة وهي الكسرة .

جاء في التطبيق النحوي : عالج الطبيب المريض رأسه _رأيت والديه أمه وأباه .

فالمريض مفعولا به منصوب ورأسه بدل بعض من كل منصوب وعلامة نصبه الفتحة والهاء في محل جر بالإضافة ومثل ذلك في الشاهد الثاني : فأم : بدل من كل وقد أشار عبده الراجحي أن الجملة التامة غير الموجبة يجوز إعراب الاسم الواقع بعد إلا فيها بدل بعض من كل :

ما حضر الطلاب إلا زيد[3] .

1- ينظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : 25.

2- ينظر : عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص : 382.

3- ينظر : المرجع نفسه، ص : 382 بتصرف .

بدل اشتمال : هذا النوع من البدل ليس جزءا من المبدل منه وإنما هو كالجزء منه أو يتصل به اتصالا من نوع ما[1]، وذلك نحو :

- أعجبني الحي نظافته .
- يعجبني خالد خلقه .

فالبدل في الجملة الأولى هو نظافته، وفي الثانية هو خلقه . من روائع ما ورد في النص القرآني من هذا النوع من البدل قول منزل التنزيل : ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ** ﴾[2]، يكمن هذا النوع من البدل في عبارة : قال كبيرهم، هذه الجملة بدل من عبارة : خلصوا نجيا ولتوضيح ذلك أكثر يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير : (... أما بدل الاشتمال فهو كقوله تعالى : " فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله " ... وجملة قال كبيرهم بدل من جملة خلصوا نجيا، وهو بدل اشتمال ؛ لأن المناجاة تشتمل على أقوال كثيرة ومنها قول كبيرهم هذا ...)[3].

ومن ذلك أيضا يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾ [4]، البدل في هذه الآية الكريمة يكمن في عبارة : أن القوة لله جميعا، التي هي بدل اشتمال من العذاب، وقد يكون بدل اشتمال من عبارة الذين ظلموا، يقول محمد الطاهر ابن عاشور : (وقوله : " أن القوة لله جميعا " بدل اشتمال من العذاب، أو من " اللذين ظلموا "، فإن ذلك العذاب من أحوالهم، ولا يضر الفصل بين المبدل منه والبدل لطول البدل، ويجوز أن يكون على حذف لام التعليل والتقدير لأن القوة لله جميعا)[5].

1- ينظر : المرجع السابق، عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص : 383.

2- يوسف : آية (80).

3- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص : 39.

4- البقرة : آية (165) .

5- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص : 95.

رابعا عطف البيان :

هذا النوع يرجعه النحاة في الحقيقة إلى بدل الكل من الكل، ويعرفونه : اسم جامد يتبع اسما سابقا عليه يخالفه في لفظه ويوافقه في معناه، للدلالة على ذاته ومثاله :

- قرأت مدائح الشاعر المتنبي للأمير سيف الدولة .
- تلقيت منه كتابا رسالة .

فكلمة المتنبي عطف بيان من الشاعر، ولفظ سيف الدولة عطف بيان من الأمير وكذلك لفظ رسالة، عطف بيان من كتاب[1] .

قال تعالى : ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[2]، في هذه الآية الكريمة عطف بيان يكمن في : جملة : خلقتني من نار هذه العبارة بيان لجملة : أنا خير منه ولهذا فصلت عنها [3].

خامسا عطف النسق :

يتم هذا النوع بواسطة حرف من حروف العطف المعروفة السالفة الذكر، سمي نسقا لأنه ينسق الكلام بعضه على بعض، في هذه الحالة يأخذ المعطوف نسق المعطوف عليه في أحكام معينة [4]، من ذلك

- دخل خالد وزيد .
- دخل خالد فزيد .
- دخل خالد ثم زيد .

فالحرف الأول الوارد في التركيب الأول أفادت الاشتراك، والحرف الثاني أفاد الترتيب أي : دخل خالد وبعده زيد، أما الحرف الثالث : (ثم) أفادت دخول الفاعل الأول وبعده الفاعل الثاني لكن بنوع من التراخي لأن وظيفة ثم التراخي ...

1- ينظر : عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص : 385.

2- الأعراف : آية (12).

3- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 8، ص :41.

4- ينظر : عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص : 386.

من روائع ما ورد في القرآن الكريم :

- قال تعالى :﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾[1].
- و قال أيضا : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾[2].
- و قال تبارك وتعالى : ﴿ **... رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ** ﴾[3].
- و قال جل اسمه : ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [4].
- و قال جل سلطانه : ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**﴾ [5].
- و قال أبضا : ﴿ **بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ** ﴾[6].
- و قال تعالى في موضع آخر من السورة نفسها : ﴿ **بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** ﴾[7].

في الشاهد القرآني الأول دل حرف العطف الواو على اشتراك فعل المجيء بين نصر الله تعالى، والفتح ؛ لأن كلاهما قاما بهذا الفعل، في الشاهد القرآني الثاني، دخول حرف العطف – الفاء – أفاد الترتيب من خلال السياق يتجلى ذلك بوضوح ؛ فبعد ما أعطى الله رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام نهر الكوثر، أمره تعالى بعد هذا العطاء : بالشكر عن طريق الصلاة، والنحر، في الشاهد القرآني الثالث، أفاد دخول الفاء الاشتراك، دخول ثم في الشاهد الرابع الإهمال لهؤلاء الطائفة التي وبخها الله تعالى، في الشاهد القرآني الخامس دخول حرف العطف الواو : الاشتراك في فعل التنزيل بين الملائكة والروح بإذن من الله تعالى .

1- النصر : آية (1) .
2- الكوثر : آية (2/1).
3- قريش : آية (2).
4- التكاثر : آية (4/3).
5- القدر : آية (4).
6- القيامة : (5).
7- القيامة : آية (14).

أما في الشاهد القرآني السادس، والسابع، دل دخول حرف العطف – بل – تقرير نص الحكم ؛ التقرير الذي دار حول الإنسان في كليهما . وهذا كله يسمى بعطف النسق الذي يتم بدخول إحدى أدوات العطف المذكورة سالفا .

و من خلال حركة أدوات العطف المدرجة ضمن الشواهد القرآنية، يتضح أن المعاني تختلف في التراكيب على اختلاف أنواع الحروف التي للربط بينها ؛ لأن كلا منها يختص بوظيفة لوحده، ومن خلال هذه الوظائف تظهر علاقة عناصر التركيب بعضها ببعض .

المطلب الثاني كمال الانقطاع : يحدث هذا النوع إذا كانت في الجملة الأولى سؤال يمكن إدراكه في الجملة الثانية وهذا ما يسمى بالاستئناف، وتختلف طبيعة الأسئلة من سؤال إلى آخر من سؤال يكون على سبب خاص، كما قد يكون السؤال عن سبب مطلق الحكم لا على التعيين، وقد يكون السؤال عن غير سبب ؛ أي بدون تعيين السبب، من روائع ما ورد في النص القرآني : قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** ﴾[1]، السؤال الوارد في الآية الكريمة عن سبب خاص .

يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير : (... أولئك مبتدأ مستقل مع جملته، فالجملة مستأنفة استئنافا بيانيا، لبيان سبب انغماسهم في عذاب النار ، لأنه وعيد عظيم جدا، يستوجب أن يسأل عنه فيبين بأنهم أخذوا الضلال ونبذوا الهدى، ، واختاروا العذاب، ونبذوا المغفرة، ومجيء المسند إليه حينئذ اسم إشارة لتفظيع حالهم لأنه يشير لهم بوصفهم السابق وهو ما أنزل الله من الكتاب)[2].

يمتاز أسلوب القرآن الكريم بهذا النوع من الأسلوب، ومما يدل على ذلك وجود العديد من الآيات الامتنانية، أي التي تدل على الامتنان وأخرى تدل على الاستدلال كما أنه يحفل بشريعة متميزة هي الأخرى تؤمن بالتفكير وتدعو إلى التأمل والحوار وتدفع العقل إلى التساؤل كل هذه وغيرها تجعل من موضوع الاستئناف معلما من معالم [3].

1- البقرة : آية (175) .

2- ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص : 125.

3- ينظر : حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 125 بتصرف .

النظم القرآني ؛ وقد جاء بالحجة ودعا الناس إلى التمسك بها [1].

قد تكون الجملة المستأنفة غير مقتصرة على السؤال فحسب ؛ بمعنى أنها قد ترد في تركيب عادي يخلوا تماما من وجود سؤال يتطلب الإجابة عنه في جملة أخرى وذلك نحو قولنا :

- دخل خالد حفظه الله .
- توفي أحمد رحمه الله .
- زيد لطيف أعتقد .
- خالد مؤمن أظن .

في المثال الأول بنية التركيب تتكون من فعل (دخل) وفاعل (خالد)، هذه الجملة تامة المعنى أما الجملة الأخرى : رحمه الله هذه جملة منقطعة عن الجملة الأولى ؛ لأن معنى الأولى قد تم بدون ايصالها بالثانية، وعليه تكون جملة : رحمه الله جملة مستأنفة، متكونة من : الفعل، والفاعل، والمفعول به، الذي ورد ضميرا متصلا بالفعل : رحم، وفي المثال الثاني جملة رحمه الله، جملة مستأنفة لأنها منقطعة عن الجملة الأولى المتكونة من الفعل والفاعل (توفي أحمد) والجملة المستأنفة المتكونة من الفعل والفاعل والمفعول به جاءت بعد معرفتنا بالإنسان الذي توفي وهذا ما يدل على أنها منقطعة عنها .

في الشاهد الثالث : زيد هو مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، ولطيف خبر للمبتدأ زيد مرفوع مثله وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، وبهذا تم معنى الجملة، والجملة أعتقد المتكونة من الفعل والفاعل الذي ورد ضميرا مستترا تقديره الضمير المنفصل أنا لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها جملة مستأنفة منقطعة عن الجملة الأولى، وفي الشاهد الرابع أيضا خالد هو مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، ومؤمن خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، والجملة الفعلية المتكونة من الفعل والفاعل الذي ورد ضميرا مستترا تقديره الضمير المنفصل أنا لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها جملة مستأنفة منقطعة عن الأولى .

1- ينظر : المرجع السابق، حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 125.

المبحث الثالث مواضع الوصل :

للوصل عدة مواضع نذكر منها : إذا اتحدت الجملتان خبرا وإنشاء دون الفصل بينهما لداع من الدواعي، وكذلك إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء ؛ أي جاءت إحداهما جملة خبرية والأخرى إنشائية، وقد يكون من مواضع الوصل أيضا وجود جملة لها محل من الإعراب ولكن المنشئ للتركيب يريد أن يدخل الجملة التي لا محل لها من الإعراب في إعراب الجملة التي لها محل من الإعراب .

المطلب الأول إذا اتحدت الجملتان خبرا وإنشاء :

من روائع ما ورد في النص القرآني مايلي : قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ،وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[1]، تتحد الجملة الأولى : إن الأبرار لفي نعيم مع الجملة الثانية : إن الفجار لفي جحيم كون أن كليهما جملة خبرية أكد فيها الله تعالى حال الأبرار في جنة النعيم أولا وأكد حال الفجار في نار جهنم .

وقال تعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ،وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا** ﴾[2] اتحدت الجملة : إذا زلزلت الأرض زلزالها مع الجملة : وأخرجت الأرض أثقالها، وكذا مع الجملة : وقال الإنسان مالها فكل الجمل التي وردت في الآيات الكريمة اتحدت في الخبرية فيما بينها وقد تتحد الجملتان في الإنشاء نحو قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ** ﴾[3].

يقول الدكتور حواس بري : (وهذا من عطف الإنشاء الطلبي حيث وصلت الجملة الثانية بالأولى ؛ لأنها تتفق معها لفظا ومعنى ...و الجملة المفصولة هي الموصولة من حيث المعنى العام للآية . وبها يتم المعنى حيث تكون كالحجة للكلام الذي سبقها ...)[4].

1- الانفطار : آية (14/13).

2- الزلزلة : آية (3/2/1).

3- البقرة : آية (150) .

4- ينظر : المرجع السابق، حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص : 134.

من روائع الاتحاد بين الجملتين أيضا :

قال الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى** ﴾[1].

الجمل التي تم عطف بعضها على بعض وردت أو اتحدت في الإنشائية ؛ لأنها وردت على صيغة الاستفهام وهذا الأخير هو أحد الأساليب الإنشائية .

قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ،وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ** ﴾[2]، كل الجمل التي وردت في الآيات الكريمة عطفت على بعضها البعض وكلها اتحدت في الخبرية .

وقال تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ **رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ...**﴾[3]، في هذا الشاهد القرآني أيضا تم عطف الجمل على بعضها البعض مثل : جملة أخرج ضحاها التي عطفت على جملة : أغطش ليلها، وجملة : والأرض بعد ذلك دحاها، التي عطفت على سابقتها أي على جملة : وأخرج ضحاها، وكل هذه الجمل اتحدت في الخبرية .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ،وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ...** ﴾[4]، الجمل التي وردت في الشاهد القرآني اتحدت في الإنشائية، معطوفة على بعضها البعض وردت بصيغة الأمر الذي هو أحد أنواع الأساليب الإنشائية .

وقال في السورة نفسها : ﴿ **... وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا، وَبَنِينَ شُهُودًا، وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا...**﴾[5]، من روائع الأسلوب القرآني أنه يمتاز بالتنوع في شتى الأساليب خصوصا إذا ورد التنوع في موضع واحد مثل هذه السورة التي تنوعت فيها الأساليب من جمل اتحدت في الخبرية كما ذكر في المثال أعلاه، إلى جمل اتحدت في الإنشائية كما ذكرنا في المثال السابق .

1- الضحى : آية (8/7/6).

2- القيامة : آية (9/8/7).

3- النازعات : آية (28) وما بعدها .

4- المدثر : آية (1) وما بعدها .

5- المدثر : آية (12) وما بعدها .

المطلب الثاني إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء :

قد ترد الجملة هنا في هذا الموضع خبرية والجملة الأخرى إنشائية أو العكس نحو قولنا :

- لا وحاسبك الله .
- لا ورحمك الله .
- لا ورعاك الله .
- لا وأعزّه الله .
- لا وأكرمك الله .
- لا وأنجاك الله .
- لا وهداك الله .

كل هذه الجمل التي وردت في الأمثلة أعلاه جاءت مبهمة لا يمكن للمتلقي أن يفهم المعنى المقصود من ورائها لأنها متنوعة بين الخبر والإنشاء لا يمكن أن نقول أن – لا – التي وردت في التراكيب أعلاه، لوحدها جملة إنشائية لأنها بالأول هي أداة وليست جملة، من ناحية أخرى حتى وإن اعتبرناها جملة واحدة مع الجمل التي تليها في كل تركيب لا يمكن للمتلقي أن يفهم معناها

يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : (إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء أي إحداهما خبرية، والأخرى إنشائية وكان الفصل يوهم خلاف المقصود كقولنا :

- لا وشفاك الله .
- لا وعافاك الله .
- ولا حفظك الله . وهذا كمال الانقطاع مع الإبهام ...)[1].

1- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 353.

على العموم تبقى الحروف التي تقوم عليها ظاهرتي الفصل والوصل هي التي تقود المتلقي وتحدد المعنى المقصود من كل بنية، من خلال الوظيفة التي تؤديها كل أداة من أدواة العطف : الفاء، والواو، ثم، أو، لا، بل ...الخ .

وهذه الحروف هي التي تحدد العلاقة بين العناصر التي ترد في السياق لتكشف في الأخير عن بنية النص القرآني، ومن خلال الشواهد القرآنية التي أدرجت في هذا الفصل يمكن القول أن المعنى المقصود من لفظ الفصل ليس هو كما ورد في المعنى اللغوي الذي يشير إلى البتر والقطع وإنما هو الولوج إلى عمق الدلالة التي تحكم العناصر في السياق ضمن علاقة تجعل الفكرة تصل بوضوح للمتلقي .

يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل :

(... والانفصال لا يتجه إلى البتر الكلي لجزئيات الدلالة بين التركيبين، وأن المعول عليه في مركزية الدلالة هو جملة العمق ...)[1].

و عن علاقة الفصل والوصل يقول :

(وتبقى العلاقة بين الفصل والوصل، علاقة نسبة وتناسب، تقوم على التوازن، والتكثيف، والتوازي، والطرد، والعكس، بحيث إذا كانت الدلالة تسير باتجاه عكسي مع المتلقي يجب الفصل إذا كان التركيب موصولا، أو يجب الوصل إذا كان التركيب مفصولا)[2].

1- ينظر : المرجع السابق، عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص : 354.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص : 354.

الخاتمة

الخاتـــــــمة :

سعينا في هذا البحث إلى إبراز بنية النص القرآني في ضوء المقاييس البلاغية التي طالما تحدث عنها البلاغيون مستشهدين ببيانها وتحليلها بالشواهد الشعرية حاولنا نقلها إلى حيز أرحب وأوسع هو القرآن الكريم وبالتحديد الجزئين الأخيرين، لنكشف من خلاله مدى سيرورتها في هذا البحر الذي لا ينضب، ونقف على أنواعها، وجماليات التعبير القرآني عنها .

وبعد أن تم لنا الوقوف على ما كنا نسعى إليه، نذكر أهم النتائج التي تمكنا من استخلاصها وهي :

1- يشير مصطلح البنية إلى المكونات والكيفيات التي شيد عليها النص القرآني، وقد توزعت على قسمين؛ الأول المكونات التركيبية في دراسة المقياس البلاغي الأول وهو علم المعاني، والثاني المكونات التشكيلية التعبيرية في دراسة المقياس البلاغي الثاني علم البيان .

فكانت الدراسة في القسم الأول دراسة نحوية دلالية، لما يوجد من ارتباط شديد بين علم المعاني وعلم النحو بينما كانت الدراسة في القسم الثاني دراسة للصور البيانية التي يلفها التشخيص والتجسيم، وإيضاح الخفي، وجعله ناطقا جليا .

2- من خلال دراسة أسلوب النص القرآني وجدنا أنه يزخر بالعديد من الظواهر البلاغية والسمات الأسلوبية التي كشفت عن كيفية نسج خيوطه المترابطة، والمنسجمة فقد غلب الأسلوب الخبري على الأسلوب الإنشائي الذي يخلو من الوجود الخارجي للكلام قبل النطق به، فالقرآن الكريم أولا وقبل كل شيء رسالة دينية، يجد الدارس فيه نبأ من قبلنا أي الأخبار التي حدثت في السابق ونبأ من بعدنا أي

الأمور المستقبلية التي ستحدث لاحقا أضف إلى ذلك أنه الكتاب الوحيد الذي يحكم يبننا بالحق في كل شيء، والأمر الثاني كونه رسالة لغوية للعلاقة الوثيقة التي تربط بينه وبين اللغة العربية وعلومها كعلم المعاني وعلم النحو وغيرها من العلوم الأخرى التي استمدت جذورها الأولى منه .

3- كثيرا ما اهتم علماء البلاغة العربية بظاهرة الحذف سواء تعلق الأمر بحذف المسند إليه أو المسند أكثر من الذكر كون الحذف سمة بارزة من السمات الأسلوبية تخالف الأصل وتخفي وراءها العديد من الدواعي والأسرار تشد الدارس لها دائما للبحث عنها، لذلك رأينا في الفصل الثاني المتعلق بثنائيتي المسند والمسند إليه أن الحذف أولا ورد في النص القرآني لكنه لم يمس مضمونه (النص القرآني) بقدر ما مس تركيب اللغة في حد ذاته، كون هذه الأخيرة (اللغة) هي التي تفرض على الجملة أنماطا تركيبية، قد يكون الحذف في حرف مثلما ورد في سورة الفجر في قوله تعالى (والليل إذا يسر) الحرف المحذوف هنا هو الياء مع أنه لم يسبق بأداة جزم من الناحية النحوية إنما حذفت الياء هنا من غير علة إشارة لعدم سريانه كما أشرنا سابقا، كما قد يكون في كلمة وقد يكون في تركيب ككل وغيره وعليه وجود ظاهرة الحذف في العديد من مواضع النص القرآني كان لتبيين مدى إعجازه، وكذلك بالنسبة لظاهرة التعريف والتنكير وظاهرة التقديم والتأخير، فالأصل كما هو معروف أن يكون المسند إليه معرفة كونه العنصر الثابت في الجملة ولكنه قد يكون نكرة لأسباب كثيرة مثل الإفراد والنوعية، والدلالة على الكثرة ...الخ .

والأصل أيضا أن يكون المسند إليه (المبتدأ) في صدارة الكلام إلا أنه في مواضع أخرى تكون الصدارة للمسند لأسباب ذكرت سابقا، هذه التغيرات التي تطرأ على المسند إليه والمسند على اختلاف نسبة وجودها في النص القرآني كلها تبين بصفة عامة مدى إعجاز القرآن الكريم .

4- في الفصل الثالث المتعلق بالفعل ومتعلقاته رأينا أن زمن الفعل الذي شغل حيزا كبيرا في النص القرآني هو المضارع، ذلك أن الفعل الماضي يدل في الأصل على أمرين اثنين هما: معنى الفعل الذي ندركه بالعقل، والثاني هو زمن حصول ذلك المعنى، أما السر في زمن الفعل المضارع يكمن في جعل المتلقي يشاهد الحدث أمامه، وكأنه سيتعايش معه، لأن الإنسان بطبعه لا يكون متفاعلا مع الماضي بقدر ما يكون متشوقا ومتفاعلا مع الشيء، أو الحدث الذي سيراه متجسدا أمامه فلو قلنا مثلا :سيتقدم العلم في ميدان الاكتشاف تقدما عجيبا، يكون الإنسان هنا متفاعلا مع هذا التطور المستقبلي لأنه سيتعايش معه لحظة بلحظة، أما إذا قلنا تقدم العلم في ميدان الاكتشاف تقدما عجيبا، لا يتفاعل الإنسان مع حركة التقدم العلمي والحيوية التي حدثت في السابق كونه وجد التطور والاكتشاف قد حصل في وقت مضى .

5- ورد الفعل المتعدي بنسبة كبيرة في النص القرآني مقارنة بالفعل اللازم وذلك لتثبيت الأفعال على اختلافها من الفاعل على المفعول به في كل مرة، وفي أغلب المواضع لإثبات قدرة الخالق عز وجل فهو الفاعل مرة في الخلق، ومرة في التزيين ...الخ، هناك أفعال أخرى لم ترد في الجزئين الأخيرين من النص القرآني مثل : أفعال اليقين، أفعال التحويل، أفعال الرجحان ...الخ .

6- الأفعال اللازمة هي الأخرى وردت بنسبة أقل من الأفعال المتعدية ولكن نسبتها تكاد تكون متقاربة معها، في هذا النوع يكتفي الفعل بفاعله وفيها يتم ويكتمل معنى التركيب، وفيه أيضا يتم إثبات الفعل من الفاعل دون أن يخل ذلك بالمعنى .

7- أما الفصل الرابع من هذا الباب بعد الدراسة اتضح أن النص القرآني زاوج ونوع بين الفصل والوصل ذلك أن هذه الثنائية ترمي وتزيد من تحديد جمال المعنى لتحقيق كمال الفائدة مع الإشارة إلى أن القرآن

الكريم وظف العديد من الأدوات الدالة على الوصل وكذلك نفس الشيء بالنسبة للفصل بمعنى أنه لم يقتصر على توظيف أداة واحدة فقط وبالتالي تصل الفكرة إلى المتلقي بوضوح وجلاء تام .

8- كنا قد أشرنا سابقا إلى أن الظواهر الأسلوبية التي وردت في الباب الثاني كان حظها قليلا جدا مقارنة بمواضيع الباب الأول فالتشبيه مثلا : ورد خمس مرات ككل في الجزئين الأخيرين أربع مرات تشبيه مرسل ومرة واحدة تشبيه التمثيل فهذا النوع من التشبيه له دور كبير في عملية الإقناع وإزالة الإبهام لأن التشبيه القرآني مميز عن التشبيهات الأخرى فمعانيه جيدة ودلالاته قوية وهي في النهاية لها دور كبير جدا في عملية إظهار إعجاز القرآن البلاغي، أما بالنسبة للكناية فقد وردت ككل أربع مرات، كناية عن موصوف وردت مرتين وكناية عن نسبة وردت مرتين فقد زادت من تحسين اللفظ وسبك العبارة وزادت من جمال وروعة الأسلوب، أما المجاز ورد حوالي اثنين وعشرون مرة، المجاز العقلي إحدى عشر مرة والمجاز المرسل بنفس الكم، لما فيهما من الإيجاز وسعة اللفظ، وإبراز المعنى في صورة دقيقة واضحة قريبة من الذهن، أما الاستعارة فقد وردت الاستعارة التصريحية أكثر من الأنواع الأخرى لأنها تجسم الأمور المعنوية، وكذلك المبالغة في إبراز المعنى ...الخ أما الأنواع الأخرى من الاستعارة منها ما ورد بنسبة أقل من التصريحية مثل الاستعارة المكنية، وبالمقابل هناك أنواع لم ترد في الجزئين الأخيرين من النص القرآني مثل : الاستعارة العامية، والاستعارة الخاصية والفاضلة، والهابطة والعنادية ...و غيرها .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

1- إبراهيم عبد الله رفيدة، الحذف في الأساليب العربية، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية، للنشر، لونجمان، ط1 : 1994م .

2- إبراهيم علي أبو خشب، الأدب والبلاغة مطبعة المعرفة، ط2 : 1958م .

3- ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د-ط، د- ت .

4- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق : عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2 : 1991م .

5- بن رشيق القيرواني أبي علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، قدم له، وشرحه، وفهرسه : صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار ومكتبة الهلال للطباعة، والنشر، بيروت، لبنان، ط1 : 1416هـ/ 1996م .

6- ابن عبد الله شعيب، البلاغة الواضحة علم البيان، دار الهدى للطباعة، والنشر، والتوزيع، عين مليلة الجزائر، د- ط، د- ت .

7- ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، راجعه : أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، دار الأصالة الجزائر، ط1 : 1426هـ / 2005م .

8- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر بيروت، د- ط، 198،م .

9- ابن نافيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، منشأة المعارف بالإسكندرية، د- ط، د- ت .

10- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ط1 : د- ت .

11- أبو البقاء عبد الله بن الحسن العكبري، التبيان في إعراب القرآن يعرض لأهم وجوه القراءات، ويعرب جميع آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د- ط : 1431هـ / 2010م .

12- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العربي في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن، منشورات : محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 : 1418هـ / 1997م .

13- مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر، للنشر والطباعة والتوزيع، د- ط، د- ت

14- أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب، دار النهضة، القاهرة، د- ط، د- ت .

15- أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد عبد الكريم المعروف بابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد المدرس في قسم التخصص بكلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، شركة مكتبة ومطبعة : مصطفى البابي وأولاده، مصر، د- ط، د- ت .

16- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان د- ط، د- ت .

17- أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق : عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د- ط، 1984م .

18- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبينان، د- ط، 1986م .

19- أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، اعنتى به وراجعه : عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط3، د- ت .

20- الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، د-ط، د- ت،

21- أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، اعتنى به : مصطفى شيخ مصطفى ميسر عقاد، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 : 1428ه/ 2008م .

22- دلائل الإعجاز، اعتنى به علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، ناشرون، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط1 : 1426ه / 200(م .

23- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبينان، د- ط، 1412ه/ 1992م، وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابوري .

24- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، مراجعة : صدقي محمد جميل، إشراف : مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 : 1425ه/ 1426ه/ 2005م .

25- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، خرج أحاديثه : أحمد بن شعبان، محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة، الأحباس، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1 : 1425ه/ 2004م.

26- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د- ط، د- ت .

27- أبو علي أحمد بن محمد، بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، لأبي تمام، علق عليه وكتب حواشيه : غريد الشيخ، وضع فهارسه : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1: 1424هـ / 2003م .

28- أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 : 1982م .

29- أبو محمد عبد الله بن مسلم، بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق : أحمد السيد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د- ط، 1338هـ/ 1978م .

30- أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2 : 1972م.

31- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م .

32- أحمد السيد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د- ط، 2000م .

33- أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1 : 1418هـ/ 1998م .

34- أحمد شامية، في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ، للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 : 1423هـ / 2002م .

35- أحمد فشل، مدخل إلى الأدب العربي ودرسته، دار المعارف، د- ط، د- ت .

36- أحمد مطلوب، فنون بلاغية، دار البحوث البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ط1 : 1975م .

37- أشواق محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، منشورات دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط 2 : 2009م .

38- آمنة صالح الزعبي، في علم الأصوات المقارن التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، إربد، د- ط، 1426هـ / 2005م .

39- الإمام مسلم، الجامع الصحيح، صورت هذه الطبعة تصويرا أمينا، مؤسسة الطباعة لدار التحرير، للطبع والنشر القاهرة، من مطبعة أسطنبول المحققة، د- ط، 1329هـ .

40- الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه : مفيد قميحة، دكتوراه في الأدب العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 : 1401هـ/ 1981م .

41- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، ط5 : 1433هـ / 2011م .

42- المعجم الوسيط، قام بإخراج من الطبعة : الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عطية الصوالحي، الدكتور محمد خلف الأحمر، الدكتور عبد الحليم منتصر، أشرف على الطبع : علي عطية، محمد شرفي أمين، د- ط، د- ت .

43- بدر الدين بن تريدي، البلاغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، صيدا، د- ط، د- ت .

44- بدر الدين محمد بن علي الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، د- ت .

45- بسيوني عبد الفتاح، دراسات بلاغية، مطبعة السعادة، ط1 : 1989م .

46- بشير كيحل، الكناية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، ط1 : 1425هـ / 2004م .

47- بكري شيخ أمين البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار المعارف للملايين، بيروت، لبنان، ط1: 1979م، ط3: 1992م .

48- البلاغة العربية في ثوبه الجديد علم البيان، دار المعارف للملايين، بيروت، لبنان، ط1: 1982م، ط4 : 1992م .

49- بلقاسم بلعرج، لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول، دار العلوم للنشر والتوزيع عنابة، د- ط، 1426هـ / 2005م .

50- بهاء الدين بن عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، حققه وبوبه وفسر غامضه وعلق على شروحه وأعرب شواهده وضبطه بالشكل متنه : حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د- ط، 1424هـ/ 2003م .

51- تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية، للفكر اللغوي عند العرب، النحو- فقه اللغة – البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، د- ط، 1421هـ / 2000م .

52- اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، نشر، توزيع، طباعة، القاهرة، ط4 : 1425هـ / 2004م .

53- تيسير عباس محمد الشريف، القرينة في البلاغة العربية دراسات بيانية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 : 1432هـ/ 2011م .

54- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار العدل الجديد، القاهرة، المنصورة، ط1: 1427هـ/ 2006م .

55- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه : شرح العالم العلامة الشيخ أحمد الدمنهوري المسمى حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون، عبد الرحمن الأخضري، دار إحياء الكتب العلمية ة د- ط، د- ت .

56- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية، د- ط، د- ت .

57- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق : الدكتور عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية القاهرة، مصر، إشراف : توفيق شعلان، د- ط، د- ت .

58- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه : تفسير الجلالين، مذيلا بكتاب : لباب التقول في أسباب النزول، للسيوطي، أشرف على إعداده ومراجعته : الشيخ محمد فهمي أبو عبية، ومروان سرور، وعبد المنعم المعاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 : 1406هـ / 1986م .

59- جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، للنشر، والتوزيع، والتصدير، القاهرة، د- ط، د- ت .

60- شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبطه على المخطوط وصححه : يوسف الشيخ محمد البقاعي، وبهامش القطر كتاب : بلوغ الغايات في إعراب الشواهد والآيات ، تأليف : بركات يوسف هبود، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د- ط، 1424هـ/ 3003م .

61- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر والطباعة، والنشر والتوزيع، ط1: 2005م .

62- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، إشراف : مكتبة البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د- ط، د- ت .

63- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء دراسة جمالية بلاغية نقدية، إتحاد الكتاب العرب، د- ط، 2005م .

64- حسين محمد مخلوف، كلمات القرآن تفسير وبيان، مكتبة رحاب للنشر والتوزيع، د- ط، د- ت

65- حلمي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية علم البيان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، د- ط، د- ت .

66- حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الرئيسي، بيروت، ط1 : 2002م .

67- ديوان ابن الرومي، ، تحقيق : محد الفاضلي، دار الجيل، بيروت، ط1 : 1995م .

68- ديوان أبو الطيب المتنبي، دار بيروت، للطباعة والنشر، د- ط، 1980.

69- ديوان أبو تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد عبده عزام، دار المعارف كورنيش النيل القاهرة، ط4، د- ت.

70- ديوان البحتري، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1 : 1995م .

71- ديوان الخنساء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8 : 1401هـ / 1981م

72- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح : كرم البستاني، ، دار صادر بيروت، د- ط، د- ت .

73- ديوان امرؤ القيس، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط1 : 1377هـ / 1957م / 1418هـ / 1998م .

74- إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، دار العودة، د- ط، د- ت .
75- ديوان بشار ابن برد، لناشره ومقدمه وشارحه ومكمله الأستاذ العلامة : محمد الطاهر ابن عاشور، شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس، علق عليه ووقف على طبعه : محمد رفعت فتح الله، ومحمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د-ط، 1373هـ/ 1952م .
76- ديوان طرفة بن العبد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د- ط، 1399هـ / 1977م .
77- ديوان عمر بن أبي ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، لبنان، د- ط، د- ت .
78- رابح بومعزة، دراسات نحوية الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 : 2008م .
79- سراج الدين والملة أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 : 1403هـ / 1983م .
80- سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، كلية الآداب، جامعة : الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د- ط، 1999م .
81- شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحمبلي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، علق عليه وصححه : فؤاد أحمد الزمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 : 1418هـ / 1998م .
82- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر والتوزيع، د- ط، د- ت .
83- شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، حقق نصوصه ووثق أصوله : أسعد حسن محمد، مكتبة الصفا، ط1 : 1426هـ / 2005م .
84- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط6، د- ت .
85- تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط6 : د- ت .
86- طالب محمد الزوبعي ناصر حلاوي، البلاغة العربية البيان البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 : 1996م .
87- عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ط4 : 1394هـ / 1974م .
88- عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، السعودية د- ط، 2000م .
89- عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ج1، القسم الموجز لطلبة الجامعات والمفضل للأساتذة والمتخصصين، د- ط، د- ت .

90- عبد الجبار الهمذاني القاضي أبو الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، تحقيق : أمين الخولي، د- ط، 1389هـ / 1960م .

91- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدم له : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، ومحمد بن صالح العثيمين، اعتنى به تحقيقا ومقابلة : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1 : 1424هـ / 2003م .

92- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1405هـ / 1985م .

93- في البلاغة العربية علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د- ط، د- ت

94- عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر للطباعة والنشر ط1 : د- ت .

95- عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1 1422هـ / 2002م .

96- عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية علم البيان، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1 : 2000م .

97- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لسعد الدين بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، د- ط، د- ت .

98- علي أبو المكارم، الحملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 : 1428هـ / 2007م .

99- عماد عبد يحي، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دراسة فنية، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1 : 2009م .

100- عمر عبد الهادي عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، عمان، د- ط، د- ت .

101- كمال الدين ميثم البحراني، أصول البلاغة، تحقيق : الدكتور عبد القادر حسين، دار الشروق، القاهرة، د- ط، 1401هـ / 1981م .

102- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أصول البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، التتمة من عمل تلميذه : عطية محمد سالم، دار الكتب، بيروت، د- ط، د- ت .

103- محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2: 1952م .

104- محمد ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د- ط، 1985م .

105- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د- ط، 1999م

106- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجعه أصوله : يوسغ الغوش، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2 : 1425هـ / 2004م .

107- محمد حسين أبو موسى دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، منشورات جامعة قار يونس، ط1 : 1399هـ / 1979م .

108- محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، دار الفكر، ط1 : 1428هـ / 2007م .

109- محمد بن علوي المالكي الحسني، زيدة الإتقان في علوم القرآن، دار الشروط، جدة، د- ط، د- ت .

110- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القلم الكريم، ، بيروت، ط4: 1981م .

111- محمد مصطفى أبو شوارب أحمد محمود المصري، المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر، ط1 : 2007.

112- محمد لطفي عبد التواب، علم البيان بين النظرية والتطبيق، المكتبة العالمية العلمية، بيروت، ط1 : 1422هـ / 2001م .

113- محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، د- ط، 1995م .

114- مستأنف منظور . التشبيه والاستعارة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، د- ط، د- ت .

115- مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، د- ط، 1984م .

116- يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، أشرف على مراجعته وضبطه وتحقيقه : جماعة من العلماء بإشراف : الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د- ط، د- ت .

117- يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1: 2007م .

الفهرس العام للموضوعات

فـــــهرس المـــــوضوعات **الصفحة**

مـــــقدمة ..... أ

الفـــــصل التمـــــــهيدي

المسيرة التاريخية للبلاغة العربية.

- الجاحظ ونشأة البلاغة 16
- القاضي عبد الجبار وتطور البلاغة 19
- مرحلة النضج والاستواء عند عبد القاهر الجرجاني 21
- السكاكي والتقعيد البلاغي 24

الباب الأول

البنية التشكيلية التعبيرية للنص القرآني

الفصل الأول

بنـــــــية التـــــشبيه

المبحث الأول : مفهوم التشبيه

- التشبيه لغة 34
- التشبيه اصطلاحا 35

المـبحث الثاني : أقســـــــــــام التشبيه

- أقسام التشبيه باعتبار طرفيه 37

المبحث الثالث : أقسام التشبيه باعتبار أداته

- التشبيه المؤكد 50
- التشبيه المرسل 52

المبحث الرابـع : باعتـــــــــــبار وجهه

- تشبيه التمثيل 56
- تشبيه غير التمثيل 58

- تشبيه المفصل 59
- تشبيه المجمل 60

المبحث الخـــــــامس : أنواع التشبيه

- التشبيه البليغ 62
- التشبيه الضمني 65
- التشبيه المعكوس 66

الفصل الثاني

بنـــــية الكـــــناية

المبحث الأول : مـــــــــــــاهية الكناية

- الكناية لغة 70
- الكناية اصطلاحا 71

المبحث الـــــــــثاني : أقسام الكناية

المطلب الأول : باعتبار المكنى عنه

/ كناية عن صفة 78

/ كناية عن موصوف 86

/ كناية عن نسبة 90

المطلب الثاني : الكناية باعتبار الوسائط

- التعريض.....95
- التلويح والإيماء والرمز 99

الفصل الثالث

بنـــــية المـــــــجاز

المبحث الأول : مفهوم الحقيقة

المبحث الثاني : مفهوم المجاز

- المجاز لغة 104
- المجاز في اصطلاح علماء البلاغة.....105

المطلب الأول : أنواع المجاز

- **أولا** : تعريف المجاز العقلي 108
- **ثانيا** : علاقات المجاز العقلي.....109

المطلب الثاني : المجاز اللغوي

- **أولا** :تعريف المجاز المرسل 116
- **ثانيا** : علاقات المجاز المرسل 118

الفصل الـــــرابع

بنـــــــية الاســـــــتعارة

المبحث الأول : مــاهية الاستعارة

- الاستعارة لغة 136
- الاستعارة في اصطلاح علماء البلاغة 137

المبحث الثاني : الأقسام الرئيسية للاستعارة

- **أولا** : الاستعارة التصريحية 139
- **ثانيا** : الاستعارة المكنية.....142
- **ثالثا :** الاستعارة باعتبار الملائم.....150

- **أ /** الاستعارة المطلقة 150
- **ب /** الاستعارة المجردة 151
- **ج /** الاستعارة المرشحة 153
- **رابعا** : الاستعارة التمثيلية 154

الفرق بين التشبيه والاستعارة 167

البـــاب الثاني

البنية التركيبية للنص القرآني

الفصــل الأول

ثنـــائيتا الـــــخبر والإنــشاء

المبحث الأول : وظائف الأسلوب الخبري

- فائدة الخبر.....177
- لازم الفائدة 182

المبحث الثاني : أنواع الأسلوب الخبري

- مؤكدات الخبر.....190
- توزيع الأسلوب الخبري 196

المبحث الثالث : مستويات الأسلوب الإنشائي

- الإنشاء غير الطلبي 199
- الإنشاء الطلبي 201

الفصل الثاني

ثنائيتا المسند إليه والمسند

المبحث الأول : الحذف والذكر الإسنادي

- سياقات حذف المسند إليه (مبتدأ).....214
- سياقات حذف المسند إليه (فاعل).....216
- سياقات حذف المسند 219
- سياقات ذكر المسند إليه 220
- سياقات ذكر المسند 225

المبحث الثاني :التقديم والتأخير الإسنادي

- سياقات تقديم المسند على المسند إليه 229
- سياقات تقديم المسند إليه على المسند 230
- سياقات تقديم متعلقات الفعل 233

المبحث الثالث : سياقات التعريف والتنكير الإسنادي

- سياقات تعريف المسند إليه 237
- سياقات تنكير المسند إليه..... 246
- سياقات تعريف المسند 247

الفصل الثالث

ثنائيتا الفـــــعل ومتـــعلقاته .

المبحث الأول : الفعل حسب معيار الزمن

- زمن الماضي 249
- زمن المضارع 250
- زمن فعل الأمر 252

المبحث الثاني : الفعل حسب معيار التعدي واللزوم

- الأفعال المتعدية 253
- الأفعال اللازمة 263

المبحث الثالث : الفعل حسب الانتقال الوظيفي

- الفعل المبني للمعلوم 266
- الفعل المبني للمجهول 267

المبحث الرابع : الفعل حسب إمكانية التحول الصوتية

- الأفعال الجامدة 269
- الفعل المتصرف 270

المبحث الخامس : دلالة الفعل حسب زيادة الكمية الصوتية

- السوابق والدواخل واللواحق في اللغة العربية 271
- الدلالة السياقية للأفعال في النص القرآني 274

الفصل الرابع

ثنائيتا الفصل والوصل

المبحث الأول : تعريف الفصل والوصل

- تعريف الفصل.....278
- تعريف الوصل 280

المبحث الثاني : مواضـــــــع الفصل

- كمال الاتصال بين الجملتين 286
- كمال الانقطاع 297

المبـــــــحث الثالث : مــواضع الوصل

- إذا اتحدت الجملتان خبرا وإنشاء 299

إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء 301

الخـــــــــاتمة

قائمة المصادر والمراجع .